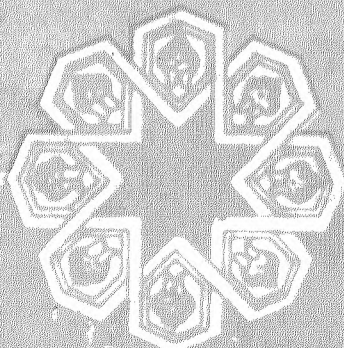




الأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة

دكتور
أحمد سليمان فوز
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩



دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش بوتيرة - الإسكندرية
٤٨٣٠١٦٣ ت



الأفعال غير المنصرفة
وشبه المنصرفة

الأفعال غير المنهضة وشبه المنهضة

الدكتور
أحمد سليمان ياقوت
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش. سويت - الإسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

الإهداء

إلى روح أستاذي الجليل
الأستاذ الدكتور السيد أحمد خليل
رحمة الله رحمة واسعة وأسكنه مسيح جناته

أحمد سليمان ياقوت

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة



هذه مجموعة من الأفعال ، نجدُها متناثرة في أبواب النحوي المختلفة وقد اصطلح معظم النحويين على تسميتها بالأفعال الجامدة وشبه الجامدة. ومنهم من يسميها - وهو الأليق - بالأفعال غير المتصرفية وشبه المتصرفية. ويجمع بين هذه الأفعال كما يستبين من اسمها أنها :-

- (أ) إما لا تتصرف إطلاقاً ، أي تبقى على صورة واحدة لا تتعداها .
- (ب) وإما تتصرف تصرفاً جزئياً فتجىء على صورة أو صورتين. وهذه الأفعال هي :-

- ١ - ما يدخل في باب (كان وأخواتها)، وهي : ليس ودام و زال وفتىء وبيع وانفك .
 - ٢ - ما يدخل في باب أفعال المقاربة، وهي كاد وكرب وأوشك .
 - ٣ - ما يدخل في باب أفعال الشرع، أي ما شرع وأنشأ وطبق وأخذ وعليق وهب وجعل وهلهل .
 - ٤ - ما يدخل في باب أفعال الرجاء وهي عسى وعري وأخلوق
 - ٥ - ما يدخل في باب أفعال القلوب وهي تعلم وهب .
 - ٦ - ما يدخل في بابي المدح والذم وهي نعم وبس وحسب .
 - ٧ - ما يدخل في باب الاستعجب وهي ما أعل وأفعل وأفعل
- وسا .

- ٨ -

٨ - ما يدخل في باب الاستثناء ، وهي : لا يكون وليس وحاشا
وخلأ وقدأ .

٩ - ما لا يدخل في باب من أبواب النحو وهي وذر وودع وكذب
(مطبك) وتشارك وتل في مثل " قل رجل بفعل ذلك " وسقط
في مثل (سقط في يده) وعِمَ وينبغي وأهلم وهات وتعال
ويهيط ويسوي ونكر وهذا .

والأفعال التي لا تتصرف تصرفاً كاملاً ليست مقصورة على
العربية ، ففي الإنجليزية ما يعرف بالأفعال الناقصة defective verbs
can; could; shall; should; will would; may; might; must; ought to.
وهي أفعال لا تأتي إلا على صورتين ليس غير .

وقد رأينا أن نجمع أفعال العربية غير المتصرفية أو المتصرفات
تصرفاً جزئياً ، وقد أطلقنا عليها شبه المتصرفية ، وأفردنا لها
هذا البحث ولم نجد - فيما أطلقنا عليه من مراجع - بحثاً
يتناول هذه الأفعال بالدرس والتحليل .

فكل أصحاب المراجع النحوية - عدا السيوطي فيما أعلم -
لا يخصصون باباً لهذه الأفعال ، بل إنهم يتناولون بعضها في
الأبواب الخاصة بها ، ف (ليس) مثلاً يتناولونها في النواسخ
(حاشا) في الاستثناء ، ... وتبقى بعد ذلك أفعال لا تخص باباً
من أبواب النحو، مثل وذر وكذب عليك وينبغي وسقط في يده
وهات وتعال - ولا تكاد نجد لها ذكراً في تلك المراجع .

أما السيوطي فقد اكتفى بجمع هذه الأفعال جمعاً ليس غير ،
دون تفصيل أو شرح أو بيان للاستعمال ، اللهم إلا كلمة أو بضع

كلمات لبعض هذه الأفعال ، حتى إن جُمعَ لها لم يستغرق إلا صفحةً من همعِ الهوامع ، وكذلك فعل في المزهرِ نقلا عن التسهيل لـابن مالك .

وقد يسألُ سائلٌ : لِمَ لمْ تتناولُ أسماءَ الأفعالِ في بحثك هذا ، وهي أفعالٌ عند بعضِ النحاة ، وغيرُ متصرفةٍ عند الجميع ؟ وأجيب عن هذا السؤال بأن هناك رسالةً للدكتوراه موضوعها : أسماءُ الأفعالِ وأسماءُ الأصواتِ في اللغة العربية للدكتور محمد عبدالله جبر ، وقد تناول الباحث في تلك الرسالة بالدرس والتحليل أسماءَ الأفعالِ المرتجلةَ مثل آمينَ ورؤيدَ وبلةَ وهيئاتَ وهلمَ ومَهَ ومَهَ الخ . ثم تناول أسماءَ الأفعالِ المنقولةَ من أحرفِ الجرِّ مثل إليك وعليك وعنك ... والمنقولةَ من الظروفِ مثل أمامك وبعدهك وخلفك ثم تناولَ بعد ذلك صيغةَ فَعَالٍ في الأمر لذلك لم نَشَأْ أن نكرِّرَ ما قاله ، بل ابتدأنا من حيث انتهى .

هذه واحدة ، وأخرى أن موضوعَ رسالتي للماجستير هــ (النواسخُ الفعليةُ والحرفيةُ) وربما كان هناك تداخلٌ بينها وبين موضوعِ هذا البحثِ وذلك في باب (كان وأخواتها) ، ولكن الاختلافَ بين الموضوعين واضحٌ ظاهرٌ ، فهذا البحثُ يُعْنِي بالتصرفِ وعسـدم التصرفِ في هذه الأفعال ، في حين أن رسالةَ الماجستير تتعمـرض لاستعمال هذه الأفعالِ ولوظائفِ النسخِ فيها . على أن هذا لا يُعْنِي

- ١٠ -

أنني لم أرجع إلى رسالتي الماجستير بل فعلت ، وأشرت إلى كل مواطن رجعت فيه إليها ، وهي مواطن معدودة . يضاف إلى ذلك أن مسرّ السنين يطور فكر الباحث ويغير نظرتّه العلميّة تجاه كثير من الموضوعات .

والله سبحانه وتعالى نسالُ أن يوفّقنا فيما بدأنا فيه . إنه هو السميعُ العليمُ .

أحمد سليمان ياقوت

هذه الأفعال كلها اصطلاح بعض النحاة على تسميتها بالأفعال الجامدة، وهذا اللفظ عندهم عكس المتصرف . واصطلاح بعضهم على تسميتها بالأفعال غير المتصرفية ، يدل على ذلك ما ذكره السيوطي في تقسيم الفعل إلى " متصرف وهو ما اختلفت أبنيتة باختلاف زمانه وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو... " (١) . وبذلك وضع السيوطي الفصل الجامد عكساً للفعل المتصرف ، وقد حدا حدوه الشيخ محمد محيي الدين عند ما أورده أدلة النحاة على أن (ليس) حرف نقال :
 " إنه (أي ليس) جامد لا يتصرف كما أن الحرف جامد لا يتصرف " (٢)

ونجد هذا اللفظ (الجامد) في معنى ابن هشام ومفياً لهذه الأفعال ، فقد علق فعلاً عنوانه " هل تتعلق الظروف والجماد والمجوز بالفعل الجامد " (٣) .

ويقول المرحوم عباس حسن " هذه الأفعال (يقصد النعال الشروع) جامدة ، لأنها مقصورة على الماضي ، إلا (طبق) و(جعل)

(١) همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ٢٤ ، ص ٨٢ بيروت دون تاريخ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ هامش ص ٢٦٢ تحقيق محمد محيي الدين . التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٦٤ .

(٣) المغنى لابن هشام ص ٥٧١ تحقيق الدكتور مازن المبارك وآخرين بيروت ١٩٧٩ .

فلهما مضارعان ^(١) .

ويقول في أفعال الرجاء " هي أفعال ماضية " في لفظها جامدة ^(٢) في الميضة " .

وهناك مواضع أخرى في النحو الوافي وصفت فيها هذه الأفعال وغيرها (بالجمود) وليس (بعدم التصرف) .

وكذلك نجد في (شذا العرف) ^(٣) تقسيمات عديدة للفعل منها :-

- (١) الماضي والمضارع والأمر .
- (٢) الصحيح والمعتل ولكل أقسامه .
- (٣) اللازم والمتعدي .
- (٤) التام والناقص .
- (٥) المبني للمعلوم والمبني للمجهول .
- (٦) الجامد والمتصرف .

فوضع الجامد بإزاء المتصرف .

على أن هناك من النحاة من وصف هذه الأفعال بعدم التصرف ، فابن يعيش يقول في شرحه على مفصل الزمخشري " وهذه (عسى)

(١) النحو الوافي ج١ ص ٢٠ دار المعارف ط ٤ .

(٢) السابق ج ١ ص ٦٦٢ .

(٣) شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملوي ص ٤٢ الحلبي ،
مصر سنة ١٩٦٥ .

قد خالفت غيرهما من الأفعال ومنعت من التصرف ^(١) .

ويقول أيضا من (نعم وبئس) : " وأيضا فان آخرهما يبني على الفتح من غير عارضٍ عُرِضَ لهما ، كما تكون الأفعال الماضية كذلك ، إلا أنهما لا يتصرفان ، فلا يكون منهما مفاعٌ ولا اسمٌ فاعلي ، والعلّة في ذلك أنهما تضمنا ما ليس لهما في الأصل ، وذلك أنهما نقلتا من الخبر إلى نفس المدح والذم ، والأصل في إفساد المعاني إنما هي الحروف، فلما أفادت فائدة الحروف خرجت عن بابها، ومنعت من التصرف كليس وعسى ^(٢) .

ويقول صاحب الإنصاف " ذهب الكوفيون إلى أنّ (نعم وبئس) اسمان مبتدآن ، وذهب البصريون إلى أنهما فعلا مائيان لا يتصرفان ^(٣) .

ويقول في موضع آخر " الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنهما غير متصرفين " ^(٤) . ولكنه في موضع آخر يقول عن الفعل المتعجب : " أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنه اسم أنه جامد لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف " ^(٥) . فجمع بين (جامد) و (لا يتصرف) معاً .

(١) شرح المصطلح ج ٧ ص ١١٦ المعنوية بالقاهرة دون تاريخ .

(٢) السابق ج ٧ ص ١٢٧ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن أبي سعيد الأنباري ج ١ ص ٦٦ تحقيق محمد محيي الدين ج ١ صبيح سنة ١٩٥٣ م .

(٤) الإنصاف في مسائل ج ١ ص ٦٩ .

(٥) السابق ج ١ ص ٨١ .

أما سبويه فإنه يذكر أوصافاً أخرى لهذه الأفعال ، كقوله
عن حبذا ونعم في لزومهما صورة واحدة " فلزم هذا في كلامهم
ولأنه صار كالمثل^(١) ويقول عن (أفعل) التعجب : " هذا باب ما
يعمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكن تمكته وذلك قولك ما
أحسن عبد الله " . وفي موضوع آخر يقول عن ليس : " وأما
ليس ، فإنه لا يكون فيها ذلك ، لأنها وضعت موضعاً واحداً ، ومن
ثم لم تصرف الفعل الآخر " .^(٢)

ونتساءل بعد هذا العرفي لأقوال طائفة من النحاة : انطلق
على هذه الأفعال (الأفعال الجامدة) أو نطلق عليها (الأفعال
غير المتصرفية) ؟

ولعل من اللائق قبل أن نجيب عن هذا التساؤل أن نلقي
الفتوة على ماهية الجامد وماهية المشتق ، ونوضح أيضاً معنى
التصريف .

فأما الجامد فقد جاء ذكره في كتب المرئيين عندما يسمون
الاسم إلى جامد ومشتق ، فالجامد عندهم ما لم يؤخذ من غيره .^(٣)

أي أنه أصل وليس ناتجاً عن صورة سابقة مشتق منها ،
أو كما يقول المرحوم الأستاذ عباس حسن " إنه وُفِعَ على صورته

(١) الكتاب ح ١ ص ٣٠٢ ط المثنى ببغداد .

(٢) السابق ح ١ ص ٣٧ .

(٣) السابق ح ١ ص ٢١ .

(٤) شد العرف ص ٦٧ .

الحقية ابتدائية ، وليس له أصل يرجع إليه أو ينتسب له (١) . وله
أسماء .

(١) اسم ذات كرجل وشجر وبقر .

ويطلقون عليه اسم عين بمعنى أنه محسوس من الممتثلين
رويته .

(ب) اسم معنى : مثل فهم وقيام وقعود وزمان ، فهو لا يتنسج
في دائرة المحسوسات بل إنه شيء معنوي لا يدرك وهذه هي
المصادر التي يشتق منها .

فليس أن هناك بعض الجوامد التي تلحق بالمشق في بعض
استعمالاتها ، كإسماء الإشارة والاسم الجامد المنسوب أو المصدر .

وقد اشتقت العرب الأفعال من المصادر ، أي من أسماء
السماني الجامدة ، هذه هي القاعدة ، غير أن هناك من الباحثين من
رأى أن العرب قد اشتقت الأفعال من أسماء الأعيان الجامدة أحيانا ،
وقد أتت بأشكال كثيرة لذلك منها الفعل رأس من الرأس ، فثاقوا :

(١) النحو الوافي ج ٢ هامش ص ١٤٤ وقد رجعنا في ذلك إلى
المراجع التي أشار إليها الأستاذ عباس حسن وهي مجلة مجسج
اللغة العربية ج ١ ص ٣٨١ ، و ج ٢ ص ١٩٥ ، ٢٤٥ كما أن
هناك بحثاً آخر في هذا الموضوع في الجزء الرابع ص ٣٢٨ .

(٢) هذا هو مذهب البصريين الذين يرون أن المصدر أصل والفعل تسريع
عليه ، والكولبيون يرون العكس ، ويرجع إلى ذلك بعد قليل ،
وانظر انصاف في مسائل الخلاف ج ١ ص ١٤٤ .

رَأْسُهُ إِذَا أَصَابَ رَأْسَهُ ، وَالْفِعْلُ بَارَءٌ مِنَ الْبَقَرِ وَمِنْهُ يَبْقَرُ فَلَانٌ بَشَرًا إِذَا حَفَرَهَا ، وَالْفِعْلُ زَبَدَ مِنَ الزُّبْدِ ، فَقَالُوا زَبَدْتُ الرَّجُلَ زُبْدًا ، أَيِ أَطْعَمْتَهُ الزُّبْدَ ، وَمِنْ هَذَا الْاِشْتِقَاقِ أَيْضًا الْفِعْلُ ذَوِبَ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الزُّبْدِ ، أَيِ صَارَ مِثْلَهُ خَبثًا وَدِهَاءً ^(١) .

وقد أورد السيوطي قولهم استجحر الطين واستنوق الجممل ^(٢) .

هذا عن الجامع ، فماذا عن المشتق ؟ لقد كتب كثيرون في الاشتقاق وأُفِرِدَتْ لَهُ مَوَلِّغَاتٌ ، يقول السيوطي : أَفَرَدَ الْاِشْتِقَاقَ بِالتَّأْلِيفِ جَمَاعَةً مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مِنْهُمْ الْأَمْعِيُّ وَقُطْرِبُ وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ وَأَبُو نَصْرٍ الْبَاهِلِيُّ وَالْمُفْضِلُ بْنُ سَلَمَةَ وَالْمُبَرِّدُ وَأَبُو دَرِيدٍ وَالزَّجَّاجُ وَابْنُ السَّرَاجِ وَالرَّمَانِيُّ وَالشَّعْسَاسُ وَابْنُ خَالَوَيْهِ ^(٣) .

وأما كتبُ الاشتقاقِ المحدثه فمنها (العلم الخفائي في علم الاشتقاق) محمد صديق بهادر ، والاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي وكتاب الاشتقاق للأستاذ عبد الله أمين ^(٤) .

(١) من بحث للأستاذ عبد الله أمين بمجلة مجمع اللغة العربية - الجزء الرابع : أكتوبر ١٩٣٧ ص ٣٢٨ بعنوان " بحث في الطرق التي سلكها العرب عند اشتقاقهم الأفعال من أسماء الأعيان " .

(٢) المزهر ج ١ ص ٣٥٠ تحقيق محمد جاد المولى وآخرين - عيسى الحلبي دون تاريخ .

(٣) المزهر ج ١ ص ٣٥١ .

(٤) من مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ، وهو الذي حققه الأستاذ عبد السلام هارون . مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٩ .

" والاشتقاق هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفائهما معنىً
و " مادة " أصلية وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى
الأصل ، بزيادة مليدة ، لأجلها اختلغا حروفاً أو هيئةً كخارِب من
قَرَبَ وحَذِر من حذر ^(١) .

ويعرفه الأستاذ عبدالله أمين بأنه أخذ كلمة من كلمة
أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعاً ^(٢) ، وهو
تعريف قريب من تعريف الأستاذ هارون " هو أخذ كلمة من كلمة
أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى " ^(٣) .

والاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتطورها وزيادة ثروة
اللفظ فيها ، وقد اتخذها بعض اللغويين أساساً في تقيسيم
اللغات إلى فصائل ^(٤) .

وقد بين السبوتى التغيرات بين الأصل المشتق منه والفرع
المشتق وحصرها في خمسة عشر :

-
- (١) المزهري ١ ص ٢٤٦ .
 - (٢) كتاب الاشتقاق ص ١ لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ،
١٩٥٦ .
 - (٣) مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٦ .
 - (٤) يطلق بعض اللغويين على اللغات التي تتميز بالاشتقاق (فصيلة
اللغات المتصرفة) Flexionnelles أو التحليلية Analytiques
وذلك كاللغة العربية فإن كلماتها تتغير معانيها بتغيير
بنيتها ، فنقول عِلِّمٌ للدلالة على المصدر ، وعِلِّمٌ للدلالة على
الفعل الماضي ، وعِلِّم (بتشديد اللام) للدلالة على تعدي الفعل...
والمعلوم للدلالة على ما وقع عليه العلم... وهلم جرا .
علم اللغة دكتور علي عبدالواحد وافي ص ٨٦ مكتبة
النهضة سنة ١٩٤٤ .

- ٢٠ -

- الأول : زيادة حركة - كَعْلَم - وَعَلِم .
- الثاني : زيادة مادة كطالِب وطلب .
- الثالث : زيادتهما كضارب وضرب .
- الرابع : نقصان حركة كالفرس من الفرس (بتسكين الواو)
- الخامس : نقصان مادة كثبت وثبات .
- السادس : نقصانهما كنزاً ونزوان .
- السابع : نقصان حركة وزيادة مادة : كغضبى وغضب .
- الثامن : نقصان مادة وزيادة حركة كحرم وحرمان .
- التاسع : زيادتهما مع نقصانهما كاستنوق من الشاقة .
- العاشر : تغاير الحركتين كبطر بظراً .
- الحادي عشر : نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف كاضرب من الضرب .
- الثاني عشر : نقصان مادة وزيادة أخرى كرافع من الرضاغة .
- الثالث عشر : نقصان مادة بزيادة أخرى وحركة كخاف من الخوف ؛ لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب .
- الرابع عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، كعد من الوعد ، فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة .
- الخامس عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حرف ، كفاخر من الفخار ، نقصت ألف ورادت ألف وفتحة . (المزهر ١/ ٣٤٨) .

والاشتقاق عند ابن جنى نومان :

الأول الاشتقاق الأمشجر " كان تأخذ أصلاً من الأصول

فتتقراه ، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك
كتركيب (سلم) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تعرفه نحو سلم
ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والتسليم ... " ^(١)

والنوع الثاني الاشتقاق الأكبر " وهو أن تأخذ أملا من
الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً،
تجتمع التراكيب الستة وما يتعرف من كل واحد عليه " ^(٢) . ويضرب
مثلاً لذلك مادة قَوَلَ ، فيقول " إن معنى (قول) أين وجدت وكيف
ولعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه إنما هو
للخفوف والحركة " ^(٣)

وقد تعرفت لهذا النوع بالدراسة التفصيلية، ورأيت أن أهن
جنس قد جانبه الصواب عندما قال إن تقاليب المادة الواحدة تعطى
معنى واحداً أو معاني متشابهة ^(٤) .

هذا وقد أورد السيوطي أمثلة أخرى للاشتقاق لا تدخل
تحت هذين النوعين ، هذه الأمثلة التي ذكرها السيوطي أوجت لنسبها
بتقسيم الاشتقاق إلى نوعين :

الأول الاشتقاق بمعناه العام Derivation وهو الذي أسماه

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٣٤ تحقيق محمد علي النجار . دار الكتب
المصرية سنة ١٩٥٥ .

(٢) الخصائص ج ٢ ص ١٣٤ .

(٣) الخصائص ج ١ ص ١٣٤ .

(٤) كتابنا " دراسات نحوية في خصائص ابن جني " ص ٢٢٧ وما
بعدها ، دار النشر الجامعي ، سنة ١٩٨٠ .

ابن جنى اشتقاقاً أصغر ، كان تشتق من الكلمة اسمَ فاعلٍ أو اسم مفعول أو اسم مكان أو صفةً مشبهةً، وهو الاشتقاق المتعارف عليه مدرسياً .

والثاني الاشتقاق التاريخي ^(١) Etymology ، وهو التتبعُ التاريخيُّ لمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة أو إرجاعُ معنًى من المعانى إلى اشتقاقه من كلمةٍ ما لعلاقةٍ دلاليةٍ تجمعُ بينهما ، أو هو — كما يقول فندريس — " أخذُ الفاظِ الغاموسِ كلمةً كلمةً ، وتزويدُ كلِّ واحدةٍ منها بما يشبه أن يكونَ بطاقةً شخصيةً يُذكرُ فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتقلباتُ التي مرّت بها " ^(٢) .

والأمثلة التي ذكرها السبوتي وأوحت لنا بهذا التقسيم تدخل جميعها في نطاق القسم الثاني ومنها :-

- (١) سُميت (مِنى) بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء .
- (ب) يقال (شَجَرْتُ فلاناً بالرمح) من الشجرة ، لأنك تجعله في الرمح كالغصن في الشجرة .
- (ج) شَادِقٌ : اسمُ فرسيٍّ مشتقٌّ من (شَدَقَ المطر) إذا سال وانصب فهو شادق (فكانَ الفرسَ هذا في سرعته كالمطر إذا سَالَ وانصب .

(١) لم يكن ذكر هذين النوعين عبثاً أو إطالةً للبحث دون داعٍ، فالنوع الثاني وهو الاشتقاق التاريخي Etymology هو الذي سنعتمد عليه في تأميل بعض الأفعال غير المتصرفة .

(٢) اللغة ص ٢٢٦ . ترجمة الأستاذين الدواخلي والقصاص، الأنجلو-المصرية ١٩٢٠ .

(د) الثور : سُمِّي بهذا الاسم لأنه يثير الأرض .

(هـ) الجَرَجِير : سُمِّي كذلك لأن الريح تُجَرِّحُهُ أي تجرّه ^(١) .

وقد ذكر فنندريس مثلاً لهذا النوع من الاشتقاق، فـ رأى أن ماريشال وهي أكبر رتبة عسكرية — إنما كان اشتقاقها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة ^(٢) .

ومما يدخل في هذا النوع أيضاً ما لاحظته الأستاذ عبد السلام هارون ^(٣) في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، فقد لاحظ أنه قد جرى في كتابه على بيان اشتقاق أسماء البلدان العربية ، ويرجع في هذا إلى الاشتقاق التاريخي والرجوع بالكلمة إلى أصلها في كلمات أخرى أو في مناسبات أخرى .

من ذلك قوله عن السُّنْد بكسر أوله وسكون ثانيه ، وآخره دال مهملة " بلاد بين الهند وكرمان وسجستان . قالوا السُّنْد والهند كانا أخوين من ولد بوفير بن يقطين بن حام بن نوح ، يقال للواحد من أهلها سندي والجمع سند مثل زنجى وزنج ^(٤) " .

وكقوله " صَبَّاب بالفتح ثم بالتشديد وباء أخرى من صَبَّ

(١) المزهرى ج ١ ص ٢٥١ وما بعدها بتصريف .

(٢) اللغة ص ٢٢٧ .

(٣) كتاب الاشتقاق لابن دريد " المقدمة التي كتبها محققه — عبد السلام هارون " ص ٣٠ .

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٣ ص ٢٦٧ بيروت ١٩٥٥ .

الماء يصبُّ فهو صَبَّابٌ . جفرفى ديار بني كلاب كثير النحل (١) .

وكقوله " صباح بالضم ثم التخفيف ، قاله أبو منصور، رَجُلٌ أصبح اللحية الذي يعلو شعرَ لحيته بياضٌ مشرب بحمرة ومنه صبح النهار ، ومن ذلك قيل دم صباحي لشدة حرته . قال : عبيط صباحي من الحرف أشقر . وذو صباح موقع في بلاد العرب ومنه يوم ذو صباح ، وقيل صبح وصباح ما أن من جبال نملي لبني قريظ... (٢) .

لم يبق لنا إلا أن نبين معنى التصريف ، وأمره يمين فهو علم يَبْحَثُ فيه من أحكام بنية الكلمة العربية، وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك . (٣)

" وليس من التصريف عند جمهرة النحاة - تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة ، ليؤدي معاني مختلفة كالتصغير والتكسیر (٤) والتثنية والجمع والاشتقاق... " .

ويرى بعض النحاة أن التصريف أعمُّ من الاشتقاق لأن بنىء مثل تردد من الضرب يسمى تصريفا ولا يسمى اشتقاقا ، لأنه خاص بما بنته العرب (٥) .

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٨٩ .

(٢) السابق ج ٣ ص ٣٩١ .

(٣) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٢٩ .

(٤) النحر الوافي ج ٤ ص ٥٦٢ .

(٥) المزهر ج ١ ص ٣٥١ .

يحسن بنا بعد هذا العرض أن نجيب عن التساؤل الذي عرضنا له في أول الفصل .

إنَّ تصفية هذه الأفعال بالجامدة خطأ ، وذلك :

(١) لأنَّ الجمودَ والاشتقاقَ قسمان للاسم ، يدل على ذلك بيت الألفية في خبر المبتدأ عندما يكون جامدا .

والمفردُ الجامدُ فـسارغٌ وإنَّ
يُشتَقُّ فهو ذو ضميرٍ مُستَكِنٍ (١)

(٢) وأنَّ التصرفَ وعدم التصرفَ قسمان للفعل ، وقد اصطلح على ذلك جمهور النحاة في معظم كتبهم ، إلا أنَّهم عندما جاؤا إلى الأفعال موضوع بحثنا أطلقوا عليها الأفعالَ الجامدةَ . وهذا لبسٌ وقعوا فيه ، وربما كانوا يقدمون بالجامد عكسَ المتصرف ، وليس عكسَ المشتق .

(٣) وأنَّ هذه الأفعالَ ليست جامدةً ، بمعنى أنها لم تؤخذَ من غيرها ، أو أن الصورة التي عليها هي الصورة الأولى ، لا ، بل إنها مشتقةٌ ، أو قل إنَّ معظمها مشتق ، واشتقاقها يرجع في

(١) شرح ابن عقيل ٢٠٥/١ .

(٢) لا بد أن نفترض هنا أن الفعلَ فرحَ يستدر من الأصل ، أي إنَّ الفعلَ مشتق من المصدر ، موافقين في ذلك رأي البصريين : إذ إننا لو فرضنا العكس ، أي أن الفعل هو الأصل ، لكأنت كلُّ الأفعال جامدة غير مشتقة (اسم مفعول) ، وتكون هذه الصورة التي نراها عليها هي الصورة الأولى الأصلية ، ولا أصل لها قبل يُرجع إليه ، هذا إلى أننا في بحث سابق رأينا أن المصدر ربما كان هو الأصل ، ذلك لأنَّ الفعل إنما هو تجريد ، أي أنه فكرة غير مشخصة أو غير ملموسة مثل (أكل) ، أما الاسم فهو في بعض أحواله مشخص أو ملموس مثل (الأكل) . والملموس أو المشخص هو الذي يقرع الذهن أولاً ثم يأتي بعد ذلك المجرد (وانظر اللغة للفندريس ص ١٨١ ، وكتابنا "في علم اللغة التقابلي ص ١٥٥") دارالمعرفة الجامعية سنة ١٩٨٥ .

الأغلب الأعم إلى الاشتقاق بمعناه التاريخي Etymology، أي أن هذا الاشتقاق ليس جاريًا على سنن العرب كأن تشتق من الكلمة اسم فاعل أو اسم مفعول أو اسم مكان أو صفة مشبهة.... حسب القواعد المذكورة عندهم، بل إن الاشتقاق يستبين فيها بتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الكلمة أو تلك، وبمقارنتها — في بعض الأحيان — بكلمات أخرى من الفصيلة نفسها. وهو بحثٌ صعبٌ مرامُه عسيرٌ نوالُه، وليس في استطاعة الباحث تطبيقُه على كلِّ الأفعال.

ولنأخذَ مثلاً على ذلك الفعل (ليس)، فستجده مكوناً أو قُـلِّ مشتقاً من لا النافية بإضافة إلى فعل الكينونة في العبرية يـش فاصح (ليس) وهذا مطابقٌ لتعريف الاشتقاق عند العرب، فقد قالوا عنه "هو أخذُ كلمةٍ من كلمةٍ أو أكثر". وقد أخذنا هذا الفعل من كلمتين.

وقد فُطنَ إلى ذلك الخليل — رحمةُ الله عليه — عندما قال آيس ولا آيس. هذا مثالٌ، مثال آخر (نعم) آليست هذه المصادة الثلاثية دالةٌ على الترف وسعة العيش والرخاء.... بل هي كذلك، فليس غريباً إذاً أن يؤخذَ منها معنى المدح والاطراء في عصر من العصور. وإذا انتقلنا إلى نقيضها (بئس) وجدنا فكسرة الاشتقاق التاريخي متحققةً أيضاً، فالمادة الثلاثية تُشير إلى الضنك والضييق والبؤس والفقر وما إلى ذلك، فيرجعُ أنَّها في عصر من العصور استعملت في معنى متقاربٍ لهذه المعاني وهو الذم، ثم استمرَّ هذا المعنى مستعملاً إلى الآن.

ثم نأتى إلى حَبَّاءِ وهى حَبَّ وذا وقد كُتبت كلمةً واحيدةً وكانت فى الأصل كلمتين ، فأما (حب) فواضح أن معنى الممدوح قريبٌ منها، بل ملتصقٌ بها ، وأما (ذا) فهو اسمُ إشارة يدل على الشيء المحبوب الذي أُشير إليه ونظن أنهما كانتا منمغلتين (حب + ذا) ثم إنَّه بتطور الاستعمال اتطعت الذال بالياء ، فأصبحتا على هذه المروءة (حَبَّاءِ) . ولو أن الياء كانت حرفاً آخرَ لا يتصل بها بعده كالراء مثلاً لبقينا منمغلتين .

والفعل (لا يكون) انتزع من استعماله كفعلٍ ناقصٍ ، ووضَّح فى أساليب الاستثناء على حالته تلك دون أن يتحداهما إلى صورة أخرى . ويدل على هذا (الانتزاع) أنه محدودُ الاستعمال ، إنَّ لم يكن نادره فى أسلوب الاستثناء ، وهذا لم يَنَمَّ فى فترة محدودة بل هو نتيجةٌ للتطور فى الاستعمال .

وهكذا إذا تتبعنا معظم الأفعال غير المتمرفة نجد أنها فى الأغلب ترجَّح إلى كلمات لها صلةٌ القربى فى المعنى أو فى التركيب بهذه الأفعال ، ثم اشتقت منها فى زمن ما ، ثم صارت شائعةً مستعملةً .

وقد قلَّت غير المتمرفة وهى تشبه صريحة ، لأن المقصود بذلك أنها لا تتصرف ، أى لا تأتى فى الأزمنة المختلفة كالماضى والمضارع والأمر وباقي التصاريف كاسم الفاعل واسم المفعول ... الخ . بل تأتى على صورة واحدة أو صورتين . وقد قلَّت (معظم الأفعال) و (فى الأغلب الأعم) ، لأنَّ هناك أفعالاً لا صلة بينها وبين ما أخذت منه . وإلا فما العلاقة بين المادة الثلاثية

(كرب) والفعل (كرب) بمعنى دنا ؟^(١) وما العلاقة بين (عسى)
كفعل من أفعال الرجاء وبين ما تدل عليه هذه المادة وهو الكبر :
يقال عسى الشيخ يعسو أي كبر وضعف وقلَّ بصره^(٢) .

وبعد أن أجملنا القول في هذه الأفعال من حيث عدم التصرف أو
الجمود ، وراينا أن وصفها بغير المتصفة اليق وأحسن : لأن الجمود
ليس من طبيعتها ، نذكر أن كل فعل منها كان مشتقاً أو مأخوذاً
من كلمة أو كلمتين - أقول ، بعد أن فعلنا ذلك نتناول هذه
الأفعال بالدراسة طائفة طائفة ، ونبدأ بتلك الأفعال التي تنتمي
إلى باب النواسخ في النحو .

! ! ! ! !
! ! !
!

-
- (١) ربما تكون العلاقة في اللفظ فالكلف والقاف من مخرجين متقاربين
وسنبين ذلك بالتفصيل في موضعه إن شاء الله .
(٢) سيأتى بحث هذه الأفعال كلّ على حدة في موضعه .

الفصل الثاني

كتمان وأخواتها

أول ما يقابلنا من الأفعال غير المتمرفة في هذا الباب هما
الفاعلان ، وليس .

فأما الأول (كان) فهو غير متصرف في استعمال واحد خاص
به ، وليس في كل استعمالاته ، ذلك أنه كفعل ناقص ناسخ له كل
أنواع التصاريف .

فالماضي (كان) كقوله سبحانه وتعالى « ودمرنا ما كان يفتخ
لبرعون وقومه »^(١) .

والمضارع والأمر كقوله سبحانه وتعالى :
كن فيكون .^(٢)

واسم الفاعل كقول الشاعر :
وما كل من يُبدي البشارة كائنًا
أخاك ، إذا لم تُلِفْه لك متجدًا .^(٣)

والمصدر كقول الشاعر :
بهذل وحليم ساد في قومه الفتى
وكونك إياه عليك يسيرًا .^(٤)

-
- (١) آية ١٣٧ من سورة الأعراف .
 - (٢) آية ٤٧ من سورة آل عمران .
 - (٣) ابن عقيل ح ١ ص ٢٦٩ .
 - (٤) ابن عقيل ح ١ ص ٢٧٠ وهذا البيت والذي قبله من الشواهد
التي لم ينسبوها إلى قائل معين .

أما الاستعمال الخاص الذي نلصقه فهو (لا يكون) في أسلوب الاستثناء ، ويكون الفعل في حالة المضارع دون الماضي أو الأمر مسبوقة بحرف النفي (لا) دون غيره من حروف النفي نحو ما ، ولم . فـ (لا يكون) دون غيره من التعاريف الأخرى هو الذي يستعمل في أسلوب الاستثناء .

أما الثاني فهو (ليس) وهو غير متصرف في كل الأحوال : أي إذا استعمل فعلا نائبا أو استعمل في أسلوب الاستثناء . ونلاحظ أن أماليق الاستثناء التي جاءت مستخدمة هذين الفعلين قليلة جدا بل نادرة ، مما يدل على أنها ولها أملا للنسخ لا للاستثناء ، فمن شواهد استعمالهما للاستثناء قول ربيعة :

عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّبِيسِثِ إِذَا ذَهَبَ الْكِرَامُ لَيْسَ^(١)

وقوله عليه الصلاة والسلام " يُطِيعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ ظُلُقٍ لَيْسَ الْخِيَانَةُ وَالْكَذِبُ " . وهذا الشاهدان وردا في جميع الهوامج في باب الاستثناء بـ ليس ولا يكون ، كما ورد بيت ربيعة في المصنف حسرت^(٢) الخفاف دون أن يستشهد به ابن هشام على الاستثناء بـ ليس ، كما نقلوها (البيت والحديث) الأستاذ عباس حسن في النسخ الوافي^(٣) . ولقد أورد ابن هشام في المصنف حديث رسول الله

(١) سنين بعد الليل أن كان فعلا أو حرفا .

(٢) عديد الطيس أي الرمل الكثير وقد استشهد به ابن هشام في حرف الخفاف ص ٢٢٧ وفي الخزانة ٤٦٥(٢) ٤٥٤-٢٠ .

(٣) جميع الهوامج ص ٢٢٥ .

(٤) المصنف ص ٢٢٧ .

(٥) النحو الوافي ص ٢ ص ٢٥٨ .

على الله عليه وسلم " ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذتُ عليه
 ليس أبا الدرداء " وقد قال محققُ المغنى إنه بحثَ عن هذا
 الحديث في كتب الصحاح فلم يجده^(١) . كما أنى بحث في صحيح
 مسلم عن الحديث الأول " ... ليس الخيانة والكذب فلم أجده ،
 ووجدته في إحياء علوم الدين للفرغى بنصٍّ آخر هو " كل خصلة
 يُطبع عليها المؤمنُ إلا الخيانة والكذب^(٢) " . فلم يستعمل
 (ليس) .

أما ما جاء في كتب النحو مثلاً على ذلك فهو نحو " أتاني
 القومُ ليس زيدا و (لا يكون زيدا) (وقام القومُ ليس زيدا)
 و (لا يكون زيدا)^(٣) " .

ويدل على أنهما وفعا أملاً للنسخ بالإضافة إلى ما ذكرناه
 أن إعرابهما في أسلوب الاستثناء مطابق تماماً لإعرابهما عندما
 يكونان ناسخين . قال السيوطي في شرحه على بيت روبة " وقوله
 (ليس) ، أي ليس الذاهب أي أي ، فاسمُ (ليس) مستترٌ فيهما
 وخبرها الضميرُ المتصلُ بها^(٤) " . ونجد أن هذا الإعرابَ متحققاً أيضاً
 في قولهم (قام القومُ لا يكون زيدا) فتأويلُهُ عندهم (قام القوم
 لا يكون بعضهم زيدا)^(٥) .

(١) المغنى ص ٢٨٧ (الهامش) .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٢٢ ج ١ عيسى الحلبي مصر .

(٣) انظر مثلاً سيبويه ج ١ ص ٢٧٦ وابن عقيل و ج ١ ص ٦١٦ .
 والأشموني ج ٢ ص ١٢٥ .

(٤) شرح شواهد المغنى ص ١٦٧ .

(٥) هناك إعرابان آخران يذكرهما النحاة في مرجع الضمير المستكن

ولكن لماذا استخدم هذان الفعلان دون غيرهما من النواسخ في أسلوب الاستثناء ؟ والاجابة عن هذا السؤال تتضح بعهد أن نعرف معنى هذين الفعلين ، إذ إن معنبيهما واحد وهو عدم الوقوع أو عدم الحدوث أو بمعنى آخر نفى الكون المطلق . ولنبيين تفصيل ذلك .

فأما الفعل الاول (يكون) فهو في أصل معناه دال على الحدوث والوقوع والثبات والإيجاب ، وهذا المعنى يتضح عندما نستعمله تاما مثل (كان الله ولا شيء معه) ومثل قوله تعالى " وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ " (١) . ومما يدل على الثبات والرسوخ قوله تعالى " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ " (٢) وتقول " كان عبدالله ، أي خلق عبدالله ، وقد كان الأمر أي وقع الأمر " (٣) .

ويتضح هذا المعنى أيضا عندما نقارن العربية بغيرها من الساميات فالفعل ܐܝܢ في العبرية يعني الرسوخ أو الوقوف فـ ܐܝܢ شبات ، وكلمة ܐܝܢ فيها بمعني (نعم) وهي تدل على الإيجاب . كما أن في (لايكون) (ليس) : الأول أن المرجح اسمُ الفاعلِ الماخوذ من الفعل أي قام القوم لا يكون القائم زيدا ، والثاني أن المرجح الفعلُ السابقُ العاملُ في المستثنى منه ، أي قام القوم لا يكون هو (أي القيام) قيام زيد . وواضح ما في هذين الوجهين من التكلف وانظر الهامشين السابقين .

(١) آية ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤١ من سورة الحج . والشاهد في (مكناهم) .

(٣) الكتاب ١ ص ٢١ .

هناك فعلين آخرين وهما ܐܬܝܢ في السريانية و ܐܬܝܢ في العبرية بمعنى (كان) ويقابها في العربية هوى أو سقط أو حدث ، وهذا الرأي مبنًى على أن (وقع) لها معنيان في العربية : معنى السقوط كقولك وقع على الأرض ، ومعنى الحدث كما في قوله تعالى "إذا وقعَت الواقعة" (١) ؛ (٢).

هذا عن المادة (كون) فماذا عن (ليس) ؟ إن الاشتقاق التاريخي Etymology يُرينا أنَّ الفعلَ ليس في الأصل مكونٌ من شقين : الأول (لا) النافية والثاني الفعل (أيس) التي تدل على الكون المطلق أو الوجود أو الحياة . وهذا الأصل يفتح كلَّ الموضوع في قول العرب "أشتني به من حيث أيس وليس ، أي من حيث هو ولا هو" (٣) . وقولهم "لا يَعْرِفُ آيَسٌ مِنْ لَيْسَ" ، أي لا يعرفُ ما يكون مما لا يكون (٤) وهذا الأصل فُطنَ إليه الخليل بن أحمد عندما رأى أن (ليس) مكونة من لا أيس فطرحت الهمزة وأُلزمت اللام بالياء (٥).

ويُفتحُ هذا المعنى أيضا عندما نقارن بين العربية وغيرها من الساميات ففي العبرية לֹא وهي أداة النفي لا ، ثم أُضيفَ إليها

(١) المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها ، والموازننة بين اللغات السامية تأليف محمد عطية الأبراشي وآخرين ص ٣٢٩ . المطبعة الأميرية بولاق .

(٢) الآية الأولى من سورة الواقعة . وهذه المعاني عرفنا لها في كتابنا النواسخ الفعلية والحرفية ص ٤٣ . دارالمعارف . ١٩٨٣ .

(٣) اللسان مادة ل ي س .

(21) W. Wright: A Grammar of Arabia Language P.96 V 11

(٥) اللسان مادة ل ي س .

٤٧٢ (بمعنى يوجد أو يكون) ، وفي الآرامية ܐܝܬܐ وهي مكونة من لا (حرف نفي) وايت وهو فعل الكينونة . على أننا فـ (١)
العربية لا نستعمل الفعل (آيس) منفردا ، بل لا بد أن يكون قبله الحرف (لا) (٢) .

من هذا كله يتضح أن الأصل في (لا يكون) و (ليس) إنما هو نفي الوجود أو الكون المطلق أو الوقوع بوجه عام ، وليس هذا في العربية فحسب . بل في غيرها من الساميات . وهذا النفي العام دون تحديد للمنفى هو الذي سوغ للنحاة أن يقولوا بأنها جاءت في بعض الأساليب للاستثنا .

وربما كانت هناك علاقة بين نفي الكون المطلق الذي يفيد أنه ليس ولا يكون وبين (نص في النفي) أو (الجحد) (٣) اللذين ذكرهما النحاة ورأوا أن (ليس) و (لا يكون) يفيدانهما ، ومن ثم جاز الوصف بهما (أي بليس ولا يكون) بعكس (عدا ، وخلا) اللذين لا يفيدان ذلك فلا يوصف بهما .

يقول السيرافي فيما نقل عنه السيوطي " أجازوا الوصف بليس ولا يكون لأنها نص في النفي عن الثاني وهو معنى الاستثنا ، وليس ذلك في عدا وخلا إلا بالتضمن ، فلم يوصف بهما ؛ لأنهما

(١) التطور النحوي لبرجستراسر ص ١١١ .

والفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لجورجي زيدان ص ١٠٦ ط دار الهلال ١٩٥٨ . والنواسخ الفعلية والحرفية ص ٢١٠ و ٢١١ .

(٢) الجحد بمعنى الإنكار وهناك ما يسمى بلام الجحد قبل (ما كان) مثل قوله سبحانه وتعالى " لم يكن الله ليفقر لهم " النساء ، ١٢٧ ، ١٦٨ . وانظر المغنى حرف اللام ص ٢٧٨ .

ليس في موضع جِدِّ فلا يقالُ ما أتتني امرأةٌ عدَّتْ هنداً أو
خلَّتْ هنداً ^(١) .

والى مثل ذلك ذهب ابنُ يعيشَ في شرحه على مفصل الزمخشري
حيث يقول : " قد يكون (ليس) و (لا يكون) وصفين لمسا
قبلهما من النكرات تقول أتتني امرأةٌ لا هنداً ، فموضع
لا تكون (رفع) لأنه وصف لامرأة ، وكذلك تقول في النصب والجر :
(رأيت امرأةً ليست هنداً ولا تكون هنداً) و (مررت بامرأة
ليست هنداً ، ولا تكون هنداً) .

" ولا بوصف (بخلا وعدا) كما وصف (بليس ولا يكون)
فلا تقول (أتتني امرأةٌ خلَّتْ هنداً) وعدت جملاً ، وذلك أن (ليس
ولا يكون) لفظهما جدد ، فخالف ما بعدهما ما قبلهما ، فجرياً
في ذلك مجرى غير ، توصف بهما كما وصف بغير ، وأما خلا وعدا
فليس كذلك ، وإنما يستثنى بهما على التأويل ، لا لأنهما جدد ^(٢) .

ولم يختلف النحاة في أنَّ (لا يكون) فعلٌ ، ذلك أنه متصرف
كلَّ التصرف إلا في هذا الاستعمال الذي نحن بصدده في الاستثناء ، وأما
الخلا فكان في (ليس) : هل هي فعلٌ أو حرف ؟

وقد ورد هذا الخلاف في الإنصاف لابن الأنباري ، ولكنه لم
يردَّ بطريقة مباشرة بل قرَّنه بطريقة غير مباشرة تحت عنوان
" هل يجوز تقديم خبر (ليس) عليها " ^(٣) ؟ جاء في الإنصاف :

(١) معجم الهوامع ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) المفصل ج ٢ ص ٧٨ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ج ١ ص ١٠٣ .

" ولا يجوزُ تقديمُ خبرٍ ليسَ عليها والذي بَدَلُ على هذا أن (أيس) في معنى ما ، لأنَّ ليس تنطفي الحال كما أن ما تنطفي الحال ، وكما أن (ما) لا تتصف ولا يتقدم معمولها عليها فكذلك ليس ، على أن من النحويين من يغلَّبُ عليها الحرفية ويحتج بما حكى بعضُ العرب أنه قال (ليس الطَّيِّبُ إِلَّا المسك) فرفع الطيب والمسك جميعا ، وبما حكى أن بعضَ العرب قد قيل له (فلان يتهددك) فقال (عليه رجلا ، ليس) فأتى بالياء وحدها من غير نون الوقاية ، ولو كانت فعلا لوجب أن يأتِيَ بها كسائر الأفعال " (١) أ. هـ .

وانظر الى استعماله الفعل (يغلَّب) في قوله " ومن النحاة من يغلَّب عليها الحرفية " ولم يقل " يقرر أنها حرف " . إنَّ هذا دليلٌ على أن هناك ترجيحاً بين الحرفية والفعلية ، أو أنها جمعت بين الاثنين إلا أن الحرفية قد غَلَبَتْ عليها . وهذا يدل بالتالي على أنهم قد نظروا إلى أصلها عندما قالوا ذلك وعرفوا أنها مكونة من الحرف (لا) والفعل (أيس) .

هذا من الكوفيين ، أما البصريون فرأوا أنها فعل ، ولم يقولوا بتغليب الفعلية عليها " بدليل إلحاق الضمائر وتاء التانيث الساكنة بها ، وهي تعمل في الأسماء المعرفة والنكرة الظاهرة والمضمرة كالأفعال المضمرة " (٢)

وهناك شواهدٌ كثيرةٌ ، غير التي ذكرها الكوفيون نجسـدُ

(١) الإنصاف ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) الإنصاف ج ١ ص ١٠٤ .

(ليس) فيها مستعملة استعمال الحرف حتى إنك لو استبدلت بها حرفاً مثل (ما) أو (لا) لم تلحظ ذلك كالقول الذي أورده سيوريه " ليس خلق الله مثله " ^(١) . وكقول ابن عمر رضي الله عنهما : " كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون ، فيتحننون الصلاة ، ليس يُنادى عليهم ، وكقول الشاعر : ^(٢)

هي الشفاء لدائي لو ظفرتُ بها * * * وليس منها شفاء النفس مذول ^(٣)

وكقول أبي الطيب :

وزاشرتي كأنَّ بها حياءً * * * فليس تزورُ إلا في الظلام ^(٤)

وما ورد في الحماسة

تمنّى لي الموت المعجل خالدٌ * * * ولا خيرَ فيمن ليس يعرف حُسده ^(٥)

فكل هذه الشواهد استعملت فيها ليس استعمال الحرف . ^(٦)

(١) الكتاب ١ ص ٣٥ .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ١٣٩ .
تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي دار العروبة بمصر
سنة ١٩٥٨ .

(٣) الكتاب ١ ص ٣٦ و ٧٣ . وقائله هشام بن عتبة أخو ذي الرمة .

(٤) الديوان : شرح المكبري ط الحلبي ١٩٥٠ ج ٤ ص ١٤٦ .

(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي صبيح
سنة ١٩٥٥ ج ١ ص ٢٣٢ .

(٦) عدا بين المعتنبي فهو مثال وليس شاهداً .

ولكن ماذا نمنع بالأدلة التي ذكرها البصريون على أن (ليس) فعلٌ، إذ يتصل بها الفمائر وتاء التانيث الساكنة وتعمل فـ في الأسماء... إلى آخر الأدلة التي ذكروها . ٩

الحقيقة أن اللغوي لا يستطيع أن يرفع حداً جامعاً مانعاً لكل ألفاظ اللغة، بحيث يُرفع كل لفظ تحت عنوانٍ محددٍ : اسمٍ أو فعلٍ أو حرفٍ، ذلك أن الحدود اللغوية إنما وفعت بوجه عام، ولم تنفح في الحسان وجود كلمةٍ مثل (ليس)، لها قدرٌ من خصائص الحروف وقدرٌ من خصائص الأفعال . ومن غير الممكن أن نرفع تعريفاً جامعاً مانعاً لها ولأمثالها، أي جامعاً لها ولأمثالها، مانعاً غيرها من الدخول في هذا التعريف .

واكتسابها قدرًا من خصائص الحرف وقدرًا من خصائص الفعل يرجع إلى الأصل فيها، فهي كما ذكرنا مكونة من حرف (لا) وفعل (أيس) .

وهذا لا يمنع من القول إنَّ الحرفية غلبت عليها . ويرى الدكتور مهدي المخزومي أنَّ ما يربطها من الفعل بنسب (كالحقاق الفمائر وتاء التانيث الساكنة بها) إنما هو " من بقايا استعمالها القديمة التي كان لليس فيها ما للفعل من دلالة على حدثٍ واقترانٍ بالدلالة على زمنٍ، وقد فقدت كلَّ هذه الدلالات، وأصبحت في الاستعمالات المتأخرة، لا تدلُّ إلا على ما تدلُّ عليه (ما) فـ في النفي " (١) .

(١) في النحو : نقد وتوجيه ص ٢٥٨ ط بيروت ٩٦٤ .

دام

والفعلُ (دام) متصرفٌ وله كثيرٌ من المعاني والاشتقاقات ومضارعُه يدوم ، والمصدرُ دَواما ودَوماً وديمومةً ، واستدام الشيء أي استمر دَوامه ، ودامت السماء تديم ديماء ، أي استمر مطرها . وأرضٌ مَدِيمَة ومَدِيمَة ، أصابها الديم ، والمدام المطر السدائم و (الخمير) .

والديموم والديمومة الغلاة يدوم السير فيها لبعدها ، ودَوم الطائرُ إذا تحرَّك في طيرانه ، وقيل دَوم الطائر إذا سَكَن جناحيه (١)
كطيران الحداء ...

فها نحن نرى كثيراً من المعاني والاشتقاقات لهذه المسادة فما بالُ الفعلِ (دام) كفعل ناقص من أخوات (كان) غير متصرفي ، فقد جاء في زمن الماضي ليس غير ؟ قال الله سبحانه وتعالى : " وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً " (٢)
إن الشواهدَ جميعها تؤيدُ مجيءَ (دام) في زمن الماضي مسبوقاً بـ (ما) المصدرية الظرفية فـ (ما دمت حياً) أصلُه مدة دوامي حياً ، فحذف الظرف وخلفته (ما) وصلتها ، كما جاء في المصدر المريح نحو (جئتكَ صلاةَ العصر) ر (آتيكَ قدومَ الحاج) (٣) .

(١) اللسان ج ١٥ ص ١٠٨ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) المعنى ص ٤٠٠ فصل (ما) .

(ما) هذه لها شأنٌ كبيرٌ في تفسيرِ عدمِ تصرُّفِ الفعلِ (دام) ،
ذلك أنَّ (ما) المصدريَّةَ الظرفيَّةَ لا تدخلُ في الأغلبِ الأعم إلاَّ على
الفعلِ الماضي . قال ابنُ عقيل " ومنها - أي من الموصولات الحرفية -
(ما) وتكون مصدريَّةً ظرفيَّةً نحو (لا أصبحُك مادمتَ منطلقاً) ،
أي مدةً شوايك منطلقاً ، وهما ظرفيَّةٌ نحو (عجبت مما ضربت زيدا)
وتُوصَلُ بالماضي كما مثَّلَ والمضارع ، نحو (لا أصبحُك ما يقوم
زيد وبالجملَةِ الاسمية نحو (عجبت مما زيد قائم)^(١) .

فمثَّلَ للمصدريَّةِ بالماضي والمضارع والجملَةِ الاسمية ، ولم
يذكر إلاَّ الماضي في المصدريَّةِ الظرفيَّةِ ، على أنه قد ذكر ذلك
صراحةً عندما قال " وأكثرُ ما تُوصَلُ الظرفيَّةُ المصدريَّةُ بالماضي أو
بالمضارع المنفي بلم^(٢) " نحو (لا أصبحُك ما لم تضربَ زيدا)
وبقِلَ وصلُّها بالفعل المضارع الذي ليس منفيًا بلم نحو (لا أصبحُك
ما يقوم زيد) ومنه قول الشاعر :

أَطَوُّ مَا أَطَوُّ شُمَّ أَوَى

إلى بيتٍ قعيدتُهُ لَكَاع^(٣)

ومن شواهدِ دخولِ (ما) المصدريَّةِ الظرفيَّةِ على الفعلِ الماضي

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) وإنما كان تعيينه بالمضارع المنفي بلم ، لأنَّ (لم) تقلبُ
المضارعَ إلى زمنِ الماضي وليس بعيداً عنا قولُ النحاة : لم
حول نفى وجزم وقلب .

(٣) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٣٩ والبيت ينسب إلى الحطيثة هو من
شواهد ابن عقيل رقم ٢٥ والشاهد رقم ٣٧ لابن هشام في
الشدور، وذكره أيضاً في آخر باب النداء في أوضح المسالك ج ٢
ص ١٨٠ .

وهو الغالبُ كما قلنا قولُ الله سبحانه وتعالى " إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ " و " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ " ^(١)
^(٢)

وقول امرئ القيس :

أجارتنا إِنْ الْخُطُوبَ تَنْسُوبُ * * * وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ ^(٣)

فسبق دام بـ (ما) الممدريّة الظرفيّة هو الذي أوقف الفعل
(دام) عند الماضي لا يتجاوزُه إلى غيره من الأزمنة، حتى لو كان
المضارع مستعملاً قليلاً أو نادراً . ومن هنا لم يفرّق الضبان بين
الماضي والمضارع والممدّر في استعمالها ناقمةً ، ولعله أيضاً
نظر إلى بيت الحطيئة :

أطوّفَ ما أطوّفُ

عندما قال - أي العبد - " وَلِي بِالْأَقْدَمِينَ وَمَنْ وَالْقَهْمِ
أَسْوَةٌ لِعَدَمِ ظَهْوَرِ الْفَرْقِ بَيْنَ قَوْلِكَ : لَا أَكْلَمُكَ مَا دَمَتَ عَاصِيَا
وقولك : لَا أَكْلَمُكَ مَا تَدُومُ عَاصِيَا ، بل المحيِّجُ عندي أن لهذا
مصدرًا أيضًا ، بدليل أنهم شرطوا سبق (ما) الممدريّة الظرفيّة
عليها ، أو على دام ومن المعلوم أن (ما) الممدريّة تتّوَل مع ما
بعدها بمصدر ، وأن هذا المصدر مصدرٌ هــ
وقد وقع هذا المصدر في عبارات كثيرين كالشارح

(١) هود - ٨٨ .

(٢) التفتابن - ١٦ .

(٣) البيت لامرئ القيس في الديوان هـ ٧١ . شرح حسن السندوي ،
التجارية الكبرى سنة ١٩٥٣ .

(٤) يقدم والقهم على أن ماضيها ومضارعها كليهما مستعملان .

عند قول المصنف كَأَعْطِ .. الخ ، فلا يقالُ إِنَّهَا مع ما بعدها نسي
 تأويل مصدر مقدر لا موجود ، والحكم عليهم بأن ذلك منهم اختراع
 لِمَا لَمْ يَرِدْ عن العرب جورٌ وسوءٌ ظنٌّ ، فإذا قلت : أُحبك مـسـدـةً
 دوايك مالحا ، كان دوام مصدر الناقصة ومالحا خبره ، مثل : أُحبك
 ما دمت مالحا . والفرق تحكمٌ محققٌ فتدبرُ " (١)

والصَّبَانُ مصيبٌ في كلِّ ما قاله ولكن من الناحية المعنوية
 ليس غير ، أما من ناحية الشكل ، أقصد شكل الاستعمال فإنَّه
 اقتصر فيه على استعمال الفعل (دام) في حالة الماضي في الأغلب
 الأعم ، ونادرا ما يستعمل غيره .

-
- (١) يقصد عند قول الأشموني شرحا لقول ابن مالك : كأعط مـ
 دمت مصيبا درهما : أي مدة دواملك مصيبا .
 (٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ج ١ ص ١٨٩ .

سارال وما انفلك وما فتى وما برح

ويبقى بعد ذلك من أخوات كان : زَالْ وَأَنْفَكَ وَفَتَى وَبَرَحَ
ويجمع بينها ثلاثة أمور :

الأول : أن تصرفها غير كاملٍ فلم يستعمل منها الأمرُ أو الممدرُ .
الثاني : أن كلاً منها لابد أن يسبقه نفيٌ أو شبهه لفظاً
أو تقديراً .

الثالث : أن كلَّ هذه الأفعال تعطي معنى واحداً وهو الزوال ، أو
الذهاب أو المضي أو الترك ، فكاننا عندما نُدْخِلُ عليها
حرف النفي نطبق القاعدة التي تقول " نفي النفي إثبات " ،
ومن ثمَّ نهى تدلُّ على الاستمرار .

فأما الفعلُ الأولُ وهو زال من الزوال وهو الذهاب والاستحالة
والاضمحلال^(١) . وزاله وانزال عنه فارقه . والزائلة كل ذي روح أو
متحرك ، فنهايته إلى زوال^(٢) .

وأما الفعلُ الثاني انفلك بمعنى انفصل ، تقول فككت الشيءَ
فأنفك بمنزلة الكتابِ المختومِ تُفكُّ خاتمته ، كما تفك الحكيمن
تفصل بينهما ، وفك الرهن يفكه فكاً ، وكلُّ شيءٍ أطلقته ففك
فككته ، وفك الأسير فكاً فمله من الأسر . قال تعالى " لم يكن الذين

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٤٠٢ .

(٢) اللسان ج ١٣ ص ٣٢٣ .

تَفَرُّوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ^(١) . أَيِ
مُنْتَهِيَةٍ عَنْ كُفْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ ، وَقَالَ الْأَخْفَشُ : مُنْفَكِينَ :
رَاضِينَ عَنْ كُفْرِهِمْ ^(٢) .

وَأَمَّا الْفِعْلُ الثَّالِثُ فَلَهُ لُغَتَانِ مَا فَتَحَتْ وَمَا فَتَاتَ أَذْكَرُهُ
بِالْكَسْرِ وَالنَّصْبِ (يَقْعِدُ الْفَتْحَ) وَمَا أَفْتَاتَ تَمِيمِيَّةٌ ، أَيِ مَا بَرَحَتْ وَمَا
زَالَتْ وَلِي نَوَادِر الْأَعْرَابِ : فَتَحَتْ عَنِ الْأَمْرِ أَفْتًا إِذَا نَسِيَتْهُ وَانْقَدَمَتْ ^(٣).

وَأَمَّا الْفِعْلُ الرَّابِعُ الْأَخِيرُ وَهُوَ يَرْجَحُ وَيُرْوَحُ أَيِ زَالَ ،
وَيَرْجَحُ فَلَانِ مَكَانَهُ أَيِ زَالَ عَنْهُ وَبَرَحَ الْأَرْضَ فَارَقَهَا قَالَ تَعَالَى " فَلَنْ
أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي آبَى " ، وَقَالَ تَعَالَى " لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ
عَاكِفِينَ " ^(٤) أَيِ لَنْ نَزَالَ ، وَبَرَحَ الْخَفَاءُ أَيِ زَالَ ، وَالْبَارِحَةُ أَيِ الَّتِي
زَالَتْ وَمَضَتْ وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ أَيِ بِاللَّيْلَةِ
الَّتِي مَضَتْ وَزَالَتْ ^(٥) .

فَالْأَفْعَالُ الْأَرْبَعَةُ تَعْطَى مَعْنَى الزَّوَالِ وَالْتِلاشِ وَالنَّسْيَانِ
وَالْمُضْيِ وَالذَّهَابِ فَإِذَا أَدْخَلْنَا عَلَى هَذِهِ الْمَعْنَانِ حُرُوفَ النِّفْيِ (مَّا)
دَلَّتْ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ وَالْإِتِّعَالِ كَمَا بَيْنَا مِنْذُ قَلِيلٍ .

وَلَقَدْ أَثْبَتْنَا هَذِهِ الْأَفْعَالَ فِي بَحْثِنَا ، لِأَنَّ الْأَمْرَ وَالْمَعْدَرِ
لَمْ يَسْتَعْمَلَا مِنْهَا ، هَذَا أَمْرٌ طَبْعِيٌّ يَسْتَدْمِيهِ دُخُولُ النِّفْيِ قَبْلَهَا ،

(١) الْبَيِّنَةُ - ١ .

(٢) اللِّسَانُ ج ١٢ ص ٣٦٣ .

(٣) اللِّسَانُ ج ١ ص ١١٤ .

(٤) آيَةُ ٩١ سُورَةِ طه .

(٥) اللِّسَانُ ج ٣ ص ٢٣١ .

فأما عن الأمر فإنّ (لا) النافية بوجه عام لا تدخلُ عليه ، إذ إنه حينئذ يصبح فعلاً مضارعاً مجزوماً بلا النافية قبله ، نحو العسبُ ولا تلعبُ ، وكذلك الحالُ في تلك الأفعال ، فالأمر من زال ؛ زال فاداً أدخلنا (لا) قبل الأمر صار بمثابة نهى وصار الفعل بعدها مضارعاً مجزوماً بها كقول الشاعر :

صاحِ شمرٌ ولا تنزلْ ذاكرَ العسبِ
ت ، فنسيانهُ ضلالٌ مبيهنٌ (١)

أو بقيتْ نافيةً والفعلُ بعدها يكون مضارعاً مرفوعاً كقول الشاعر :

فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسيَ لديكِ وأوصالي (٢)
أي لا أبرحُ ، وقوله سبحانه وتعالى " تَاللّهِ تَفْتَوُ تَذْكُرُ يوسفَ " (٣) . أي لا تفتوه . وأما (ما) النافية ، فهي لا تدخلُ على الأمر .

ولما كان المضارع يُضارعُ اسمَ الفاعلِ جاز استعمالُ اسمِ الفاعلِ من هذه الأفعال كقول الشاعر :

(١) غيرُ معروفٍ قائله وهو من شواهد الأشموني : الشاهد رقم ١٧٢ .

(٢) القائل امرؤ القيس من قصيدة أولها :
أَلَا يَمُّ صَبَاحاً أَيُّهَا الظِّلُّ الْبَالِي . وهل يَعِمَّنْ مَنْ كَانَ فِي الْعَمْرِ الْخَالِي
وهي في الديوان ص ١٥٨ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ .

(٣) يوسف - ٨٥ .

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ رَأْسًا
أُحِبُّكَ حَتَّى يُغْمَضَ الْجَفْنُ مَغْمَضًا (١)

وأما المصدرُ فإنَّ استعماله ناقصا ، أي عاملاً عملَ (كان) أمرٌ
لم يجرِ الاستعمالُ به ، لأنَّ التركيبَ حينئذٍ لا يسمحُ بذلك والمعنى
لا يَتَأَتَّى ، ففي البيتِ السابق إذا حاولنا استعمالَ المصدرِ للتعبيرِ
عن المعنى الذي قصده الشاعرُ نقول : ولا زوالَ لى فى حبِّك أو عمن
حبِّك . ووافق ركازة التركيبِ وبعْدُ المعنى المقصودِ .

بل إن (كان) - وهى التى لا يُشترط لاستعمالها ناقصةٌ سبقها
بنفى أو شبهه - قلما يُستعمل مصدرها عاملاً عملها ، وقد جاء
ذلك فى بيتٍ لم يردِّد النحاةُ غيره ولا يُعرَفُ قائله وهو :

بهذلِّ وجِلِّمِ سادَ فى قومه الفتى
وكونك إياه عليك يسيّر (٢)

(١) القائل الحسين بن مطير بن مكل وهو الشاهد رقم ١٨٢ من
شواهد الأشموني .

(٢) الشاهد رقم ١٨١ من شواهد الأشموني و ٦٤ من شواهد ابن
عليق .

الفصل الثالث

الفصل الرابع

أفعال المقاربة

وهي كاد وكَرَبَ وأوشك . فاما كاد فهو لعل شبه متصرف ، أي
أنه يأتي على صورة أخرى غير الماضي (كاد) ، وهي (يكاد) ، مع
أنَّ مِنَ النحاة مَنْ يَأْخُذُ بِبَيْتِ كَثِيرِ عِزَّةٍ :
أَمُوتُ أَسَى يَوْمَ الرَّجَامِ وَإِنَّنِّي
يَقِينًا لِرَهْنٍ بِالَّذِي أَنَا كَائِدٌ

(١) دليلاً على استعمال اسم الفاعل من (كاد)

وأغلب الظنَّ أنَّ (كاغد) هنا ، إنما جاءت لإقامة القافية
ولتوفيق حرف الروي ، ثم رأتى يرجوعى إلى الديوان وجدت قوماً
يبرون البيت منتهياً به (كاغد) بالباء ، معاً ينفي الشاهد على
استعمالهم اسم الفاعل من (كاد) ، بل يستعملون الماضي والمضارع ليس
غير ، على أننا لا نستطيع أن نقول إن استعمالهم الماضي أكثر من
استعمالهم المضارع ، ولا العكس أيضاً ، بل إن هناك شبه تساوي في
الاستعمالين . فقد أحصيت الآيات التي ورد فيها الماضي (كـ كـ كـ)
فوجدتها عشر آيات^(٢) ، والآيات التي جاء فيها المضارع (يكاد)

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٣٩ .

(٢) ديوان كيثر عزة ص ٣٢٠ جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار
الثقافة بيروت ١٩٧١ .

(٣) هي : من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ١١٧/التوبة ، إن
كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا ٤٣/الفرقان ، إن كانت
لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ١٠/القمر ، فذبحوها
وما كادوا يفعلون ٧١/البقرة ، إن القوم استخفوني وكادوا

أربع عشرة آية^(١) .

وقد رأى بعض النحاة أن نفي المضارع أي (يكاد) نفياً ،
ولكن نفي الماضي (كاد) إثباتٌ بدليل " فذبحوها وما كـسـادوا
يفعلون " وقوله " لم يكـد يراها " مع أنه لم ير شيئاً^(٢)

والمصحح أن إثباتها إثباتٌ ونفيها نفيٌ ، لأن معناها المقاربة

يقتلونني ١٥٠ / الأعراف ، وإن كادوا ليفتنونك من الذي أوحينا
إليك ٧٣ / الإسراء ، وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك
منها ٧٦ / الإسراء ، وإله لما قام عبد الله يدعوه كـسـادوا
يكونون عليه لبدا ١٩ / الجن ، لولا أن ثبتناك لقد كـدـت
تركن اليهم شيئاً قليلاً ٧٤ / الإسراء ، قال تالله إن كـدـت لتردين
٥٦ / الصافات .

(١) إن الساعة آتية أكاد أخفيها ١٥ / طه ، تكاد السماوات يتفطرن
منه وتنشق الأرض ٩٠ / مريم ، تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن
٥ / الشورى ، تكاد تميز من الغيظ ٨ / الملك ، يكاد البرق يخطف
أبصارهم ٢٠ / البقرة ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ١٧ / إبراهيم ،
يكاد ريتها يضيء ولو لم تمسسه نار ٣٥ / النور ، يكاد سنناً
برقه يذهب بالأبصار ٤٣ / النور ، أم أنا خير من هذا الذي هو
مهين ولا يكاد يُبين ٥٢ / الزخرف ، وإن يكاد الذين كفـروا
ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ٥١ / القلم ، فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون قولا ٩٣ / الكهف ، يكادون يسطرون بالذين
يتلون عليهم آياتنا ٧٢ / الحج ، إذا أخرج يده لم يكد يراها
٤٠ / النور .

(٢) من الآية ٧١ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٤٠ من سورة النور .

فمعنى (كاد يفعل) قارب الفعل، ومعنى (ما كاد يفعل) لم يقاربهُ
فخبرها معنى دأبها . أما إذا كانت منفية فواضح ؛ لأنه إذا
انتفت مقاربة الفعل اقتضى عقلا عدم حصوله ، وأما إذا كانت
المقاربة (منفية) ^(١) ؛ فلأن الأخبار بقرب الشيء يقتضى عرفا عدم
حصوله وإلا لم يتجه الإخبارُ بقربه ، فأما قوله تعالى " فذبحوها
وما كادوا يفعلون " فإنها منفية مع إثبات الفعل لهم في قوله
" فذبحوها " ^(٢) .

وربما كان في هذا ردُّ على ابن منظور عندما رأى أن (كاد)
مجردة تنبئ من نفى الفعل، ومقرونة بالجدد تنبئ عن وقوع الفعل . ^(٣)

وذكر سيبويه أن من العرب من يقول في كاد زيد يفعل (يكدّ
زيدُ يفعلُ وما زيدٌ يكدّ يفعل ذلك ، يريدون كاد وزال ؛ لأنهم
كسروها في فعل كما كسروها في فعلت ، حيث أسكنوا العين وحولوا
الحركة على ما قبلها ولم يرجعوا حركة الفاء إلى الأمل ^(٤) " .

وأورد ابن منظور لغةً لبنى عدّى فهم يقولون كُدْتُ ألعسل
كذا بضم الكاف . ^(٥)

وأما الفعل (أوشك) فقد رأى بعض النحاة أن اسم الفاعل
قد استعمل كقول كثير مرة :

-
- (١) هكذا في البرهان والصحة التي يقتضيها سياق الحديث (مثبتة) .
 - (٢) البرهان ج ٤ ص ١٣٦ بتصريف وانظر أمالي السيد المرتضى ج ٢ ،
ص ١١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧ م .
 - (٣) اللسان ج ٤ ص ٣٨٦ .
 - (٤) الكتاب ، ج ٢ آخر صفحة ٣٦٠ .
 - (٥) اللسان ج ٤ ص ٢٨٦ ، والكتاب ج ٢ ص ٣٦١ .

(١) لِبَنِّكَ مُوشِكُ أَلَا تَرَاهُـنَا * * * وتعدُّو دُونَ غَاغِرَةِ الْعَسْوَادِي

" وَزَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ لَمْ يُسْتَعْمَلْ (يُوشِكُ) إِلَّا بِلَفْظِ الْمَضَارِعِ وَلَمْ تُسْتَعْمَلْ أَوْشِكُ بِلَفْظِ الْمَاضِي ، وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ ، بَلْ قَدْ حَكِيَ الْخَلِيلُ اسْتِعْمَالَ الْمَاضِي وَقَدْ وَرَدَ فِي الشَّعْرِ كَقَوْلِهِ :

وَلَوْ سُئِلَ النَّاسُ التَّرَابَ لَا وَشَكُوا * * * إِذَا قَبِيلٌ هَاتُوا أَنْ يَمْلُؤُوا وَيَمْنَعُوا (٢)

وَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى كِتَابِ سَبِيوِيهِ فِي الْمِظَانِ الْمَخْتَلِفَةِ لِلْفَصِّلِ (يُوشِكُ) فَلَمْ أَجِدْ حِكَايَةَ الْخَلِيلِ هَذِهِ ، بَلْ إِنَّ سَبِيوِيهِ أَنْشَدَ الشَّاهِدَ :
يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِي * * * فِي بَعْضِ غُرَاتِهِ يُوَالِقُهُـنَا (٣)

عَلَى أَنَّ هَذَا لَا يَنْفِي أَنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلَتْ صِيغَةَ الْمَاضِي فِيهِ لِإِلَافَةِ الشَّاهِدِ السَّابِقِ وَجَدْتُ ابْنَ جَنَى يُنْشِدُ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْشَ الْكَرِيهَةَ أَوْ شَكَّتْ
حِبَالُ الْهُوَيْنَى بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَهَا (٤)

(١) الديوان ص ٢٢٠ .

(٢) الشاهد رقم ٨٩ من شواهد ابن عقيل ج ١ ص ٣٢٢ والنص لـ
١٠ ص ٣٢٨ وهو من شواهد العينى على هامش خزنة الادب ج ٢
ص ١٨٣ ولم يعزه إلى أحد وفى أمالي الزجاجي ص ١٢٦ ط القاهرة
سنة ١٣٨٢ .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٤٧٩ والبيت من شواهد العينى ج ٢ ص ١٨٧ وقاله
أمية بن أبى الصلت الثقفي من شعراء الجاهلية .

(٤) الخصائص ج ٢ ص ٥٣ وفى المفطليات القصيدة الثانية ص ٣٢
تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ .
وقائفة الكلبة العرنى .

وإذا كان الاختلاف في (كاد) و (أوشك) يأتيهما من حيث التصريف، فإنَّ (كَرَبَ) لم يختلف فيهما أحدٌ من حيث إنَّها تأتي بلفظ الماضي، اللهم إلا ما ذكره السيوطي "وحكى قومٌ اسمَ الفاعل من كرب" ^(١) وواضح أنَّ قولَ مبهمٍ لا يعتدُّ به، فهو لم يذكر من هؤلاء القوم ولم يأت بشاهدٍ على ذلك.

وكرَّب لم تجيء إلا على هذه الصورة ليس غير، فلم يستعمل منها المضارع، كما استعمل مع (كاد) و (أوشك) وهي قليلة الاستعمال، بل إنَّها نادرة الاستعمال، والمستعمل الشائع من أفعال المقاربة (كاد)، ولم تات شواهدٌ على (كرب) إلا شاهدان.

١ - كَرَّبَ القلبُ من جواه يذوبُ

حينَ قالَ الوشاةُ هندٌ غفُوبٌ ^(٢)

٢ - سقاها ذوو الأحلام سجلاً على الظمِّ

وقد كَرَّبَتْ أَمْناقُها أنْ تَقَطَّعَ ^(٣)

ولم ينشد سيبويه شاهداً عليها. قال "وأما (كاد) فإنهم لا يذكرون فيها (أن) وكذلك (كرب يفعل) ومعناها واحد، يقولون كرب يفعل وكاد يفعل، ولا يذكرون الأسماء في موضع هذه الأفعال، أي لا يكون خبرها مفرداً. (الكتاب ١/٤٧٨).

(١) الهمع ج ١ ص ١٢٩.

(٢) الشاهد رقم ٩١ في ابن عقيل ج ١ ص ٢٣٥، والشاهد رقم ٢٤٢ في الأشموني ج ١ ص ٥٠٩ والإمام العيني ج ٢ ص ١٨٩ وقائله رجل من طبرستان، ويقال قائله كلحبة اليربوعي.

(٣) الشاهد رقم ٩٢ في ابن عقيل ج ١ ص ٣٣٥، ورقم ٢٤١ في الأشموني ج ١ ص ٥٠٧، والعيني ج ٢ ص ١٩٣ وقائله أبو زيد الأسلمي.

وَمَشارُ الْعَجَبِ فِي (كرب) أَنَّ مِنْ مَعَانِيهَا الَّتِي وَرَدَتْ فِي لِسَانِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْغَمِّ وَالْحُزْنِ وَالضِّيقِ ، وَهَذِهِ الْمَعْنَى بِمَعْنَى كَلِّ الْبَعْدِ مِنَ الْمَقَارِبَةِ ، فَيَذْكُرُ اسْمُ مَنْظُورٍ أَنَّ الْكَرْبَ : الْحُزْنَ وَالْغَمَّ وَجَمْعَهُ كَرْوبٌ ، وَكَرْبُهُ الْغَمُّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَهُوَ مَكْرُوبٌ وَكَرِيبٌ وَكَارِبٌ ، وَقِيدٌ مَكْرُوبٌ إِذَا كَانَ شَيْقَا ، وَكَلُّ شَدِيدِ الْعَقْدِ مِنْ حَبْلِ أَوْ بَنْسَاءٍ فَهُوَ كَرْبٌ .

ثم يذكر أيضا أَنَّ مِنْ مَعَانِيهَا الْمَقَارِبَةِ فيقال كَرَبَ الْأَمْرُ يَكْرِبُ كَرْوبًا : دَنَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ دَنَا فَقَدْ كَرَبَ وَكَرِبَتِ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ دَنَتْ ، وَفِي الْحَدِيثِ فَاذَا اسْتَغْنَى أَوْ كَرَبَ اسْتَعْلَفَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَرِبَ أَيُّ دَنَا مِنْ ذَلِكَ وَقَرِبَ ، ثُمَّ يَأْتِي بِبَعْضِ الْمَعَانِي الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى الْقَرَبِ نَحْوُ إِذَا كَرِبَانِ إِذَا كَرَبَ ، أَيُّ قَارِبَ أَنْ يَمْتَلِي ، وَكَرِبُ النَّخْلِ أَيُّ أَمُولِ السَّعْفِ الْقَلَاطِ الْعَرَاضِ الَّتِي تَيْبَسَتْ ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنْهَا وَقَارِبَتِ الْقَطْعَ (١) .

فَمَا الْعِلَاقَةُ إِذَا بَيْنَ كَرِبِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الضِّيقِ وَالشَّدَةِ وَبَيْنِهَا الدَّالَّةِ عَلَى الْقُرْبِ ؟ لَعَلَّ أَوَّلَ مَا يَجُولُ فِي خَاطِرِ الْبَاحِثِ أَنَّ الْعِلَاقَةَ تَكْمُنُ فِي اللَّفْظِ وَلَيْسَ هُنَاكَ عِلَاقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ . فَكَلِمَةُ (قرب) هِيَ نَفْسُهَا (كرب) بَعْدَ ابْدَالِ الْقَافِ كَافًا . وَلَا يَمْنَعُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ هُوَ الْفِعْلُ (قَرَبَ) الْمَتَصَرِّفُ تَمَرُّفًا كَامِلًا ، ثُمَّ إِنَّهُ لِنَطْقٍ مَعْيُنٍ أَوْ لاسْتِعْمَالِ فَرْدِي أَوْ لَجَمَاعَةٍ أَوْ لِقَبِيلَةٍ مَعْيُنَةٍ خَطَفُوا الْقَافَ فَصَارَتْ كَافًا ، لِأَنَّ الْحَرْفَيْنِ مِنْ مَخْرَجَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ ، فَمَخْرَجُ الْكَافِ مِّنْ الْحَنْكِ الطَّرِيِّ أَوْ الْحَنْكِ اللَّيِّنِ Velar ، وَمَخْرَجُ الْقَافِ مِنَ اللَّهْمَاءِ

أي هو موت لهوى uvular نسبة الى اللهاة وهو الجـسـر
المغير اللين الذي يتدلي من الحافة الخلفية للحنك اللين ، أي هو
موت خلفي طبقي^(١) postvelar .

ويدل على ذلك أيضا أن ابن سيده ذكر تحت عنوان القـسـر
الفعل قَرَّبَ قُرْبًا وقُرْبَانًا ، وذكر معه أيضا الفعل كَرَب : كـرـب
الأمر يَكْرِبُ كروبا أي دنا " .

وهذا يماثل الفعل (حرى) أيضا فالسبب في عدم تصرفه -
كما نظن - أنه مأخوذ من الاسم (حَرِيٌّ) . وليس أملا في وضعه .

(1) Fundamental Problems of Phonetics; by J.c; catford, p.143
Indian University Press 1982.

وانظر أيضا
A Dictionary of Theoretical Linguistics, by M.El Khuli,
p. 250 & 222 Librairie du Liban 1982.

(٢) المخصص لابن سيده ، ج ١٢ ص ٦٠ ط بولاق ١٣١٩ هـ .

- ٥١ -

الفصل الرابع

أعمال الشروع

أفعال الشروع

ومن الأفعال الناسخة غير المنصرفة أيضا أفعال الشروع ، ونلاحظ أنها كثيرة ، والمستعمل منها قليل ، فهي شرع وأنشأ وطبق وأخذ وعلق وهب وجعل وهلهل . ومن النحاة من زاد عليها (١) قام وقعد . وجميع هذه الأفعال غير متصرفة ، فهي ملازمة لصورة الماضي (٢) ، وذلك إذا استعملناها للشروع ، أما إذا استعملت لغير الشروع فهي متصرفة .

وهي - لغير الشروع - لها معانٍ متعددة ، مما يجعلنا نقول إنها استعملت للشروع نقلاً وليس ارتجالاً . وهذا القول ليس بدعماً ، فالنقل والارتجال متحققان في ظاهرتين لغويتين أخريين :

الأولى : العَلَمُ ، فهناك العلم المرتجل ، أي الذي وضع أصلاً ، وفي أول أمره علماً ، ولم يَسْبِقْ له أن استعمل استعمالاً آخر غير العلمية مثل عثمان وسعاد وعظفان . وهناك العلم المنقول عن شيء سبق استعماله فيه قبل العلمية ، وذلك المنقول عنه قد يكون مصدراً مثل (فضل) أو اسم عين مثل (أسد) (٣)

(١) همع الهوامع ج١ ص ١٢٨ .

(٢) المسابق ج١ ص ١٢٩ وقد نقل السيوطي عن بعض النحاة (حكاياتهم) عن استعمال صور أخرى لهذه الأفعال كاستعمال المضارع من (طلق) ومن (جعل) ، وهي نقول لا يعتد بها لعدم اقترانها بشواهد . وانظر شرح ابن عقيل ج١ ص ٣٤١ .

(٣) انظر شرح الاشموني ج١ ص ١٢٧ وشرح التصريح على التوفيق ج ١ ص ١١٥ وهمع الهوامع ج١ ص ٧١ .

الثانية: أسماء الأفعال، فمنها المرتجلة مثل أميين وميهيات وشتان، ومنها المنقولة عن أحرف الجر مثل إليك وعليك أو من الظروف نحو أمامك وبعدهك.^(١)

هذان هما النقل والارتجال في العلم وفي أسماء الأفعال فعندما عنهما في هذه الأفعال؟ إن لكل فعل من هذه الأفعال استعمالا كثيرة تدل على أنه قد وقع أصلا لها، ثم إنه قد نُقل بعد ذلك لكي يستعمل للشروع. يدل على ذلك أن شواهد استعمال هذه الأفعال للشروع نادرة، بل إنها معدومة بالنسبة لبعضها بعكس الشواهد التي تدل على معان أخرى.

فالفعل (جعل) مثلا يدخله النحاة في باب (ظن وأخواتها) التي تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، فهو من أفعال القلوب سواء أكانت تدل على اليقين والقطع أم تدل على الرجحان، كقوله تعالى: "وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ" وهو أيضا من أفعال التحويل أو التمييز كقوله تعالى: "الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء" هذا إلى استعماله فعلا بمعنى أوجد أو خلق كقوله تعالى "تبارك الذي جعل في السماء بروجا".^(٢)

وقد جاء له الزركشي بسبعة معان هي:

(١) همع الهوامع ج٢ ص ١٠٥، ولم نتعرض لهاتين الظاهرتين (العلم وأسماء الأفعال) بالتفصيل لانهما ليستا موضوع بحثنا، وكل ما نريده أن نستدل بهما على القول بأن أفعال الشروع منقولة.

(٢) آية ١٩ من سورة الزخرف.

(٣) آية ٢٢ من سورة البقرة.

(٤) آية ٦١ من سورة الفرقان.

- ١ - بمعنى (سمى) كقوله تعالى "الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِشِينَ" ^(١).
- ٢ - بمعنى الخلق والاختراع كقوله تعالى: "وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" ^(٢).
- ٣ - "المقاربة ولم يأت الزركشي بشاهد بل قال " نحو جعل - يفعل كذا " .
^(٣)
- ٤ - بمعنى النقل من حال إلى حال ، وللتصيير كقوله تعالى :
" جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا " ^(٤) ، " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا " ^(٥) .
- ٥ - بمعنى الاعتقاد كقوله تعالى " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ " ^(٦).
- ٦ - بمعنى الحكم بالشئ على الشئ ، يكون في الحق والباطل فالحق كقوله :
" إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمَرْسَلِينَ " ^(٧) والباطل كقوله : " وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ " ^(٨) .

-
- (١) آية ٩١ من سورة الحجر .
 - (٢) الآية الاولى من سورة الأنعام .
 - (٣) يقصد بالمقاربة (الشروع) ، لأن من الناحية من يقع المقاربة والرجاء والشروع تحت عنوان واحد وهو (المقاربة) .
 - (٤) آية ١ من سورة فاطر .
 - (٥) آية ١٩ من سورة نوح .
 - (٦) آية ١٠٠ من سورة الأنعام .
 - (٧) آية ٧ من سورة القصص .
 - (٨) آية ١٣٦ من سورة الأنعام .

٧ .. بمعنى (ألقى) كقوله تعالى " ويجعل الخبيث بعضه على بعضي " (١) وكقوله تعالى : " وألقى فيها روايت " ، أي ألقى بدليل قوله في الآية الأخرى التي عُلِّلَ فيها المراد بخلق الجبال وإبان إنعامه فقال " وألقى في الأرض روايت أن تمهد بكم (٢) ، (٣) .

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال هذا الفعل للشروع ووجدناه مقصوراً على الماضي ليس غير ، ووجدناه أيضاً - وهذا ما يذهبون إليه - لا شاهد له إلا ما ذكره ابن هشام في الشذور وفي أوضح المسالك وكذلك الأشموني في شرحه على الألفية (٤) .

وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا قُمْتُ يَشْلُفُنِي

ثوبي فإشلفتُ شَفَى الشارب السَّيْرَ (٥)

وكذلك ما ذكره الشيخ محمد محيي الدين في تحقيقه على

شرح الأشموني :

وقد جعلتُ إِذَا ما حاجةٌ هَرَفَتْ

ببَابِ دَارِكَ أَدْلُوها بِأَنْفَرَامِ (٦)

(١) آية ٢٧ من سورة الأنفال .

(٢) آية ٣ من سورة الرعد .

(٣) آية ١٥ من سورة النحل

(٤) البرهان في علوم القرآن صفحات ١٢٩ - ١٣٤ بتصريف . ج ٤ .

(٥) أوضح المسالك ، الشاهد رقم ١٢٠ ص ٤٨ تحقيق محمد محيي الدين .

ط السعادة ١٩٤٩ وشرح الأشموني ج ١ ص ٢٤٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٣ .

(٦) شرح الأشموني هامش ص ٥١٥ من الجزء الأول .

بالإضافة إلى أن البيت الأول فيه اختلاف في الرواية ، فمن النحاة
من يرويه :

وقد جعلت إذا ما قمت يوجعني
ظهري فقامت قيام الشارب السكر

وفيه أيضا اختلاف في نسبه إلى قائله ، فمنهم من ينسبه
إلى أبي حية النمري ومعه بيت آخر ليس غير ، ومنهم ينسبه إلى
عمرو بن أحمر الباهلي ومعه أربعة أبيات آخر^(١) .

هذه الاختلافات تشير الشك في هذا البيت ، وليس معنى ذلك
أننا ننفي استعمال الفعل (جعل) للشروع ، بل نقول إن استعماله
قليل بل نادر .

وقد ذكرناظم الألفية هذا الفعل وغيره من أفعال الشروع
دون شاهد قال :

" كأنشأ السائق يحدو وطفق
كذا جعلت وأخذت وعليق "

ولم يأت ابن عقيل بهذا الشاهد ولا بغيره ، بل قال " وذلك
نحو أنشأ السائق يحدو ، وطفق زيد يدعو ، وجعل يتكلم ، وأخذ
ينظم وعلق بفعل كذا "^(٢) .

(١) الشيخ محمد محيي الدين في تحقيقه شرح الأشموني على الألفية
هـ ص ٥١٣ من الجزء الأول .

(٢) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٣٧ .

وسبويه أيها لم يأت بشاهد على (جعل) عندما ذكر أن خبرها لابد أن يكون جملة فعلية دون (أن) . قال " ومثله - أي مثل كاد وكرب ... (جعل يقول) لا تذكر الاسم هنا ومثله أخذ يقول .. " ^(١) .

وقد ذكر الزركشي شواهد لكل استعمالات (جعل) عدا استعماله كـ ^(٢) كـ فعل من أفعال الشروع .

أفلا يحق لنا بعد ذلك أن نقول إن استعمال جعل كفعل من أفعال الشروع إنما كان نقلاً وليس ارتجالاً ، أي أن الشروع لم يكن أصلاً في استعمالها ، بل نُقلت هي إليه ، يقوي هذا القول أن الزركشي يُعدها من أمهات الأحداث فيقول عنها :

" ومن ذلك (جعل) وهي أحد الأفعال المشتركة التي هي أمهات الأحداث وهي فعل وعمل وجعل وطفق وأنشأ وأقبل " ^(٣) .

وما قلناه في (جعل) نقوله في (أخذ) فهو كفعل غير متصرف مستعمل للشروع - منقول عن الفعل (أخذ) المتصرف ذي المعاني العديدة فمن معانيه :

١ - عاقب : كقوله تعالى : " وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقِسْرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ " ^(٤) .

(١) الكتاب ج ١ ص ٤٧٨ .

(٢) البهرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ١٢٨ .

(٣) السابق ج ٤ ص ١٢٨ .

(٤) آية ١٠٢ من سورة هود .

٢ - اعمل : كقوله تعالى " خذوا ما آتيناكم بقوة " (١) .

٣ - وتجيء قبل القسم نحو " وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ " (٢) ، (٣) .

ويذكر الزركشي أنها تأتي للمقاربة أيضا ، ولا يذكر شاهداً
على ذلك، بل يقول " أخذ يفعل كذا " (٤) (٥) .

وإذا كنا قد تلمسنا شاهداً أو اثنين على الفعل (جعل) فاننا لم نجد شواهداً للفعل (أخذ) كفعل من أفعال الشروع إلا ما
أنشده الشيخ محمد محيي الدين :

فأخذت أسأل والرسوم تُجيبني ❦ إلا اعتبار إجابة وسؤال (٦)

مع ملاحظة أن الاستعمال الحديث قد هجر كل أفعال الشروع عدا هذا
الفعل .

وما قلناه في جعل وأخذ ، نقوله في باقي الأفعال عدا
طلق . ولولا الإطالة لتناولنا باقي الأفعال فعلاً فعلاً وبيننا معانيها
ثم نقلها إلى معنى الشروع . على أنه لابد أن نذكر أن (علق) لها
شاهد واحد هو :

أَرَاكَ عَلِقْتَ ظِلْمٌ مِنْ أَجْرِنَا ❦ وظلم الجار إدلال المجير (٦)

(١) آية ٦٣ من سورة البقرة .

(٢) آية ١٨٧ من سورة آل عمران .

(٣) البرهان ج ٤ ص ١٦٣ و ١٦٤ بتصريف .

(٤) ياقم بالمقاربة : الرجاء والشروع والمقاربة كما بينا من
قبل .

(٥) البرهان ج ٤ ص ١٦٤ . (٦) شرح الاشموني ج ١ ص ٥١٠ .

ومع ذلك فهو مشكوك فيه ، وَلَمْ يَنْسِبْهُ أَحَدٌ إِلَى قَاتِلٍ مَعِيَسٍ
وكذلك الفعل (هب) له شاهد واحد ، هو :

هَبَيْتُ الْوَمُ الْقَلْبَ فِي طَاعَةِ الْهَوَى * * * فَلَجَّ كَانِي كُنْتُ بِالْوَمِ مَفْرَمًا^(١)

وهذا البيت أيضا لم ينسبه أحد إلى قاتل معين .

وشاهد الفعل (لهل) كفعل من أفعال الشروع

وَطَيْئْنَا دِيَارَ الْمُعْتَدِينَ لِهَلْهَلْتِ * * * نَفُوسُهُمْ قَبْلَ الْإِمَاتَةِ تَزْهَتُقُ^(٢)

و(أنشأ) لها شاهد واحد أيضا :

لَمَّا تَبَيَّنَ مِيلُ الْكَاشِحِينَ لَكُمْ * * * أَنْشَأْتُ أُمْرُبُ مِمَّا كَانَ مَكْتُوبًا^(٣)

كل ذلك يُرينا أَنَّ أفعالَ الشروعِ هذه لَمْ تَكُنْ مَوْضُوعَةً أَصْلًا
لهذا الاستعمال ، بل إِنَّ لَهَا مِنَ الْمَعْنَى الْكَثِيرَةِ الْآخَرَى الْمَدْمَقَةَ
بِالشَّوَاهِدِ مَا يَقْوِي الظَّنَّ مِنْدَنَا أَنَّ اسْتِعْمَالَهَا لِلشُّرُوعِ كَانَ نَقْصًا
وَلَيْسَ أَصْلًا ، ثُمَّ إِنَّهَا عِنْدَمَا اسْتُعْمِلَتْ لِلشُّرُوعِ لَزِمَتْ صِيغَةً وَاحِدَةً
لَا تَتَعَدَّاهَا ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَعَرِّفَةً فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الْآخَرَى .
إِنَّ الْفِعْلَ (عَلَقَ) مِثْلًا الَّذِي أَوْرَدْنَا لَهُ مِنْذُ قَلِيلٍ شَاهِدًا وَاحِدًا عَلَى
اسْتِعْمَالِهِ لِلشُّرُوعِ - هَذَا الْفِعْلُ مَعَ مُشْتَقَّاتِهِ قَدْ شَغَلَ مِنْ لِسَانِ
الْعَرَبِ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِ صَفَحَاتٍ تَشْمَلُ اسْتِعْمَالَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةَ

(١) شرح الأشموني . هامش ص ٥١١ من الجزء الأول .

(٢) همع الهوامع ج ١ ص ١٢٨ .

(٣) شرح الأشموني هامش ص ٥١١ من الجزء الأول .

وشواهدها . ونحن نورد بعض هذه الاستعمالات ملخصة لنثبت أنها الأصل وأن الشروع إنما كان نقلا بعد ذلك .

عَلَّقَ بالشئ عُلُقًا وَعَلَقَهُ نَشَبَ وهو عالق به، وعَلَّقَ الصيد فليس حبالته أي نشب ، يقال للصادقِ أَعْلَقَتْ فَاذْرِكْ ، أي علق الصيد فليس حبالته ، وعَلَقَتْ مِرَاسِ الْأَهْلِ ، أي اطمأنت وقرت عيونها بالمرتج . وعَلَّقَ قَلْبُهُ أَي أَحَبَّ . وتعلق بها . وأنه لدو عُلُقٍ بفلانة ؛ أي ذو شغل بها . والعَلَقُ ما فيه بُلْغَةٌ من الطعام إلى وقت الغد . وعُلُقَةٌ من طعامهم أي بقيته ومنه ليس العُتْلُقُ كالمُتَأَنِّقِ ؛ ليس من عيشه قلبل بتعلق به كمن عيشه كثير . والعَلَقُ أَكْلُ الْبَهَائِمِ ورق الشجر . والصبي يَبْعَلُقُ يَمْصُ أَصَابِعَهُ وَعَلَقَتْ الدَّاهِيَةُ إِذَا شَرِبَتْ الْمَاءَ .^(١)

فإذا ما أتينا إلى استعماله كفعل من أفعال الشروع لم نجد لهذا الاستعمال إلا شاهداً واحداً غير معروف القائل أنشده الأشموني :

أراك علقت تظلم من أجرتنا ^(٢) وظلم الجار ادلال المجير

أما الفعل (طلق) فله ميزة خاصة به ، فقد ورد في القرآن الكريم كفعل من أفعال الشروع دون باقي الأفعال ، وقد ورد مرتين، وفي كليهما كان بصيغة الماضي لم يتجاوزها :-

(١) لسان العرب مادة علق ج ١٢ ص ١٣٣ ، بتلخيص .

(٢) الشاهد رقم ٢٤٣ في شرح الاشموني ج ١ ص ٥١٠ .

- ٧٠ -

الأولى في قوله تعالى : " وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنْثِ " ^(١) .

الثانية : في قوله تعالى : " فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ " ^(٢) .

فأما الأولى فوأمح فيها أَنَّ طفق من أفعال الشروع وخبره جملة (يخسفان) ، وأما الثانية فخيرها مفرد وهو (مسحا) ومن النحاة من جعله مصدرا في موضع الحال أي طفق ماسحا ، ومنهم من جعل التقدير (يمسح مسحا) ، أي أن هذا المصدر مفعول مطلق للفعل محذوف ، بذلك تستقيم الجملة الفعلية المقدرة خبرا لطفق ^(٣) .

ومعنى (طَفِقَ) في المعجم (لَزِمَ) ، وطفق يفعل كذا أي لزم يفعل كذا . ونلاحظ أن الفعل (لزم) يعطى المعنى نغمه الذي يعطيه طفق ، كفعل من أفعال الشروع ، وليس هناك استعمالات أخرى جوهرية للفعل طفق عدا ما ذكره صاحب اللسان : طفق بفلان أي ظفر به ^(٤) ، من أجل هذا نستطيع أن نقول إن (طفق) هي للشروع ارتجالا وليس نقلا .

وإذا كانت باقي الأفعال ليست مرتجلة أصلا للشروع ، بل منقولة إليه ، فإن هناك شيئا يستحق الذكر ، ذلك أننا نستطيع أن نتلصق مبررا لهذا النقل في معاني بعض هذه الأفعال . فالفعل (شرع) بمعنى اتخذ منها كما في الآيات الكريمة : " شرع لكم

(١) آية ١٢١ من سورة طه وآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٢٣ من سورة ص .

(٣) إعراب القرآن للعكبري على هامش حاشية الجلالين ج ٤ ص ٣١٤ .

(٤) اللسان مادة طفق ص ٩٥ .

من الدين ما وصّى به نوحا^(١) و " أم لهم شركاءُ شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله^(٢) " و " ثم جعلناك على شريعة
من الأمر فاتبعها " ^(٣) . ومن هنا يأتى الشروع فى الشئ أى البدأ ،
أو اتخاذ المنهج فيه .

ومادة (علق) تدل فى بعض استعمالاتها على البداية أيضا ،
يقول الله سبحانه وتعالى " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ^(٤) ، والعلـق
القطعة اليسيرة من الدم الغليظ الذي أملاه المنى فينتقل طورا بعد
طوره فيصير دما غليظا متجمدا ، ثم ينتقل طورا آخر فيصير لحما
وهو المصفى .. " ^(٥) . أي أنه بداية الخلق والتكوين والفعل (هـب)
فى قولنا (هبت الريح) يدل على أن الريح كانت ساكنة ثم
بدأت الهبوب .

وبعد ، فهل نستطيع أن نقول بعد هذا العرض لمعانى
تلك الأفعال إن استعمالها للشروع كان نقلا وليس ارتجالا أو أصلا ،
وإنها من أجل ذلك لزمّت صيغة واحدة لا تتعدها عندما تستعمل
منقولة .

(١) آية ١٢ من سورة الشورى .

(٢) آية ٢١ من سورة الشورى .

(٣) آية ١٨ من سورة الجاثية .

(٤) آية ٢ من سورة العلق .

(٥) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٥٦٠ .

الفصل الخامس

الرسال الرجاء

أفعال الرجاء

وهذا قسم آخر من أقسام الأفعال الناسخة تتميز بعـدم التصرف، ويتكون من الأفعال عسى وجرى واخـلـوق .

أما عسى فأمرها عجيب ، ذلك أنني باطلاعي على هذه المادة في معاجم اللغة لم أجد معنى من تلك المعاني يطابق الرجاء أو يدل عليه أو يقاربه أو يشابهه ، ففى اللسان والقاموس المحيط^(١) عسا الشيخ يَعْـسُو عَمُوا وَعَمُوا وَعَسِيًا وَعَسَاءُ أي كَبَر مثل عَتِيَتْ ، يُقَالُ لِلشَّيْخِ إِذَا وَلَّى وَكَبِرَ عَتَا يَعْـتُو عَتِيًّا ، وَعَسَا يَعْـسُو مِثْلُهُ . وَعَسَا النِّبَاتُ عَسَاءً وَعَمُوا غُلِظَ وَيَبَسَ . والعاسي النَّخْلُ . وعسى الليل اشتدت ظلمته .

(٢)
هذا بالإضافة إلى ذكرهم عسى كفعل من أفعال المقاربة
فما العلاقة بين تلك المعاني وبين معنى الرجاء فى عسى ؟ الواقع
أننا أمام أحد احتمالين للإجابة عن هذا السؤال :

الأول : أن نتلصص العلاقة بشيء من التلطف وحسن المنعة
ذلك أن عسا الشيخ وعسى عسى بمعنى كبر ، أي بلغ النهاية ، أو
قاربها .

والفعل نفسه مسنداً إلى النبات يكون بمعنى غُلِظَ وَيَبَسَ
أي بلغ النهاية أو قاربها ، وبالنسبة لليل ؛ أي اشتدت الظلمة أي

(١) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٢ القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٢) يُطلق القدماء على أفعال المقاربة والرجاء والشروع جميعاً :
أفعال المقاربة .

بلغ الذروة بعد أن انتهى النهار . فهل معنى هذا أن (عسا) أو (عسى) تعنى بلوغ الغاية أو قربها ؟ ويكون في ذلك شبهة بالرجاء ، وهو أيضا يدل على بلوغ الغاية أو مقاربة بلوغها .

ولو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفة الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبها التاريخي أقول ، لو أننا نملك ذلك لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنا إن هذه الاستعمالات تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من حيث المعنى .

هذا هو الاحتمال الأول ، أما الثاني فإن تكون هذه الكلمة (عسا) أو (عسى) اختصارا لكلمة أكبر كانت تستعمل لتلك المعاني جميعا ومنها الرجاء ، ثم اختصرت أو اختزلت على مر العصور حتى أصبحت على صورتها ، يؤيد ذلك نتيجة بحث اللغويين في تطور بنية الكلمة ، فقد وجدوا أن الاتجاه في تطور البنية للكلمات نحو الاختصار والاختزال ، لا نحو التكثير أو التخم ، أي أنهم شاهدوا أن اللغات في أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتفهم كلمات كثيرة الحروف طويلة البنية متعددة المقاطع ، وأن هذه الكلمات بتوالي العصور قد أصبحت قصيرة البنية قليلة المقاطع ، وقد تم نتيجة الميل العام لدى الإنسان - في كل شئونه الاجتماعية ومنها اللغة - نحو أيسر السيل وبذل أقل مجهود . فيقول جسر بن " ليس هناك أدنى شك في أن الاتجاه العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الصيغ للكلمات (١) وقد برهن على صحة قولنا

(٣) Language, its nature development and Origin. P. 330 London 1964.

بمقارنة صيغ الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية القديمة
كالسكريتية واليونانية واللاتينية بنظائرها في اللغات الأوروبية
الحديثة^(١).

إذن فإنّ الاحتمال الثانيّ هذا ليس بعيداً، ويؤيده بعض أمثلة
أخرى في اللغة، فإنّ (سوف) مثلاً يُقال فيها (سف) بحذف الوسط^(٢)
و (سو) يحذف الأخير و (س) بحذفه وقلب الوسط ياء^(٣) .
وربما كانت (كي) اسماً مختصراً من (كيف)^(٤) .

وبعد أخذنا بواحدٍ من هذين الاحتمالين لكي نعرف أصل
(عس) كفعل من أفعال الرجاء، نجد أن هناك كلمات كثيرة مشتقة
من هذا الفعل وتدل على رجاء أيضاً وذلك نحو "المُعَسَّة كمُعَسَّة
وهي المناقة يُشَكُّ أنها كَيْنٌ أولاً والمُعَسَّاةُ الجارية المراهقة التي يظن
من رآها أنها توفات"^(٥) .

(١) من مقال للدكتور إبراهيم أنيس في مجلة مجمع اللغة العربية
بعنوان : تطور البنية في الكلمة العربية ج ١١ ص ١٦٨ . وقد
راجعت أصل النصّ الإنجليزي لجسبرسن . وهناك طائفة أخرى من
اللغويين يرون العكس ، أي أنّ الجذر الأصلي لكل الكلمات القديمة
في نشأتها كان أحادي المقطع ، وأنه تطور بتوالي العصور إلى
ثنائي المقطع وثلاثي المقطع حتى صارت الكلمات على النحو
المألوف لنا الآن . المقال نفسه ص ١٦٦ وقد أورد السيوطي
أمثلة كثيرة تطبيقاً لهذا الرأي، فذكر أنّ الفعل (تق) أميت
والحق بالرباعي فأصبح تلتق ، وأميت (شع) وأصبح شعشع ،
وأميت (هظ وظه) وأصبح ظهطاء ، وأميت (فح) وأصبح فعضع .
المرزهر ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) المغنى ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) المغنى ج ١ ص ٢٤١ .

(٤) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٣ .

فالناقة يَرْجى لبَنُها ، والفَتاةُ يَرْجى طَهْرُها .

تأتى بعد ذلك الى إسناد الفمائر الى هذا الفعل ، فنجد " أَنَّ أَهْلَ الْحِجَارِ يُلْزَمُونَ (عسى) حَالَتِي الْإِفْـسَادِ وَالتَّذْكِيرِ سِوَاءُ أَسْنَدَتْ إِلَى مُؤَنَّثٍ أَمْ إِلَى مُذَكَّرٍ، وَسِوَاءُ أَكَانَ ذَلِكَ الْاسْمُ الْمُتَقَدِّمُ عَلَيْهَا مَفْرُودًا أَمْ مُثْنَى أَمْ جَمْعًا. فَيُقَالُ زَيْدٌ عَسَى أَنْ يَقُومَ، وَالزَّيْدَانِ عَسَى أَنْ يَقُومَا، وَالزَّيْدُونَ عَسَى أَنْ يَقُومُوا ، وَهَذَا عَسَى أَنْ تَقُومَ وَالْهِنْدَانِ عَسَى أَنْ تَقُومَا، وَالْهِنْدَاتُ عَسَى أَنْ يَقْمْنَ ، أَمَّا بَنُو تَمِيمٍ فَهُمْ يُخَيَّرُونَ (عسى) بِتَغْيِيرِ الْاسْمِ قَبْلَهَا ، فَتُؤَنَّثُ إِنْ كَانَ مُؤَنَّثًا وَتُثْنَى إِنْ كَانَ مُثْنَى وَتُجْمَعُ إِنْ كَانَ جَمْعًا، وَتُفْرَدُ إِنْ كَانَ مَفْرُودًا فَيُقَالُ مِثْلًا زَيْدٌ عَسَى أَنْ يَقُومَ ، وَالزَّيْدَانِ عَسَى أَنْ يَقُومَا وَالزَّيْدُونَ عَسَى أَنْ يَقُومُوا وَهَذَا عَسَى أَنْ تَقُومَ وَالْهِنْدَانِ عَسَى أَنْ تَقُومَا وَالْهِنْدَاتُ عَسَى أَنْ يَقْمْنَ ، وَجَاءَ التَّنْزِيلُ بِإِفْرَادِ عَسَى إِلَّا آيَتَيْنِ أَسْنَدَتْ (عسى) فِيهِمَا إِلَى ضَمِيرٍ رَفَعَ ، لِأَنَّهُ قَدْ فُصِّلَ بَيْنَ اسْمِهِمَا وَخَبَرِهَا بِجُمْلَةٍ طَوِيلَةٍ . وَالْآيَتَانِ هُمَا " قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ^(١) " وَ " لَهْلَ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ " ^(٢) ، ^(٣)

ونظن أن لغة بني تميم هي الأقدم ، فإسناد الفعل إلى ضمير يرجع إلى المسند إليه أمر منطقي ويتمشى مع استعمال الأفعـال الأخرى نحو الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إلا أن عدم تصرف هذا الفعل والزومه صيغة واحدة ، وهي صيغة الماضي ، قد جعله

(١) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة محمد .

(٣) اللغة والنحو للدكتور حسن عون ص ٢١٦ بتصرف .

عند تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الفعائر ، وكأنه
لقد ثبت على صورة واحدة - وهي (عسى) - لا يتعداها .

وهناك صورة أخرى لهذا التبسيط في الاستعمال خلال التطور
اللغوي تتمثل في لغة أكلوني البراغيث نحو قاما المحمدان وقاموا
المحمدون ، فإنه بتطور الاستعمال أُفرد الفعل المتقدم سواءً أكان
الفاعل مفرداً أم مثنى أم جمعا .

ويعدُّ هذا تطبيقاً لقول اللغويين المحدثين إن عملية
التيسير في ظواهر اللغة غير مقصورة على بنية الكلمات بسبل
تناول أموراً كثيرة بعضها يرجع إلى الأصوات وبعضها يرجع إلى
القواعد وطرق الإسناد ، فالأفعال تتجه في تطورها نحو التخلص
من علامات للتعبير عن الشخص (كالمتكلم والمخاطب والغائب)
ومن علامات تشير إلى الأفراد والتذكير أو الجمع ومن علامات
التانيث والتذكير ^(١) .

وتذكرنا (عسى) في التقابل اللغوي له فائدته ، وذلك
أن في اللغة الانجليزية أفعالاً يطلق عليها Defective verbs
أي الأفعال الناقصة Can,could,shall,should,will,would,may,
might,must,ought to. والفعل الناقص هو فعل لا تتوفر له الصيغ
التسوية تتوفر لمعظم الأفعال . ويقابل الفعل الناقص الفعل

-
- (١) ألقد الإشارة إلى التخلص من الفعائر عند الإسناد إلى عسى
وكذلك التخلص من الفعائر الموجودة في لغة أكلوني البراغيث
(٢) من مقال الدكتور إبراهيم أنيس " تطور البنية في كلمات
اللغة العربية مجلة المجمع اللغوي ج ١١ ص ١٦٨ .

التَّامُّ .^(١) full verb.

واختلف النحاة في (عسى) هل هي فعل أو حرف كـ_____
اختلفوا في (ليس) وقد بينا ذلك من قبل . وما قلناه في (ليس)
تقوله في (عسى) مع اختلاف الأسباب . فكلمة ليس - كما بينا -
ليست أصلاً في وضعها ، بل جاءت عن طريق النحت من لا وأيــــــــــــس
ومن ثمَّ جاء اختلاف النحاة في فعليتها أو حرفيتها . أمّا (عسى)
فعدم معرفة أصلها - إلا على واحد من الاحتمالين اللذين ذكرتهما
منذ قليل - وعدم تصرفها آدياً إلى اختلاف النحاة في كونها فعلاً
أو حرفاً . غير أن هناك شيئاً مهماً جداً ، ذلك أن اختلاف النحاة
في (عسى) لا محلّ له ولا موضع ، فبعض استعملاتها من واقع
النصوص اللغوية الموثوق بها تؤيد أنها فعل ، وبعض استعملاتها
تؤيد أنها حرف . والسبب في ذلك - كما قلت - عدم معرفة
أصلها على وجه اليقين .

فمن استعملها حرفاً ما نصّ عليه سيبويه " وأما قولهم
(عساك) فالكاف منصوبة . قال الراجز وهو رؤبة :

يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَ

والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كانت علامتك
في : قال عمران بن حطان :

وَلِي نَفْسٍ أَقُولُ لَهَا إِذَا مَا * * * تَنَارَعْنِي لَعَلِّي أَوْ عَسَانِي

4) A dictionary of Theoretical Linguistics. M.El Kholi.
Librairie du Liban. 1982

فلو كانت الكاف مجرورة لقال (عساي) ولكنهم جعلوها بمنزلة
لعل في هذا الموضع . فهذا الحرفان لهما في الإضمار هذه الحال^(١) .

وقد نصّ ابن هشام على ذلك في المغنى حيث قال " يقال:
عساي وعسك وعساه وهو قليل وفيه ثلاثة مذاهب^(٢) " .

ثم يذكر المذهب الأول " أنها أجريت مجرى لعل في نصب
الاسم ورفع الخبر ، كما أجريت لعل مجراها في اقتران خبرها
بان^(٣) " ثم يأتي بيت صخر بن جعد :
فَلَقَلْتُ عَسَاهَا نَارُ كَاسٍ وَعَلَيْهَا * تَشْكِي فَاتِي نَحْوَهَا فَاُعَوِّدُهَا
دليلاً على أن خبرها مفرد مرفوع وليس جملة^(٤) .

ومن استعملاتها فعلاً قول الله سبحانه وتعالى " قَالَ هَلْ
عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا " وقوله سبحانه
" قَهْلَ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ " .
ومن هذا الاستعمال أيضا مجيء خبرها مفرداً وليس جملة
كما في قولهم " عسى القويصر أبوساً " قال سيبويه
فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه (عسى) مجرى (كان)^(٥) ،
وكذلك قول الراجز :

(١) الكتاب ٢٨٨/١ و ٢٨٩ .

(٢) المغنى ص ٢٠٣ .

(٣) المغنى ص ٢٠٣ .

(٤) المغنى ص ٢٠٤ .

(٥) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٦) من الآية ٢٢ من سورة محمد

(٧) الكتاب ٤٧٨/١ .

أَكْثَرَتْ فِي آلَوْمٍ مُلَحًا دَائِمًا ۞ لَا تُكْثِرُنَّ إِنِّي عَسِيْتُ صَاحِبًا^(١)

وقد مدَّ ابنُ جنى اجراءً (عسى) مجرى (كان) شاذًّا فليس
الاستعمال مطردًا في القياس^(٢) . فأما الاطرادُ في القياس فراجع
إلى أن (كان) كذلك وقد قاسوا (عسى) عليها ، وأما الشذوذ
في الاستعمال فلأنَّ ما ورد في كتب النحو واللغة شاهدًا على ذلك
لا يتعدى المثلَّ والبيتَ .

أما ما حكاه شعلب (عسى زيد قائم) وما بناه عليه
أن (عسى) ناقصة ، وأن اسمها ضميرُ الشان ، والجملة الاسمية
الخبر ، فلا يعتدُّ به ، لأنَّ شعلبًا لم يأت بشاهد على ذلك ، وأيضًا^(٣)
مما يقوي عدمَ الاعتداد بقول شعلب أنَّ القرآنَ الكريم لم يستعملها
على نمط المثال الذي أتى به شعلب ، بل إنَّ استعمال القرآن لها
جاء على وجهين :^(٤)

أحدهما : أن ترفع اسمًا صريحًا ، ويؤتى بعده بخبر ويلزم
كونه مضافًا نحو " فعسى الله أن يأتى بالفتح " .^(٥)

(١) المغنى ص ٢٠٣ وينسب إلى روبة وانظر خزانة الادب للبغدادي
ج ٤ ص ٧٧ بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) الخصائص ج = ص ٩٦ .

(٣) المغنى ص ٢٠٤ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن عبد الله الزركشى ج ٤
ص ١٦٠ تحقيق محمد أبى الفضل . دار احياء الكتب العربية
١٩٥٩ .

(٥) المائدة : ٥٣ .

الثاني : أن يكون المرفوعُ بها (أن والفعل) ومنه قوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " ^(١) .

كان هذا كله عن (عسى) . فماذا عن اخلولق ؟ إن هذا الفعلُ غيرُ متصرفٍ ، ليس ذلك لحسب ، بل إنّه أيضاً قليلُ الاستعمالِ بل نادره ، حتى ليخيلُ إلى أنه مصنوع .

وليس ببعيد عنا ما يذكره ابنُ جنى في مواقع كثيرة من كتبه " كيف تبني من كذا على مثال كذا ؟ " .

" من ذلك بناءك مثل فعلول من طويت ، فهذا لابد أن يكون طَوَّيَوِيٌّ ، فإن بدأت بالتغيير من الأول ، فأنك أبدلت الواو الأولى ياءً لوقوع الياء بعدّها ... " ^(٢) .

" ومثال ذلك (أيضاً) قولك في مثال (أي في وزن) أوزة من أويت : أياة ، وأصلها أثوية ، فابدأ الهمزة التي هي فاء واجب ... " ^(٣) .

" ومن ذلك قوله في مثال جعفر من الوار أوى وأملها ... " ^(٤) .

فبناءُ فعل (أو كلمة بوجه عام) على وزن من الأوزان معروف عند العرب حتى لو كانت هذه الكلمة المستحدثة غير مستعملة مندهم .

(١) الإسراء ، ٧٩ .

(٢) الخصائص ج ٣ ص ٧ .

(٣) الخصائص ج ٣ ص ٩ .

(٤) الخصائص ج ٣ ص ٩ .

بل إنَّ المشالَّ الوحيدَ المكرَّرَ في كلِّ ما اطلعت عليه هو (اخلولقت
السَّماءُ أن تمطر) .

ويبدو أنَّ هذا المشالَّ له علاقةٌ بالمشال الذي ورد في لسان
العرب (١) (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبه وصار خليقاً
بالمطر ، فربما كان هذا المشالُّ مفسراً لاستعماله عند النحاسة
وليس عند عامة العرب كفعل من أفعال الرجاء ، ذلك أنَّ (اخلولق
السحاب) يدلُّ على أنَّ المطرَ آتٍ ، والماءُ كما هو معلوم معاكسُ
الرجاء عند العرب ومبعثُ الأمل فيهم .

والفعل (حوى) مثل الفعل اخلولق ، غير مستعمل وربما
كان ذلك سببَ عدم تعرفه ، فنحن نستعمل أخرى كما نستعمل
أخلق وقد ورد الاثنان معا في قول شوقي :

(٢)
يا نيلُ أنتَ بطيب ما نَعَتَ الهدى * وبميدحة التوراة أخرى أخلق

وورد (أخلق) أيضا في قوله :

أما العتابُ فبالأحبةِ أخلق * * * * * والحبُّ يعلجُ بالعتاب ويصدقُ (٣)

(١) اللسان ج ١ ص ٨٨ .

(٢) الشوقيات ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) الشوقيات ج ١ ص ١٦١ .

وقد ورد في اللسان أيضا " الحَرَى : الخلق وتثنى وتُجمع
تُتَوْنُ فيقال حَرَيَّان وحَرَيَّون وحَرَيَّتَان وحَرَيَّات ، ومن (آخر به)
اشتق التَّحَرَى في الأشياء ونحوها ، وهو طلب ما هو أحسن
بالاستعمال أي أولى وأجدر وأحق ، ومنه قولُ الله سبحانه
وتعالى : " فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا " ^(١) . قال ثعلب : حَرَى
أن ينال الخبر كله ^(٢) .

وقد بحث عن شاهد يؤيد قول ثعلب بأن (حري) فعل ماضٍ
غير متصرف ، فلم أجد إلا بيتا منسوبا للأعشى ميمون .
إِنْ يُقْلَ هُنَّ مِنْ بَنَى عَيْدٍ شَمْسٍ * كَحَرَى أَنْ يَكُونَ ذَاكَ وَكَانَا
وهذا الشاهد لم يأت به أحد إلا ابن هشام ^(٣) ، ولكنني لم
أجده في ديوان الأعشى . هذا بالإضافة إلى أن محقق شذور
الذهب الشيخ محمد محيي الدين يقول تعليقا على هذا البيت " وأيضاً
بعد تسليم ثبوته لا يكون نصاً فيما زعمه المؤلف لجـوان
أن يكون حَرَى اسماً منوناً أيضاً ، وهو خبر مقدم و(أن يكون)
في تأويل مصدر وهو مبتدأ مؤخر ... والحاصل أن النفس غيسر
مطمئنة إلى الاستدلال بهذا البيت " ^(٤) .

(١) من الآية ١٤ من سورة الجن .

(٢) اللسان ج ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) شذور الذهب ص ٢٦٨ . المطبعة التجارية الكبرى ١٩٠٦ م .

(٤) ديوان الأعشى تحقيق د. محمد حسين ط بيروت ١٩٦٨ .

(٥) شذور الذهب هامش ص ٢٦٩ ونلاحظ أن المرحوم الشيخ محمد
محيي الدين قد التبس عليه الأمر حين جوز أن تكون (حَرَى)
بالتنوين ذلك أن البيت في هذه الحالة ينكسر عروضياً
ولا يستقيم له البحر الخفيف ، إلا أن كان نطقها عنده حَرَى .

ونقل صاحب اللسان عن ابن برى أنه أورد شاهداً آخر

على (حرى) قول لبيد :

من حياة قد سئمتا طولها * * * وَحَرَىَّ طُولُ عَيْشٍ أَنْ يُمِلَّ

ولكن (حري) هنا لابد أن تكون اسماً متوناً (حَرَىَّ) حتى

يستقيم البيت على بحر الرمل . ومما يؤيد هذا أنا وجدنا البيت في الديوان وقد استبدلت كلمة (جدير) بكلمة (حري) .

من حياة قد سئمتا طولها * * * وَجَدِيرٌ طُولُ عَيْشٍ أَنْ يُقْبَلَ^(١)

وبعد هذا كله من (اخلولق) و (حري) نُفِيضُ أَنْ الْقُرْآنَ

الكريم لم يَسْتَعْمَلْ هذين الفعلين إطلاقاً ، بالرغم من استعماله

الفعل (عسى) كثيراً ، وبالرغم من استعماله مادة (خلق) أكثر ،^(٢) وبالرغم من ورود الآية الكريمة " فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً " .

كل ذلك يقوي الظن بأن هذين الفعلين نادرا الاستعمال

إن لم يكونا منعدمين تماماً ، وأن (اخلولق) بُنِيَتْ من أخلق

كما بُنِيَتْ (اعشوشب) من أعشب وأن الفعل (حري) قد نقل عن الاسم

حَرَىَّ وقد نص صاحب اللسان على أن هذا الاسم (حَرَىَّ) غيـرُ

متصرف أيضاً ، فهو ملازم للإفراك والتذكير . قال " فمن قال

حَرَىَّ " لم يغيره عن لفظه فيما زاد عن الواحد وسوى بيـن الجنسين^(٣) " .

(١) الديوان بتحقيق الدكتور إحسان عباس ص ١٧٩ ط الكويت .

(٢) الآية ١٤ من سورة الجن .

(٣) اللسان ج ١٨ ص ١٨٧ .

الفصل السادس

أقسام المال المملوك

تَعْلَمَ وَحَسَبَ

هذان الفعلان غير متصرفين ، وهما من أفعال القلوب ، فأما الأول فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على اليقين وهي : علم ورأى ووجد ودرى وألفى وجعل و (تَعْلَمَ) ، وأما الثاني فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على الرجحان وهي : ظن ، وخال وحسب وزعم وعد وحجا وجعل و (هَبَ) ، وإنما سُميت هذه الأفعال بالقلبية ، لأن معانيها قائمة بالقلب^(١) وليس من هذه المعاني الفرح والحزن كما ذكر صاحب النحو الوافي^(٢) فيما ذكر من باقى المعانى التى سماها الأمور النفسية إذ إن الفرح والحزن وباقى المشاعر النفسية من يأس وكَمَدٍ ولوعة موطنها الكبد فى الأغلب الاعم عند العرب، فمن ذلك قول الشاعر:

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِيدِي * * * وَفَتَّتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ^(٣)

وقال :

وَلَيْ كَبِدٌ مَفْرُوحَةٌ مَن يَبْهِنُنِي * * * بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ
أَبَى النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا * * * وَمَنْ يَشْتَرِي ذَاعِلَةً بِمَحِيحٍ^(٤)

(١) شرح التصريح على التوضيح ج ١ ص ٢٤٧ وشرح الأشموني ج ٢ ص ٣ .

(٢) النحو الوافي ج ٢ ص ٤ هـ ٤ .

(٣) مطلع قصيدة لابن عبد ربه الاندلسي فى رثاء والده . العنقد الفريد ج ٣ ص ٢٠٨ ط دار الكتب العلمية ببيروت .

(٤) غير معروف القائل وقد غنتها جارية من المدينة . السابق

ج ٧ ص ٧٦ .

وقال تعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ^(١) " من باب طرب...
 فهو أَكْبَدُ إِذَا وَجَّهَ كَبِدَهُ وَانْتَفَخَتْ ، فَاتَّسَعَ لِيهِ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي
 كُلِّ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، وَمِنْهُ اسْتَنْقَضَتِ الْمَكَابِدَةُ ^(٢) وَمِنْهَا أَيْضًا مَكَابِدَةُ أَيْ
 مُعَانَاةُ الْأَوْجَاعِ وَالْأَحْزَانِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْفِرَاقِ .

وَلَكِنَّ الْمَعَانِيَ الْقَاسِمَةَ بِالْقَلْبِ عِنْدَ الْعَرَبِ هِيَ الْمَعَانِي الْعَقْلِيَّةُ
 الَّتِي لَا دَخَلَ لِلْحُزْنِ فِيهَا ، كَالْفَهْمِ وَالظَّنِّ وَالْيَقِينِ وَالرَّجْحَانِ وَالتَّفَقُّةِ
 وَالِاعْتِقَادِ ، وَكُلُّهَا مَزَكَّرَهَا الْقَلْبُ عِنْدَ الْعَرَبِ ، لِمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّيْسِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ^(٣) "
 وَقَالَ تَعَالَى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ
 قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ ^(٤)
 لَا يَسْمَعُونَ بِهَا " .

وقال تعالى: " إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
 السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " ^(٥) .

وقد فطن إلى ذلك المستشرق Martimer Howell عند...
 ترجم فعل القلب إلى Mental verb ، أي الفعل العقلي ، إِذْ إِنْ
 الكلمة mental هي الـ adj. من mind ولم ينسبها...
 عند...

(١) البلد - ٤ .

(٢) الكشف ج ١ ص ٥٤٥ .

(٣) محمد - ٢٤ .

(٤) الاعراف - ١٧٩ .

(٥) ق - ٢٧ .

(١) الترجمة إلى القلب . (مقدمة الكتاب) .

ويخصنا من كل الأفعال القلبية الفعلان تَعَلَّمَ وَهَسَبَ ، لأنَّ أفعالَ هذا البابَ كلَّها تتصرف إلا (هَبَ) و (تَعَلَّمَ) فانهما جامدان (يلقم غير متصرفين) ، ولم يستعمل منهما سوى الأمر ، لا ماضٍ ولا مضارع ولا وصف ولا أمر باللام " (٢)

فإنَّ الفعلَ الأولُ وهو (تَعَلَّمَ) فإنه غير متصرف ويبقى نفسى صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعلم) وعلى ذلك فقد ورد قول زهير :

فَقُلْتُ : تَعَلَّمْ أَنْ لِلصَيْدِ فِيسْرَةً * وَإِلَّا تُفَيِّعْهَا فَيَأْكُلْ قَاتِلُهُ (٣)

وقد وردَ في كتب النحو كثيرٌ من الشواهد على ذلك (٤) .
وتَعَلَّمْ هنا بمعنى أعلم ، " فإذا قيل لك تَعَلَّمْ أَنْ الأمر كذا فلا تقل تَعَلَّمْتُ بَلْ عَلِمْتُ " (٥) والفرق بين تَعَلَّمْ وَعَلِمَ أن الأولى بمعنى

(١) النواسخ الفعلية والحرفية ص ١٢٠ وكتاب المستشرق

هو A grammar of Classical Arabic Language. India 1883

(٢) المطالع السعيدة للسيوطي ص ٢٤٢ تحقيق د. طاهر حمودة - الدار الجامعية اسكندرية ١٩٨٣ .

(٣) شرح ديوان زهير . صنعه ابي العباس بن يحيى شعلب ص ١٣٤ .
دار الكتب سنة ١٩٤٤ .

(٤) راجع شرح الاشعوني باب (ظن واخواتها) .

(٥) شرح الكافية ج٢ ص ٢٧٧ .

(١) تكلف العلم ، والفعلان تعلَّم واعلمَّ يدخلان في دائرة الأسماء العقلية التي تحدثنا عنها منذ قليل ، ويبدو أن بعض القبايل العربية كانت تستعمل فعل الأمر تعلم مكان أعلم ولا يزال السعوديون يقولون : أعلِّمك ، ولا يقصدون بها التعليم أو التدريس ———— مثلا بل يقصدون معنى أعرفك أو أعلِّمك .

وأما الفعل الثاني وهو (هَبَّ) ، فمقصور استعماله على الأمر أيضا ، على أن يكون معناه (ظَنَّ) .

وقال الأمامي : تقول العرب هبني ذلك ، أي احسنني واعدوني . وقال : ولا يقال هب في الواجب (الماضي) قد وهبتك ، كما يقال درني ودعني ولا يقال قد ودرتك .

على أن ابن الأعرابي قد حكى الماضي من هذا الفعل فقال وهبني الله فداك أي جعلني ، وَوَهَبْتُ فداك أي جَعَلْتُ فداك (٢) .

ولا يعتدُّ بحكاية ابن الأعرابي ، وقد وضع الأشموني هذه الحكاية شاهداً على أن (وهب) من أفعال التمييز :
جعل واتخذ وتخذ ووهب وترك ... (٣)

أما فعل الأمر (هَبَّ) بمعنى أَمِطْ أو أَنْعِمْ فهو متصرف يستعمل ماخيه ومفارعه قال تعالى " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ " (٤) .

وقال " يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا شَاءُ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ " (٥) ، وقال " وَهَبْنَا لِمَنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً " (٦) .

(١) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٧٧ بتصرف . (٤) الانعام ٨٤ .

(٢) اللسان مادة وهب ج ٢ ص ٢٠٥ . (٥) الشورى ٤٩ .

(٣) شرح الأشموني ج ٢ ص ٢٢ . (٦) آل عمران ٨ .

الفصل السابع

العمال المزدج والسكدم

(١) نَعْمَ وَيُسْ

استعمل العرب (ما أفعله) و (أفعله به) كمصغرتين
للتعجب، واستعملوا للمدح نعم وحبذا، وللذم بئس ولا حبذا وهذه
ليست صيغاً يُقاس عليها ، كما هو الحال في التعجب ، بل هي
كلمات بعينها لا تتغير .

وأول ما يلفت نظر الباحث أن المعاني التي تدور حولها
مادة (نعم) تدلُّ على الجمال والدعة والنعمة والترف، وكلُّ هذه
المعاني موافقةٌ لاستعمالها كأسلوب للمدح .

كذلك الحال في (بئس)، تدور معانيها حول البؤس والشدة
والقيق والعدا، وكلُّها معاني متوافقة مع الذم .

فأما نَعْمَ فقد ورد في اللسان :

" النعيمُ والتَّعَمُّ والتَّعَمُّ والتَّعَمُّ كُلهُ الخُلُقِ والدَّعةُ والمالُ،
وهو ضدُّ البَأسِ والبؤسِ . قال تعالى ، ثم لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ
النَّعِيمِ " (١) أي تَسْأَلُونَ يومَ القيامة عن كل ما استمتعتم به في
الدنيا . وقال جلَّ شأنه " وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نَعَمَهُ " (٢) ومنها نَعَمَةٌ
العيش ونِعَامُهُ وجمعها نَعَامَاتٌ ونَعَائِمٌ ونِعَامٌ . والنعمة كذلك اليدُ
البيضاءُ المألحةُ ، والمنفعةُ والمنةُ ، وما أُنعمَ به عليك . وتَسْلَامٌ
نَعْمٌ وَنَاعِمٌ " (٣)

(١) آية ٨ من سورة التكاثر .

(٢) آية ٢٠ من سورة لقمان .

(٣) اللسان مادة نعم ج ١٦ ص ٥٧ بتصرف وتلخيص .

(١)
فهذه هي المعاني السائدة لمادة (ن ع م) .

وأما (بئس) فقد ورد في اللسان :

"البَّاسُ : العذابُ والشَّدةُ في الحربِ، والبَّاساءُ اسمُ الحربِ
والمَشَقَّةِ والغريبِ . قال ابنُ سيده : البَّاسُ الحربُ ثم كَثُرَ حتى قيلَ
لا بَاسَ عليك أي لا خوف . والبَّيْؤُسُ الشَّدةُ والفقرُ . وبَيَّسَ الرجلُ
يَبَّاسُ بُيْؤًا وبَّاسًا إذا افتقرَ واشتدَّتْ حاجتُه فهو بَاسٌ أي فقير
وقوله تعالى : " فَاخْذَنَاهُم بِالْبَّاسَاءِ وَالْفَرَاءِ " ^(١) . قال الزجاج
البَّاساءُ الجوع ، والفراءُ في الأموال والأَنْفُسِ . وبَيَّسَ يَبَّاسُ بَاسًا
إذا كان شديدَ البَّاسِ شجاعًا فهو بَيَّسٌ وبَيَّيسٌ ، ومنه قولُ
تعالى " سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ " ^(٢) ، (٤) .

لها نحن نرى أنَّ مادةَ (ن ع م) تدور كلُّها حول النعيمِ
والدعةِ وسعة العيش ومادة (ب ا س) تدور حول الشدة والضيق والفقر
والعذاب ، وفي هذا مبررٌ كافٍ لأنَّ نقولَ إِنَّ نعم وبئس منقولان من
الفعالين (نَعِمَ) و (بَيَّسَ) وهذا النقلُ هو سببُ عدم التصرف في
نعم وبئس وبقيتهما على صورة واحدة . يقول صاحبُ اللسان في
نصِّيدلُ على ملكته اللغوية الممتازة :

(١) ورد في اللسان من المعاني القليلة الاستعمال لكلمة (نعمة)
أنها تَطْلُقُ أيضًا على الجلدة التي تغطي الدماغ . والنعامة من
الفرس دماغه ، والنعامة باطن القدم ، والنعامة أيضًا جماعة
قوم، وتُطْلَقُ على الطريق .

(٢) ٤٢ - الأنعام .

(٣) ١٦ - الفتح .

(٤) اللسان مادة ب ا س ج ٧ ص ٣١٧ .

" . وبُشَّسَ كلمة دَمَّ ونعم كلمة مدح نقول بُشَّسَ الرجلُ زيدٌ ، وبُشَّسَتِ المرأةُ هندٌ وهما فعلان ماضيان لا يتصرفان لأنهما أنبلا عن موضوعهما فنعم منقول من قولك (نعم فلان) إذا أصاب نعمة ، وبُشَّسَ منقول من (بُشَّسَ فلان) إذا أصاب حُسا ، فنُقِلَا إلى المدح والذم فشابهها الحروف فلم يتصرفا " (١) .

وأما ما ذكره خالد الأزهرى أنَّ عدمَ تصرفِهما راجعٌ إلى (٢) خروجهما عن طريق الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان ، فمدفوع بأن من الأفعال الناسخة ما هو متصرف نحو (كان وأصبح) ، مع أنَّها خرجت عن طريق الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان ، إذ إنَّها تدلُّ على الزمن ليس غير .

ولابد أن يختلف البصريون والكوفيون في نَعَمَ وبُشَّسَ : هل هما اسمان أو فعلان ، ويبدو أن مَرَدَّ هذا الاختلاف هو عدمُ التصرف فقد اختلفوا - كما رأينا من قبل - في (ليس) وفي (عس) وفي نص صاحب اللسان كما - رأينا منذ قليل - على أنَّهما فعلان ماضيان وهو في ذلك يوافق البصريين .

أما الكوفيون فقد رَأَوْا أنَّهما اسمان مبتدءان بدليل :

١ - أن حرفَ الجرِّ يدخلُ عليهما ، تقول ما زيدٌ بنعم الرجلِ وحكى بعضُ النحاة " نَعَمْ السَّيْرُ على بُشَّسَ العَيْرِ " وقسَّال أعرابيٌّ بُشِّرَ بمولودةٍ " والله ما هي بنعم المولودةُ نصرتها بكاءً ، وبُزَّها سرقةٌ " .

(١) اللسان ج ٧ ص ٣١٧

(٢) شرح التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٩٢

٢ - وأنهما يقبلان النداء في قولهم " يا نعم المولى ونعم
النصير " .

٣ - وأنه لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال فلا تقول
" نعم الرجل أمي " ولا ببس الرجل غدا " .

٤ - وأنهما لا يتصرفان ، والتصرف من خصائص الأفعال . وكان
احتجاج البصريين على أنهما فعلان :

١ - بأن الضمير المرفوع يتصل بهما على حد اتصاله بالفعل
المتصرف ، فتقول " نعمنا رجلين ، ونعموا رجالا " .

٢ - وبأنهما رفعاً المظهر شأنهما في ذلك شأن الفعل
المتصرف ، فنقول نعم الرجل وبس الغلام ، وكذلك رفعاً
المضمر ، مثل : نعم رجلا زيد .

٣ - وبأن تاء التانيث الساكنة التي تختص بالفعل الماضي
تتمل بهما في قولك (نعمت المرأة) و (ببست الجارية) .

٤ - وبأنهما يبينان على الفتح ، ولو كانا اسمين لَمَّا
كان لبنائهما وجهاً ، إذ لألة هنا توجب بناءها .
(١)

ويستطيع أن تقرأ جدلاً طويلاً في هدم البصريين أدلة الكوفيين
وفي رد الكوفيين عليهم ، مما لا علاقة له إطلاقاً بواقع اللقطة
ولا بأصول هاتين الكلمتين (نعم وبس) .

ومن الأمور التي لا شك فيها أن أهل البصرة وأهل الكوفة

(١) الإنصاف ج١ ص ٦٦ بتصرف وتلخيص وأنظر أيضاً مع الهوامع
ج ٢ ص ٨٤ .

كانوا يعرفون أن هاتين الكلمتين منقولتان من الفعلين نعم وبشس،
 وأنهما من أجل هذا النقل لزما صورة واحدة لا يتعديانها ،
 واكتسبا في الوقت نفسه شيئا من خصائص الاسمية التي تظهر في دلائل
 الكوفيين وشيئا من خصائص الفعلية التي تظهر في دلائل البصريين
 فهما (أي الكلمتان) ليستا اسمين خالين ولا فعلين خالصين ،
 إلا أن غلبة الفعلية واضحة عليهما . يعرف البصريون ذلك وكذلك
 الكوفيون ، ولكنها الخلافات المدرسية ورغبة كل فريق في أن يلبس
 شوبا مختلفا عن الآخر وأن يكتسب صفات خاصة به ، كل ذلك على
 حساب الدرس اللغوي والدرس النحوي .

ولم يكن الاختلاف مقصورا على اسمية (نعم) و (بشس) أو
 فعليتهما ، بل شمل أيضا إعراب الاسم الذي بعدهما عندما يكون
 نكرة ، نفى نحو (نعم قوما معشره) الإعراب الواضح السهل
 لـ (قوما) أنه تمييز وبه فسر الضمير المستتر في (نعم) ، والذي
 يعرب فاعلا، ومفسره مبتدأ مؤخر^(١)، وخبره الجملة الفعلية قبله :
 (نعم) والضمير المستتر فيها . هذا هو الإعراب السهل الواضح ،
 بدليل أن الضمير في (نعم) مستتر وجوبا ، لأن التمييز بعده يفسره
 .. ومع ذلك فإن قوما زعموا أن مفسره مرفوع بنعم وهو الفاعل
 ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن قوما حال ، وبعضهم إنه
 تمييز^(٢) .

واختلاف ثالث يتعلق بالجمع بين التمييز والفاعل الظاهر في
 (نعم) نحو (نعم الرجل رجلا زيدا) فهناك من أجازه ، وهناك من

(١) أي : مفسره يعرب ...

(٢) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٢ .

مَنْعَهُ ، وهناك من أفتى بأن التمييز إن أضاف قاعدة زيادةً على
الفاعل جان الجمع بينهما نحو (نعم الرجل فارساً زيدٌ) وإلا فلا ،
نحو (نعم الرجل رجلاً زيدٌ) ^(١) ... لهذا يمنع وذاك يجيز وثالث
يقف موقفاً وسطاً ، وكأن الأمر قضية شخصية ، مع أن ابن عقيل
نفسه يورد هيتين لجريز في هذا الموضع يشهدان على جواز الجمع
بين التمييز والفاعل الظاهر ، فالأول هو /

والتَّغْلِييْقُونَ يَخْسُ الْحَلَّ لَحْلَهُمْ * فَحَلَّ وَأَمُّهُمْ زَلَّاءٌ مِثْلِيَسِقٌ ^(٢)

والثاني هو :

تَزُوذُ مِثْلَ زَادٍ أَبَيْكَ زَادَا * فَيَنْعَمُ الزَّادُ زَادُ أَبَيْكَ زَادَا ^(٣)

وما بعد نعم ويثنى على ثلاثة أقسام .

- ١ - اسم محلى بالالف واللام ويعرب فاعلاً لهما ثم يأتي المخصوص
بالممدح أو المذموم ، ويُعَرَّبُ مبتدأً مؤخراً والجملة الفعلية
قبله خبره نحو (نعم الرجل زيدٌ) .
- ٢ - مضاف إلى ما فيه ال مثل (نعم عقيل الكرسياء) .

(١) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) شرح ديوان جرير . الشارح محمد اسماعيل الماوي ص ٣٩٥ .
ط ١ التجارية دون تاريخ .

(٣) شرح ديوان جرير ص ١٢٥ .

٣ - مضمير مفسر بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحسو (نعم
قوماً معشره)^(١) .

والذي نود أن نقوله هنا إنَّ القرآنَ الكريمَ قد استعمل
الأساليب الثلاثة ، فالأول كقوله تعالى : " ثُمَّ اضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ
وَيَبْسُ الْمَصِيرُ " ^(٢) . و " مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ نِعَمَ الثَّوَابِ
وَحَسُنَتْ مُرْتَفَعًا " ^(٣) والثاني كقوله تعالى : " فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " ^(٤)
و " فَنِعْمَ عَقَبَى الدَّارِ " ^(٥) والثالث كقوله تعالى : " يَبْسُ لِلظَّالِمِينَ
بَدَلًا " ^(٦) ولكنَّ المخصوصَ بالمدح أو الذم لم يُذكر في القرآن الكريم
إلا في آية واحدة هي " يَبْسُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ " ^(٧) ، فالفسوق
هو المخصوص بالذم ، على أنَّ من المفسرين من أمرَّبه بدلا من (الاسم) ،
لإفادة أنه نسق لتكرره ، وعلى هذا فالمخصوص بالذم محذوف تقديره
(هو) " ^(٨) .

(١) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٢ .

(٢) البقرة آية ١٢٦ .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) آل عمران آية ١٣٦ .

(٥) الرعد آية ٢٤ .

(٦) الكهف آية ٥٠ .

(٧) الحجرات آية ١١ .

(٨) حاشية الجمل على الجلالين ج٤ ص ١٨٢ المكتبة التجارية

سنة ١٩٣٣ م .

حبذا ولا حبذا

كان هذا عن نِعَمٍ وبِئْسَ . فمادّا عن شَبِيهَتَيْهِمَا حبذا ولاحبذا .
 من الواضح أن (حَبْذَا) مكونةٌ من الفعل حَبَّ واسم الإشارة
 (ذا) . وهذا الفعل غيرُ متصرفٍ في هذا الموضع ليس غير ، فـ
 يقال حبذا وحبذا واحبذا مثلاً . ولكنم جاء متصرفاً في مواضع
 أخرى . يقول ابن منظور : حَبَّ إِلَى هذا الشيءُ يَحَبُّ . قال ساعدة :
 هَجَرْتُ غُضُوبٌ وَحَبَّ مَنْ يَتَجَبَّبُ * وَعَدَتْ عَزَائِدُ دُونِ وَلِيكَ تَشْعَبُ^(١)
 وكثيرٌ من النحاة على أن (حَبَّ) الأصل فيها حَبَبٌ بضم
 الباء ، ثم سكنت وأدغمت في الثانية^(٢) .

ونلاحظ أن (أَحَبَّ) الماضي الرباعي أكثر استعمالاً من الثلاثي
 فيقال أَحَبَّ وَيُحِبُّ وَمُحِبٌّ ، إِلَّا أَنْ أَسْمَ الْمَفْعُولِ من الثلاثي (حَسِبَ)
 وهو محبوب مستعمل بكثرة أيضاً . وقد ورد في اللسان " وبنسائه
 للمجهول حَبَّ الشيء (بضم الحاء) فهو محبوب . قال سيبويه^(٣) " فإِذَا
 قلت محزون ومحبوب جاء على غير أحبيت^(٤) . وقد قال بعضهم
 حَبَبْتُ فُجَاءً به على القياس^(٥) " .

(١) اللسان مادة حب جا ص ٢٨١

(٢) اللسان مادة حب جا ص ٢٨١

(٣) السابق .

(٤) يقيّد أنهما جاءا على الثلاثي حَزِنَ وَحَبَبَ وليس من الرباعي
 أحبّ .

(٥) الكتاب ج٢ ص ٢٣٨ أسفل الصفحة .

والمادة كلها تدل على كل ما هو مستحب خير لا شر فيه ،
 فالإحباب في الأهل كالإحسان في الخيل ، وهو أن يبتكر فلا يثور ،
 والإحباب أيضا البرء من كل مرض ، والحب الزرع صغيرا كان أم
 كبيرا واحدته حبة . ويقال للبرد حب الغمام وحب المزن وحب قر .
 وحب القلب شعرته وسوداؤه . وقال الأزهري هي العلقة السوداء
 التي تكون داخل القلب ، ويقال أصابت فلانة حبة قلب فلان إذا
 سعت قلبه حبها ، وحبب الفم ما يتجنب من بياض الريق على
 الأسنان ، وحبب الماء طرائقه ونفحاته ولفائعه التي تظفر
 كأنها القوارير . والمحبة والمحوبة من أسماء مدينة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم^(١) .

ومن ثم جاء التركيب (حبذا) للمدح والإطراء ، وكان
 متوافقين مع تلك المعاني، و (حبذا) لا يتغير واحد من جزأيه ،
 فالفعل (حب) لا تتغير صورته في هذا التركيب ، كذلك اسم الإشارة
 ملازم للإفراد والتذكير. وفي ذلك يقول سيبويه " وزعم الخليل
 أن حبذا بمعنى حب الشيء ، ولكن إذا وحب بمنزلة كلمة واحدة نحو
 (لولا) وهو اسم مرفوع ، كما تقول يا ابن عم ، فالعم مجرور، ألا
 ترى أنك تقول للمؤنث حبذا ولا تقول حبذة ، لأنه صار مع حب على
 ما ذكرت لك وصار المذكر هو اللازم ، لأنه كالمثل^(٢) " .

وفي ذلك يقول جرير غير مفرق بين مذكر أو مؤنث ولا بين
 مفرد أو تشنية أو جمع :

(١) اللسان مادة حب .

(٢) الكتاب ج١ ص ٣٠٢ .

يَا حَبْدَا جَبَلَ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ * * * وَحَبْدَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَ
وَحَبْدَا تَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَّةٍ * * * تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا^(١)

وفى ذلك أيضا تقول كنزة :

أَلَا حَبْدَا أَهْلَ الْمَلَا ، فَيَرَّ أَتَه * * * إِذَا ذُكِرْتُ مَيَّ فَلَا حَبْدَا هَيَّا^(٢)

فهذا مصداق لقول سيبويه أن (ذا) تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَ سِيْبُوِيَه فِي حَبْدَا غَيْرُ وَاضِحٍ ، هَلْ يَعْنِيهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ وَهَلْ (ذَا) هِيَ الشَّيْءُ يَقْصِدُهَا عِنْدَمَا قَالَ " وَهُوَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ " ؟ أَوْ أَنَّهُ يَقْصِدُ (حَبْدَا) كَلِمَةً . إِنَّمَا يَقْرَأُنَا لِذَلِكَ النَّصِّ نَمِيلُ إِلَى أَنَّهُ يَقْصِدُ أَنَّ (حَبْدَا) كَلِمَةً بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ يَقْصِدُهَا أَيْضًا عِنْدَمَا قَالَ " وَهُوَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ " ثُمَّ إِنَّهُ يَقُولُ " وَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّ (حَبْدَا) بِمَعْنَى حُبِّ الشَّيْءِ (أَيْ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ) وَلَكِنْ .. " فَاسْتَغْنَى سِيْبُوِيَه الْحَرْفُ (لَكِنْ) لِيَسْتَدْرِكَ ، أَوْ لِيَجْمَعَ زَعَمَ الْخَلِيلِ ، فَقَدْ أَكْمَلَ بَعْدَ ذَلِكَ قَائِلًا^(٣) " .. وَلَكِنْ ذَا وَحَبٌّ بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ " .

وبذلك نجد تعارفا مع ما فهمناه من ذلك النص وبين ما

(١) شرح ديوان جرير ص ٥٩٦ .

(٢) قائلته كنزة أم شملة المستقرى لى مية صاحبة ذي الرمة .
ديوان الحماسة لابی تمام ج ٢ ص ٢٤٩ تحقيق محمد عبد المنعم .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٠٢ .

أورده ابن عقيل في شرحه على الغية ابن مالك عندما قال :

" واختلف في إعرابها - أي إعراب حبذا - فذهب أبو علي
الفارسي في البغداديات وابن برهان وابن خروف - وزعم - أنسبه
مذهب سيبويه ، وأنَّ مَنْ نَقَلَ عَنْهُ غَيْرَهُ فَقَدْ أَخْطَأَ عَلَيْهِ واختاره
المصنف إلى أنَّ (حب) فعل ماضٍ و (إد) . فاعله ، وأما المخصوص
فجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوز أن يكون خبراً
لمبتدأ محذوف وتقديره (هو زيد) أي الممدوح أو المذموم زيد ،
واختاره المصنف " ^(١)

(٢)

وعلى أية حال فالنحاة في إعراب مثل (حبذا زيد) وجوه :

- ١ - حب فعل وذا فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر مقدم (لزيد)
الذي هو مبتدأ .
- ٢ - حب فعل وذا فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر، وزيد
خبر لمبتدأ محذوف أي (هو زيد) .
- ٣ - (حبذا) اسم وهو مبتدأ و (زيد) خبر .
- ٤ - (حبذا) اسم وهو خبر مقدم و (زيد) مبتدأ مؤخر .
- ٥ - (حبذا) كلها فعلٌ وزيد فاعل. وهذا الفعل الوجوه .
- ٦ - حب فعل وذا فاعل وزيد بدل منها .

(١) شرح ابن عقل ج٢ ص ١٠ .

(٢) انظر معجم الهوامع ج٢ ص ٨٨ الكتاب ج١ ص ٣٠٢ ، شرح التمرح

ج٢ ص ١٠٠ ، المغني ص ٧٢٥ ، شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٧٠ .

٧ - حب فعل :ذا فاعل وزيد مفعول مطلق بيان .

والذي نظنه صحيحاً ما آره سيبويه أو ما فهمناه من نص سيبويه أنها كلمة واحدة ، وهي اسم في محل رفع بالابتداء ، والذي يتقوى هذا الظن :

١ - أن الكلمتين (حب وذا) جاءتتا متصلتين في الكتابة وكان في الإمكان أن يفصل بينهما هكذا حب ذا .

٢ - أن هذا التعليل يتوافق مع كون الفعل (حب) غير متصرف في هذا الموضع ليس غير ، ومع كون (ذا) لا يتغير بتغير ما بعده تانيثاً أو تشنيئاً أو جمعاً .

واختلف في النكرة الواقعة بعد المخصوص بالمدح ، فقليل إنها تمييز ، وقليل إنها حال ، على أن هناك من النحاة من وضـع تعريفاً ضابطاً لكل من الإعرابين ، فإن كانت النكرة مشتقة فهي حال نحو (حبذا زيدٌ راکباً) ، وإن كانت جامدة فهي تمييز نحو (حبذا الصبرُ شيمَةً) وهي في هذه الحالة تقبل دخول (من) عليها فنقول (حبذا الصبرُ من شيمَةٍ) ^(١) .

ولقد وردت المادة (حبب) في القرآن الكريم مصاغة في أشكال متعددة :

١ - حبب : وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ
٧/ الحجرات

(١) جمع الهوامع ج٢ ص ٨٨ و ٨٩ .

(٢) الجمع ج٢ ص ٨٩ .

- ٢ - أَحَبَّتْ : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَّتْ .
٥٦ / القصص
- ٣ - أَحَبَّ : قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِنْسَانَ
٧٦ / الأنعام
- ٣ - يُحِبُّ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ / البقرة
- ٥ - يُحِبُّكُمْ : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
٣١ / آل عمران
- ٦ - اسْتَحِبُّوا : لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخَوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا
الكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ٢٣ / التوبة
- ٧ - يَسْتَحِبُّونَ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ .
٣ / إبراهيم
- ٨ - يَحِبُّ : وَمَنِ النَّاسُ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ . ١٦٥ / البقرة
- ٩ - أَحَبَّ : قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخَوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ ٣٤ / التوبة
- ١٠ - أَحْبَابُهُ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ
١٨ / المائدة
- ١١ - مَحَبَّةٌ : وَالْقِيَّتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي .
٣٩ / طه
- ١٢ - حَبَّ : إِنْ اللَّهَ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى .
٩٥ / الأنعام

١٢ - حبة : مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ .
٢٦١ / البقرة

القرآن إذا لم يستعمل حبدا ، فإذا أضفنا إلى ذلك نتيجة
بحثنا في المعلقات السبع ^(١) وعرفنا أنَّ أصحاب المعلقات لم يستعملوا
(حبدا) استطعنا القول بأن حبدا ولا حبدا لم يستعملوا حتى العصر
الإسلامي مروراً بالعصر الجاهلي ، أو على الأقل كان استعمالهم
نادرا ، وربما كانت هناك نصوص لم نقرأها استعملت فيها حبدا
أو لا حبدا . ونستطيع القول أيضا بأنَّ كلاً من الفعل نَعَمَ والفعل
يَشْنَ أقدم في الاستعمال من حبدا ولا حبدا

يبقى بعد ذلك من أساليب المدح والذم التي تستعمل فيها
الأفعال غير المتصرفة أسلوبان : الأول بناء الفعل الماضي على
فعل الثاني كلمة ساء .

(١) شرح المعلقات السبع للزوزي صبيح سنة ١٩٦٨ وشرح القصص
السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري تحقيق الأستاذ عيسى
السلام هارون . دار المعارف سنة ١٩٨٠ .

١ - فَعْلٌ

فاما الأول وهو بناء الماضي على فَعْلٌ فنلاحظ أن الفعل الماضي لا يجر أبداً على هذه الصورة ويكون متصرفاً إلا للدلالة على غريزة أو طبيعة أو ما أشبه ذلك نحو جَدَرَ فلان بالأمر وخطَرَ قَدْرُهُ " (١) . وهناك صيغتان أخريان له : الأولى فَعَلَ بفتح العين كَقَرَّبَ والثانية فَعِلَ بكسرها كَشَرِبَ ، غير أن هاتين الصيغتين إذا حولتا إلى (فَعُلَ) بضم العين كانتا للمدح أو الذم نحو " قَفَّوْ الرجل وَعَلِمَ - بضم الشاد واللام - بمعنى ما أقضاه وما أعلفاه " (٢) ويبدو أن هذا البناء هو الذي جعل الفعل غير متصرف إذا إنه ليس صيغته الأصلية يتصرف ، فالفعلان (كبر) و(حسن) مثلاً متصرفان ولكنهما إذا بنيما على صيغة (فَعُلَ) منعاً من التصرف وخصماً معنوياً للمدح أو الذم ، فمن ذلك قوله تعالى " نِعَمَ الثَّوَابَ وَحَسُنَتْ مَرْتَلَقًا " (٣) و " كَبُرَتْ كلمةٌ تخرجُ من أفواههم " (٤) .

ومن الناحية من الحق هذه الصيغة بنعم وبئس كصاحب الالفية حيث يقول :

وَأَجْعَلُ كِبَيْسَ سَاءً وَأَجْعَلُ فَعْلًا * * من ذي ثلاثة كِنَعَمَ مَسْجَلًا (٥)

(١) شرح الكافية ج٢ ص ٣٠٨ وأنظر أيضاً تكملة في تصريف الأفعال حررها الشيخ محيي الدين بعد تحقيقه شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٩٩ .

(٢) شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٥٩ (تكملة الشيخ محيي الدين) .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) الكهف آية ٥ .

(٥) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٨ .

وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ شَارِحُ الْأَلْفِيدَةِ ابْنُ عَقِيلٍ فِي قَوْلِهِ " وَأَشَارَ
بِقَوْلِهِ " وَاجْعَلْ لَعْلًا " إِلَى أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ ثَلَاثٌ يَجُوزُ أَنْ يُبْنَى مِنْهُ
فِعْلٌ عَلَى فِعْلٍ بِقَمْدِ الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ ^(١) .

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا فِي أَسْلُوبِ التَّعَجُّبِ كصاحب شرح التصريح على
التوضيح حيث يقول " وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي التَّعَجُّبِ صِيغَةً ثَالِثَةً وَهِيَ
فَعْلٌ بِضَمِّ الْعَيْنِ نَحْوَ " كَبُرَتْ كَلِمَةٌ " ^(٢) ، وَكَذَلِكَ ابْنُ جَنَى السِّدِّي
عَدَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ (فَعْلٌ) هِيَ الْأَصْلُ لَصِيغَةِ التَّعَجُّبِ (مَا أَفْعَلَهُ) يَقُولُ :

" وَكَذَلِكَ نَعْتَقِدُ نَحْنُ أَيْضًا فِي الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ مِنْهُ فِعْلُ التَّعَجُّبِ
أَنَّهُ قَدْ نَقِلَ مِنْ فَعْلٍ وَفِعْلٍ إِلَى فَعْلٍ ، حَتَّى صَارَتْ لَهُ صِفَةُ التَّمَكُّنِ
وَالْتَقَدُّمِ ، ثُمَّ بُنِيَ مِنْهُ الْفِعْلُ ، فَقِيلَ (مَا أَفْعَلَهُ) نَحْوَ (مَا أَشَعَّرَهُ) ،
إِنَّمَا هُوَ مِنْ شَعَّرَ ، قَدْ حَكَاهَا أَيْضًا أَبُو زَيْدٍ ، وَكَذَلِكَ مَا أَقْتَلَهُ
وَمَا أَكْفَرَهُ هُوَ مِنْدَنَا مِنْ قَتْلٍ وَكُفْرٍ تَقْدِيرًا ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ فِى
اللَّفْظِ اسْتِعْمَالًا " ^(٣) .

وَقَدْ نَقَلَ شَارِحُ الْكَافِيَةِ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ ابْنِ جَنَى بِنَحْوِ آخِرِ
وَبُضِيفَ إِلَيْهِ تَعْلِيلًا حَسَنًا حَيْثُ يَقُولُ :

" قِيلَ لَا يُبْنَى فِعْلُ التَّعَجُّبِ إِلَّا مِنْ (فَعْلٍ) مَعْمُومِ الْعَيْنِ فَسَى
أَصْلُ الْوَضْعِ أَوْ مِنَ الْمُنْقُولِ إِلَى (فَعْلٍ) إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِهِ نَحْوَ (مَا

(١) السابق ج٢ ص ٢٦٨ .

(٢) شرح التصريح ج٢ ص ٨٩ والاية هي الخامسة من سورة الكهف .

(٣) الخصائص ج٢ ص ٢٢٥ .

أضرب) و (ما أَقْتَلَ) ليدلّ بذلك على أن المتعجب منه صـ
كالغريزة ، لأن بابَ فعلٍ موضوعٌ لهذا المعنى " (١) .

وإذا أمعنا النظر في المسألة وجدنا ألا فرق بين جعلها
للمدح أو للذم وبين جعلها للتعجب ، إذ إنها تغيد المدح والتعجب منه
في آنٍ واحدٍ أو تغيدُ الذمَّ والتعجب منه في الوقت نفسه ، للمبالغة
فيه .

وما بعد (فعل) ينصب على التمييز ، وهناك من يرفعه على
الشاعلية ، يدلّ على ذلك ما أورده الطبري في الآية الكريمة " كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " (٢) قال (كلمة) تنصب على البيان ، أي كَبُرَتْ
تلك الكلمة كلمة ، وقرأ الحسنُ وسجاءُ ويحيى بن يعمرَ وابنُ أبي
إسحقَ (كلمة) بالرفع ، أي عظمت كلمة ، يعني قولهم (اتخذ الله
ولدا) ، وعلى هذه القراءة فلا حاجة إلى إضمار (٣)

وهو في هذا تابعٌ لقول الفراء " (وقوله) كبرت كلمة تخرج
من أفواههم) نصبها أصحابُ عبد الله ورفعها الحسنُ وبعضُ أهلِ
المدنية ، فمن نصب أضمر في (كبرت) : كبرت تلك الكلمة كلمةً ،
ومن رفع لم يفسر شيئاً ، كما تقول عظم قولك وكبر كلامك " (٤)

(١) شرح الكافية ج٢ ص ٢٠٨ .

(٢) الكهف / ٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للطبري ج١٠ ص ٣٠٣ . دار الكتب بمصر
١٩٤٠ م .

(٤) معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ج٢ ص ١٢٤ . تحقيق الأستاذ
محمد علي النجار . الدار المصرية للتأليف والترجمة دون تاريخ .

وَأَمَّا الشَّانِي فَيُحْوِلُ اسْتِعْمَالَ سَاءَ كَعْمَلٍ مَاضِي غَيْرٍ مُتَصَرِّفٍ
كَاسْلُوبٍ لِلذَّمِّ، إِذْ إِنَّهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْأَسْلُوبِ يُتَصَرَّفُ . فَنَقُولُ " سَاءَ
بِسُوءِهِ سَوْءٌ وَسَوْءٌ وَسَوَاءٌ سَوَاءٌ " . وَاسْتِثْنَاءُ فُلَانٍ فِي الصَّنِيعِ، وَيُقَالُ
عِنْدِي سَاءَةٌ وَنَاهٍ وَسُوءُهُ وَبُئْسَ الظَّنُّ ^(١) .

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَثِيرًا مِنْ اِشْتِقَاقَاتِ هَذِهِ
الْمَادَّةِ قَالَ تَعَالَى :

" إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا " ^(٢)
و " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ
تُسَوِّكُمْ " ^(٣) .

و " وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيبًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْمًا ^(٤) "
و " فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفُضِّلَ لِمِ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ " ^(٥) .
و " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ^(٦) "
و " كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا " ^(٧) .

(١) اللسان مادة سوء .

(٢) الاسراء - ٧ .

(٣) المائدة - ١٠١ .

(٤) العنكبوت - ٢٣ .

(٥) آل عمران - ١٧٤ .

(٦) الروم - ١٠ .

(٧) الاسراء - ٣٨ .

" وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيُّ إِلَّا بِأَهْلِهِ " ^(١) .

واستعمل أيضا (سأ) غير المتصرف كثيرًا :

قال تعالى :

و " مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَدِمَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ " ^(٢) .

و " فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ^(٣) .

و " وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا " ^(٤) .

و " وَامْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ " ^(٥) .

وساء هذه التي لا تتصرف إلا في أسلوب الهم تشبيه في الاستعمال
الفعل المنفي (لا يكون) فهو متصرف في كل أحواله ، إلا أنه
إذا استعمل للاستثناء ظل باقياً على صورة المضارع المنفي بلا ،
لا يتغير .

وقد نصّ كثير من المفسرين والمعربين على عدم تصرفها ،
يقول العكبري في الآية " وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا " ^(٦) أي فساء هو ، والضمير عائذ على قس أو عيسى

(١) فاطر - ٤٣ .

(٢) المائدة - ٦٦ .

(٣) التوبة - ٩ .

(٤) الإسراء - ٣٢ .

(٥) الشعراء - ١٧٣ .

(٦) النساء - ٣٨ .

الشيطان ، و(قربنا) تمييز . وساء هنا منقولة إلى باب (نعم وبئس) ففاعلها والمخصوص بعدها بالذم مثل فاعل بئس ومخصوصها ، والشقدير فساء الشيطان^(١) .

ويقول أبو عبيدة في الآية نفسها " فساء قربنا ، أي فساء الشيطان قربنا ، على هذا نصح^(٢) " .

وقال الطبري " وإنما نَصَبَ القَرِينَ لَأَنَّ فِي (سَاء) ذِكْرًا للشيطان ، كما قال جل ثناؤه " بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا " وكذلك تفعل^(٣) العرب في (سَاء) ونظائرها^(٤) .

وقد ذكر محققا التفسير أنَّ أبا جعفر لم يبين معناها ، ولم يذكر أنَّ أصحاب العربية يعدونها فعلا (جامدا)^(٥) يجري مجرى نعم وبئس ، وإنَّ كان تفسيره قد تضمن ذلك^(٦) .

على أنَّ القُرْطُبِيَّ قد ساوى ساء ببئس صراحةً فتفسيره للآية الكريمة عندما قال : " فساء قربنا أي ببئس الشيطان قربنا ، وهو نصب على التمييز^(٧) " .

(١) إملأ ما مَنَّ به الرحمن على هامش شرح الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سركيس الخانجي ١٩٥٤ .

(٣) الكهف - ٥٢ .

(٤) جامع البيان من تأويل آي القرآن للطبري ج ٨ ص ٢٥٨ تحقيق محمد شاكر واحمد شاكر - دار المعارف دون تاريخ .

(٥) الأنسب أن يقال غير متصرف كما بينا في بداية البحث .

(٦) السابق ج ٨ ص ١٢٨ و ١٣٩ (هامش) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج ٥ ص ١٩٤ دار الكتب ١٩٣٧ .

ولم يَجِْ في لسان العرب ولا في القاموس المحيط ذكرٌ للفعل
(سأ) غير متصرفٍ ، فقد تناول القاموسان سأ وتصرفهما
واستعمالاتها وشواهد هذه الاستعمالات ولكنهما أغفلا (سأ) فعلاً
غير متصرف .

ونرى أن (ساء) في هذه الآية وما شابهها من آيات أخسر
 وأساليب غير متصرفية، فلم يرد مثلاً فسوء ما ... ، بل إنَّ الأسلوبَ
 مقصورٌ على الماضي (ساء)، ويدلُّ على ذلك أيضاً شيءٌ آخر
 واضحٌ وبسيطٌ، وهو اقترانها بالفاء عندما تقع جواباً للشرط. كما
 في الآية الكريمة التي نحن بصددِها " ومن يكن الشيطان له قريناً
 فساء قريناً " ومعروفٌ أن الفاءَ تقتربُ بجواب الشرط إن كانَ فعلاً
 ماضياً غيرَ متصرفٍ .
 (١)

الفصل الثامن

مبحث التعويض

صيفتا التعجب

تَكَادُ تُجْمَعُ الرُّبُيَاتُ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا مَوْرخُو النُّحُو عَلَى أَنَّ
ابْنَةَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ قَالَتْ لَهُ : مَا أَحْسَنُ السَّمَاءِ (بضم النون) ،
فَقَالَ : أَيُّ بَنِيَةِ نَجُومُهَا . فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أَرِدْ أَيَّ شَيْءٍ مِنْهَا
أَحْسَنَ ، وَأِنَّمَا تَعَجَّبْتُ مِنْ حُسْنِهَا ، فَقَالَ : إِذْنِ فَقُولِي مِمَّا
أَحْسَنَ السَّمَاءَ (بفتح النون) فحينئذ وضع كتابا .^(١)

وَقِيلَ إِنَّ ابْنَةَ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَتِي مَا أَشَدُّ الْحَرَّ
(بضم الدال) ، فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فَقَالَ لَهَا : إِذَا كَانَتْ
الصُّقْعَاءُ مِنْ فَوْقِكَ ، وَالرَّمْضَاءُ مِنْ تَحْتِكَ ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنَّ الْحَرَّ
شَدِيدٌ . فَقَالَ لَهَا : فَقُولِي إِذْنِ مَا أَشَدُّ الْحَرَّ (بفتح الدال)
" وَالصُّقْعَاءُ الشَّمْسُ " ^(٢)

فَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ وِلَاةَ أَبِي الْأَسْوَدِ كَانَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِينَ مِنْ
الْهَجْرَةِ ، أَدْرَكْنَا أَنَّ أَسْلُوبِي التَّعْجِيبِ أَسْلُوبَانِ قَدِيمَانِ ، وَأَنَّهُمَا
كَانَا مَحَلَّ دِرَاسَةِ الْقَدَمَاءِ مِنْذُ نَشْأَةِ النُّحُو وَوُجُعِ قَوَاعِيدِهِ .

وَلِلتَّعْجِيبِ صِيفَتَانِ : مَا أَفْعَلُهُ وَأَفْعِلَ بِهِ ، وَهَاتَانِ الصِّيفَتَانِ
هُمَا الْمَشْهُورَتَانِ اللَّتَانِ يَأْتِي ذِكْرُهُمَا فِي بَابِ التَّعْجِيبِ فِي كُتُبِ النُّحُو ،
غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ صِيفًا أُخْرَى سَمَاعِيَّةً وَقِيَاسِيَّةً ، فَمِنْ الْأَوَّلَى (لِلدَّرْهِ لَارِسًا)

(١) أنباء الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين القفطسي
تحقيق محمد أبي الغفل إبراهيم ج١ ص ١٥ دار الكتب المصرية
سنة ١٩٥٠ م ونزهة الألباء ص ١٢ .

(٢) أنباء الرواة ج١ ص ١٥ .

و (سبحانَ اللَّهِ) و (لله أنتَ) و (بالله) و (لله) ، وقولُه تعالى
 " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ " ^(١) . وقولُه تعالى : " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " وقولُه
 تعالى : " الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ " ^(٢) . وأنشد سيبويه :

لِلَّهِ يَبْقَى عَلَى الْآيَامِ دَوَّ حَيِّدٍ * يَمْشِي بِهَ الظِّيَّانُ وَالْأَسَى ^(٣)

ونجد معنى التعجب موجوداً في قولنا " جلَّ اللهُ وعزَّ اللهُ
 على معنى ما أجل الله وما أعزّه، لا على الخبر بأنه صار خليلاً
 ولا بأنه صار عزيزاً، وهكذا عظم شأنك ، وعلت منزلتك إذا لم ترد
 الخبر " ^(٤) .

والثانية بناءً الثلاثي على (فعل) بضم العين للمدح أو السدح
 وفي الوقت نفسه للتعجب ومن ذلك قولُ الله سبحانه وتعالى
 " كَبُرَتْ كَلِمَةً... " ^(٥) وكبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا
 تفعلون " ^(٦) .

(١) البقرة آية ٢٨ .

(٢) انبا آية ١ .

(٣) الحاقة آية ٢ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ١٤٤ .

(٥) الأشباه والنظائر للسيوطي ج ٣ ص ١٤٤ ط حيدر اباد سنة ١٣٥٩هـ

(٦) انظر مثلاً شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٦٨ وجمع الهوامع ج ٢ ص ٩٢
 وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهري ج ٢ ص ٨٣ و ٨٤ .

(٧) الكهف آية ٥ .

(٨) المص آية ٣ وقد بينا وزن (فعل) في الفصل السابق .

وأجار الكوفيون استعمال (أفعل) دون (ما) فيقولون
(أحسنرت رجلاً) و (أكرمتم رجلاً) بمعنى (ما أحسرك) و (ما أكرمك) ^(١).

وللنحاة رأى حسن في تعريف التعجب من الساحة النفسية ،
فهم يرون " أن التعجب استعظامٌ زيادةً في وصف الفاعل ، خفي
سببها وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قل نظيره " ^(٢).

فإذا قلنا " ما أجمل السماء " كان قولنا تعجباً من الفاعل
الذي جعل السماء على هذه المورة من الجمال .

ويرى بعضهم بأنه انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر
خفى سببه ، ولذا يقال إذا ظهر السبب بطل العجب " ^(٣).

ويشترط على ذلك شيان :

الأول خفاءً أمر الفاعل بالنسبة للمتعجب (بكسر الجيم)
فكيف تفسر - على ذلك - قوله سبحانه وتعالى : " لما أمبرهم
على النار " ^(٤).

يقول النحاة في الرد على ذلك " ولا يطلق على الله أنه
متعجب ، إذ لا يخفى عليه شيء . وما وقع مما ظاهره ذلك في
القرآن فمعروف إلى المخاطب أي أن حالهم في ذلك اليوم ينبغي لسك
أبها المخاطب أن تتعجب منها " ^(٥).

(١) شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٩ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٦ .

(٣) السابق ج٢ ص ٨٦ .

(٤) السورة آية ١٧٥ .

(٥) شرح التصريح ج٢ ص ٨٧ .

الثاني : أن هناك فاعلا جعل الله عظيما في قولنا (ما أعظم الله) أي " شيء عظيم جعله عظيما ، وهذا لا يليق بمقام الله سبحانه وتعالى ، وقد ردّ ابن الأنباري على ذلك بقوله " معنى قولهم شيء أعظم الله أي وصفه بالعظمة ، كما يقول الرجل ، إذا سمع الأذان : كبرت كبيرا وعظمت تعظيما ، أي وصفته بالكبرياء والعظمة لأميرته كبيرا عظيما " (١) .

وكعادة البصريين والكوفيين لا بد أن يختلفوا في الصيغة الأولى من التعجب (ما أفعله) هل هي اسم أو فعل ؟

ولقد ذهب الكوفيون إلى أن (ما أفعله) اسم بدليل :

١ - أنه لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف لأن التصرف من خصائص الأفعال .

٢ - أنه يدخله التمجيز قال الشاعر :

يأما أُمَيْلَحُ غَزَلَانَا شَدَنَّا لَنَا * * * من هَاؤُ لِيَاثَكْنَ الْفَالِ وَالسَمَرِ (٢)

٣ - أن عينه تصح في نحو " ما أقوم وما أبيعه " كما تصح العين في الاسم في " هذا أقوم منك وأبيع منك " .

ولو أنه فعل لوجب أن تَعْلَّ عَيْنُهُ بقلبها ألفا كما قلبت من الفعل في نحو قام وباع .

(١) الإنصاف ج١ ص ٩٤ .

(٢) ينسب هذا البيت إلى العرجي أو لكامل المنتقضى ، وهو ممن شواهد المغنى ص ٨٩٤ ، ومن شواهد السيوطي في شرحه على شواهد المغنى ص ٣٢٤ وفي شرح المفصل ج٥ ص ١٣ وفي خزانة الأدب ج١ ص ٤٥ وفي الإنصاف ج١ ص ٨١ .

وأورد البصريون دلائل فعليته وهي :

١ - دخول نون الوقاية عليه إذا وصل بياء الضمير نحو مــــا
أحسننى عندك .

٢ - أنه ينصب المعارف والنكرات ، وأفعل إذا كان اسماً
لا ينصب إلا النكرات خاصة على التمييز نحو قولك (زيد أكبر
منك سناً) ولو قلت (زيد أكبر منك السن) لم يَجْزَ ، ولما
جار ما أكبر السن له دلّ على أنه فعل .

٣ - أنه مفتوح الآخر ولولا أنه فعلٌ ما في لم يكن لبنائه على
الفتح وجه ، إذ لو كان اسماً لارتفع لكونه خبراً لـ (ما)
على كلا المذهبين ^(١) .

وتستطيع أن تقرأ في الإنصاف أدلةً أخرى كثيرةً كمــــا
تستطيع أن تقرأ معارضةً لكل دليلٍ من هذه الأدلة .

والذي يدعو إلى العجب أن النحاة الذين أوردوا هذه الدلائل
على اسمية (ما أفعله) أو فعليتها هم أنفسهم الذين عللوا عدم
التصرف في (ما أفعله وأفعل به) " لكونه - أي لكون التعجب -
غير محتاج إلى التصريف للزومه طريقةً واحدةً " ^(٢) .

وعلى ذلك فإن أسلوب التعجب له صيغة خاصة لا هي بالفعل ولا هي
بالاسم ، بل إنها جمعت من خصائص الاثنين ، وتركت أيضاً خصائص
هي من خصائص الاثنين .

(١) الإنصاف ج١ ص ٨١ وما بعدها بتصرف .

(٢) همع الهوامع ج٢ ص ٩٠ .

والدكتور تمام حسان كان على حق حينما عدّ هذا الأسلوب
وما شابهه من أساليب تسمّا خاصّاً من أقسام الكلام أسماء
(١)
(٢) (الخالفة) .

وبغض النظر عن هذا الاصطلاح (الخالفة) فإن ما أفعله وأفعل
به لا يدخلان تحت جنس الاسم ولا تحت جنس الفعل ، بل هما - كما
قلت - يجمعان خصائص من خصائص الاثنين ، ويتركان أيضاً خصائص
من خصائص الاثنين ، فاستحقا أن يكونا قسماً منفرداً بنفسه من
أقسام الكلام .

وإذا كان النحاة قد اختلفوا في اسمية ما أفعله أو فعليته،
فإنهم قد " أجمعوا على فعلية أفعله به ، لأنه على صيغة لا تكون
إلا للفعل ، ولفظه الأمر ومعناه الخبر " (٣) .

إلا أنهم لا بد أن يصلوا إلى أصل أفعله به ، فيرون أنّ أصله
فعلٌ ماضي صيغته على صيغة أفعَل بفتح العين وهمزته للصيغة - ضرورة
بمعنى صار ذا كذا . فأصل (أحسن بريد) أحسن زيد ، أي صار ذا
حسن ... ثم غيرت الصيغة الماضية إلى الصيغة الأمرية ، فعار أحسن

(١) مثل أسلوب المدح والذم .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١١٣ - ١١٠ . الهيئة المصرية
للكتاب ١٩٧٣ وانظر أيضاً أقسام الكلام العربي من حيث الشكل
والوظيفة للدكتور فاضل مصطفى السائق ص ٢٥٣ - ٢٥٥ ط .
الخانجي بمصر ١٩٧٧ فقد أورد في هذه الملاحظات معيّنات
الخوائف التي تبرر إفرادها بقسم خاص من أقسام الكلام .

(٣) شرح التصريح ج ٢ ص ٨٨ .

زيد بالرفع ، فقبح إسناد لفظ صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر ،
لأن صيغة الأمر لا ترفع الاسم الظاهر ، فزیدت الباء
في الفاعل ليصير على صورة المفعول به المجرور بالباء
كامرر بزيد ، ولذلك القبح التزمت زيادتها مونا للفظ عن
الاستلحاق ، بخلاف زيادة الباء في فاعل الفعل الماضي نحو (كفى
بأله شهيدا) فيجوز تركها " (١) .

وهذا كله من تصورات النحويين التي لا علاقة لها بالواقع
اللغوي ، فالعربي عندما نطق بأسلوب التعجب (أحسن بزيدي) أو
عندما قرأ الآية الكريمة (أسمع بهم وأبصر) لم يكن يسدري
أن أصله كذا ثم تحول إلى كذا ثم زيدت الباء حتى لا يكون المرفوع
بكلمة (أفعل) اسما ظاهرا ...

ولعل في هذا تذكيرا بالنحو التحويلي الذي يفترض بنسبة
أساسية يُرجع إليها لكل تعبير تنطق به أو نسمعه " (٢)

أما عدم التصرف في أسلوب التعجب فقد أبدينا منذ قليل
تأييدنا لتعليل النحاة " لكونه غير محتاج إلى التصرف للزومه
طريقة واحدة ، إذ معنى التعجب لا يختلف باختلاف الأزمنة " (٣)

(١) يعتمد أنها ترفع المضمَر نحو اكتب ، واقرأ ، والفاعل ليس
كليهما ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت .

(٢) شرح التصريح ج٢ ص ٨ .

(٣) آية ٣٥ من سورة مريم .

(٤) انظر كتابنا " في علم اللغة التقابلي ، دراسة تطبيقية "
ص ٣٧ وما بعدها دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٤ .

(٥) الهمع ج٢ ص ٩٠ .

على أن هناك تعليلاً آخر مقبولاً لعدم التصرف فقد قالوا
 "إنهم لَمَّا لَمْ يَفْعُوا للتعجب حرفاً يدلُّ عليه جَعَلُوا له مِيفَةً"
 لا تختلف " (١)

ويقول الشيخ خالد في هذا المعنى " وعَلَّ جَمُودِهِمْ _____ (٢)
 تغميئتهما معنى حرف التعجب الذي كان يستحق الرفع ولم يرفع " (٣)

وهو يقدِّم أنَّ الحرف (على) مثلاً بمعنى الاستعلاء والمصاحبة
 والمجاورة والتعليل... والحرف (في) بمعنى الظرفية والمصاحبة
 والاستعلاء... إلى آخر ما ذكر ابن هشام في المعنى في الجوز
 الأول (٤) ولكن ليس هناك حرفٌ يدلُّ على ما يدل عليه أسلوبا: (ما
 أفعله) و (أفعل به) ، لذلك لزماً صيغة واحدة لا يتمديانها ،
 كالحرف تماماً .

وقد تكلمنا عن ليس وعسى عن حيث عدم تصرفيهما ، إلا أنَّهما
 يفتقران عن أسلوب التعجب في بعض نقاط أوردتها صاحب الإنصاف في
 مجال آخر . هذه النقاط هي :

أولاً : أن (ليس) و (عسى) يرتفعان الظاهر والمضمَّر ،
 و (أفعل) في التعجب إنما يرتفع المضمَّر دون الظاهر .

ثانياً : أن (ليس) و (عسى) وصلاً بضمائر المتكلمين

(١) الإنصاف ج١ ص ٨٧ .

(٢) يقدِّم عدم تصرفيهما .

(٣) شرح التصريح ج٢ ص ٨٨ .

(٤) انظر معنى اللبيب حرف (في) ص ٢٢٣ ، حرف على ص ١٨٩ .

والمخاطبين والغائبين مثل لست ولستم وليسوا وعسيت وعسيتم وعسوا ، و (أفعل) في التعجب ألزم ضمير الغيبة لا غير .

ثالثا : أن ليس وعسى لا مصدر لهما من لفظهما ، بخلاف (أفعل) في التعجب فإن له مدرا من لفظه .

وقد نقلنا هذه النقاط بتصريف عن صاحب الإنصاف ، هي تدل على نظري شائب في استعمال ليس وعسى من ناحية واستعمال صيغتي التعجب من ناحية أخرى ، بالرغم من ورود هذه النقاط في مجال أقرب إلى السفسطة اللغوية منه إلى الواقع اللغوي .^(١)

وعدم تصرف ما أفعله وأفعل به له علاقة وثيقة باستعمال (كان) بين (ما) و (أفعل) ، التي قال عنها النحاة إنها زائدة ، وهي زائدة من ناحية الإعراب ، ولكنها ليست زائدة من حيث المعنى ،^(٢) ذلك أن صيغتي التعجب بعدم تعرفهما ولزومهما صورة واحدة لا يدلان على زمن معين ، أو قل إن الدلالة فيهما على الزمن دلالة باهتة غير واضحة مما أدى إلى اختلاف النحاة فيها ،^(٣)

(١) هذا المجال هو الرد على الكوفيين في استنادهم إلى أن (ما أفعله) اسم بدليل تمغيرها في بيت الشعر

بأما أميلح غزلاننا ... السابق روايته منذ قليل .

وعندي أن الضرورة الشعرية هي التي ألجأت الشاعر إلى تمغير أميلح حتى يستقيم البيت على البحر البسيط (الإنصاف ١ : ٩١)

(٢) قد يبدو هذا غريبا ، لأن المعنى يؤثر في الإعراب ، ولا ينبغي لعل ولكن النحاة يقولون عن (كان) في مثل " ما كان أحسن زيدا " كان فعل ماض زائد ، أي أنه يدل على الماضي ولكن الزيادة من حيث عدم وجود اسم أو خبر له .

(٣) التلميح ج٢ ص ٩١ .

فمنهم من يرى أن صيغتي التعجب تدلان على الماضي المتصل بالفعل،
ومنهم من يرى أنهما تدلان على الحال دون المضي ، ومنهم من
يجمع بين الأزمنة الثلاثة فيرى أنهما يدلان على الحال والماضي
والاستقبال . من أجل هذا استعملوا (كان) وكلمات أخرى لتحديد
الزمن .^(١) فإذا أُريدَ الماضي المنقطع أتى بكان وأمس ، وإذا أُريدَ
الحال أتى بالآن ، وإذا أُريدَ المستقبل أتى بهيكون ونحوه
من الظروف المستقبلية كقوله تعالى :

" أَسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْمِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا " .^(٢)

لقد وضع النحاة شروطاً للفعل الذي يماغ على (ما أفعله) أو
(أفعل به) وهي شروط مبنية على استقراء ورود هاتين الصيغتين
في كلام العرب والرجوع إلى الأفعال التي بنيت عليها هاتان
الصيغتان .

فلا بد أن يكون الفعل ثلاثياً متصرفاً تاماً مثبتاً مبنياً
للمعلوم ليس الومف منه على أفعل^(٣)

أما كونهما لا يجيئان إلا من الثلاثي ، فهذا وقع من أوضاع
اللغة لا تعليل له إلا بعدم إمكان أن تأتي بصيغتي التعجب من
الرباعي أو الخماسي أو السداسي فلا تقول (ما انطلق أو انطلق
به) لأنَّ كلاً من (ما أفعله) و (أفعل به) إنما يتكون من الفاء

(١) السابق ج ٢ ص ٩١ .

(٢) آية ٣٨ من سورة مريم .

(٣) انظر مثلاً شرح ابن عقيل ج ٢ ص ١٥٤ ، وشرح التصريح ج ٢ ص ٩١
وإذا العرف ص ٨٠ ، وهي الشروط نفسها لصياغة الفعل على اسم
(أفعل) للتفصيل .

والعين واللام ليس غير ، فلا يجيء على سيفتهما إلا ما كان ثلاثياً ،
ولا يجوز التعجب هنا إلا بزيادة ، مثل ما أكثر انطلاق زيد .

ولا بدّ أن يكون هذا الثلاثي متصرفاً حتى يتشكل على هاتين
الصيغتين : ما أفعله ، وأفعل به ، إذ لو كان غير متصرف للزم
صورة واحدة لا يتعداها .

وأما كون هذا الثلاثي المتصرف مبنياً للمعلوم فيرجع إلى
سبب دقيق يذكره السيوطي في الأشباه والنظائر عندما يسأل :
كيف تتعجب من فُرب زيد (بضم الصاد) ، فيجيب : ما أكثر ما فُربَ
زيد ، فإذا قيل : ولماذا لم يُتَعَجَّب من المفعول (وهو زيد) بلا
وسادة ، (ويقصد بالوسادة زيادة كلمة أو أكثر) ، كما جاز
التعجب من الفاعل بلا زيادة في مثل قولنا : قام زيد ؟ كان
الجواب : لأن التعجب يكون الفعل فيه لازماً ، فإذا قيل أخرجه إلى
باب التعجب ، جعلنا الفاعل مفعولاً به ، كما تقول قام زيد ،
وما أقوم زيداً . فإذا جئنا إلى ما لم يُسمَّ فاعله لم يجوز أن
تتعجب منه حتى نزيد في الكلام ، لأنه لا فاعل فيه ، ولا نستطيع
أن نتعجب من المفعول ، لأننا بذلك نجعل المفعول قبل التعجب
مفعولاً بعده ^(١) .

وقد أورد ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك تعليلاً
آخر لذلك . يقول : " السابع (أي السابع من هذه الشروط) ألا يكون
مبنياً للمفعول نحو (فُرب زيد) بضم الصاد ، فلا تقول ما أضرب

(١) في الأشباه والنظائر "لأنه فاعل فيه" والصحيح ما اشبهناه
وهو الذي يوافق السياق . والظاهر أن (لا) سقطت سهواً عند
الطبع .

(٢) الأشباه والنظائر ج ٣ ص ١٢٨ بتلخيص وتصرف .

زيداً " تريد التعجب من قَرَبِ أَرِجَ به . لئلاَّ يلتبس بالتعجب من
أرب أوقعه هو " (١)

" أما قولهم في التعجب من (جَنَ زيد) (ما أَجَنَه) فهو محمولٌ
إلى المعنى لاستجاوزا فيه ما استجازوا فيما حُمِلَ عليه ، ألا ترى
أنَّ (جَنَ زيد) فهو مجنونٌ داخلٌ في خير الأوصاف التي لا تَكُونُ
أعمالاً وإنما تكونُ خصالاً في الموصوفين بغير اختيار مثل كرم فهو
كرم ولؤم فهو لؤيم ، خصال لا يفعلها الموصوف . فهكذا جَنَ زيد
فهو مجنون وإنما هي خصلة في الموصوف لا اختيار له فيها " (٢)

أما عدمُ تعجبهم من الأفعال الدالة على الألوان بلا زيادة
فيقول الخليل معللاً لذلك " لم يقولوا ما أحمر زيدا وما أشبهه ؟
لأنه صار مندهم بمنزلة اليد والرجل ، لأنك لا تقول (ما أبيضاه)
ولا (ما أرجله) وخالف باب الثلاثى لهذه العلة " (٣)

وأما عدم ورود هاتين الصيغتين لما لا يقبل المفاضلة مثل
(مات) و(فنى) ونحوهما ، فراجع إلى عدم وجود مزية فيهما
لشيء على شيء . (٤)

لم يبق إلاَّ النفي، ومن الأمور الواضحة أن الانسان لا يتعجب
من شيء منفي لم يحدث .

وصيغة (أفعل به) جاءت على صورة الأمر ومقصود بها

(١) شرح عقيل ج٢ ص ١٥٤ .

(٢) الاشباه والنظائر ج٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ .

(٣) السابق ج٢ ص ١٤٠ .

(٤) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٥٤ .

التعجب . وقد أورد السيوطي في الأشباه والنظائر القاعدة التي تقول :

" الأصل مطابقة المعنى للفظ " وَمِنْ شَمَّ قَالَ الكوفيون : إِنْ
معنى أفعَل به في التعجب أَمْرٌ كلفظه . وأما البصريون فقالوا إِنْ
معناه التعجب لا الأمر . وأجابوا عن القاعدة بأن هذا الأصل قد
ترك في مواضع عديدة ، فليكن متروكاً هنا " .

والتمس ابن النحاس مبرراً لترك هذا الأصل فقال : إِنْ اللفظ
إذا احتيج في فهم معناه إلى إعمال فكرٍ كان أبلغ وأكد مما
إذا لم يكن كذلك ، لأن النفس حينئذٍ تحتاج في فهم معناه إلى
فكرٍ وتعجب فتكون به أكثرَ كلفاً وضناً مما إذا لم تتعجب فـ
تحصيله ، وباب التعجب موقعُ المبالغة فكان في مخالفة المعنى للفظ
من المبالغة ما لا يحصل باتفاقهما ^(١) .

ونكادُ نشكُّ في هذه الرواية التي أورها السيوطي، فما نحسب
أبداً ولا نتوقع من الكوفيين أن يكونوا على هذا النمط من التفكير
الذي يجعلهم يَقْرُونَ أَنَّ صيغةَ (أفعل به) مراد بها الأمر
لا التعجب ، لا سيما أَنَّ قاعدةَ اتفاق المعنى للفظ متروكة في مواضع
بلاغية كثيرة وأن الحامل أو السبب لترك هذه القاعدة لم يأت به
واحدٌ من البصريين ، بل أتى به " بها " الذين بن النحاس المتوفى
عام ثمانية وتسعين وستمائة ويُعد من نحاة مصر ^(٢) . ثم إننا
نسال هل كان الكسائي والغزالي وشعلب وابو بكر الأنباري وغيرهم
من أعلام الكوفة جاهلين أَنَّ هذه القاعدة قد تُكسر في أحيان كثيرة
لأسباب بلاغية .

(١) الأشباه والنظائر ج١ ص ٦٣ و ٦٤ بتصريف وتلخيص .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٦ ط الخانجي

سنة ١٣٢٦ هـ .

الفصل التاسع

العمال الاستثناء

أدوات الاستثناء

سمينا هذا الفصل (أدوات الاستثناء) مع معرفتنا أن كلمة (أدوات) غير دقيقة ، وكان يجب أن نقول (أفعال الاستثناء) أو حروفها ، لكن النحاة على خلاف في ذلك بالنسبة للكلمة (حاشا) كما سنبين في هذا الفصل ، لذلك آثرنا الإصلاح (أدوات) ، لأنه يستوعب الأفعال والحروف والأسماء أيضا .

والأدوات التي نقصدها وتدخل في نطاق بحثنا هي ————
 وخلا وحاشا^(١) ، وجميعها تستعمل كأفعال للاستثناء ، وهي فـى
 هذا الاستعمال — ليس غير — تعدُّ أفعالا غير متصرفة ، ولن
 نتعرض لقواعد الاستثناء بها تفصيلا ، فهذا ليس موضوع بحثنا ،
 ولكننا قد نتعرض لهذه القواعد عندما يكون لها صلة باستعمال هذه
 الأدوات كأفعال غير متصرفة أو كحروف ، على أنه ينبغي أن نقول
 إن هناك فعلين آخرين يستعملان للاستثناء ، هما (ليس) و (لايكون)
 وقد ذكرناهما في باب (كان وأخواتها) حيث إن هذا
 الباب هو الأمل في استعمالهما .

فأما الفعل الأول وهو (عدا) فنجد له اشتقاقا عدة ومعاني
 مختلفة . فالعدو الحفر ، وعدا الرجل والفرس وغيره يعدو عدواً
 وعدواً وعدواناً وتعداء ، ويقال للخيل المغيرة عادية . قال الله
 تعالى : " والعاديات ضبحاً " ^(٢) . ويعادي الميّد : يلحقه ، وتعداى
 القوم : تباروا في العدو . وقد عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا

(١) لا علاقة لبحثنا بغيرها ، مثل إلا وسوى وغير .

(٢) الآية الأولى من سورة العاديات .

وَعَدَاً ، أي ظلم ظُلماً جاوزَ العُدْرَ . والعادي الظالم ، أصله مِن
تجاوزَ الحدَّ في الشيء . وَعَدَا الأمرَ يَعُدُّهُ ، أي تجاوزَ الحدَّ فيه
قال تعالى " ومن يتعدَّ حدودَ الله " (١) ، أي يتجاوزها
وتَعَادَى ما بينهم ، أي تَبَاعَدَ . قال الأعشى :

وَتَعَادَى عَنْهُ النَّهَارُ فَمَا تَعَدَّ * جُوهٍ إِلَّا عَفَاةً أَوْ فُؤَادُ

والعدوى اسمٌ من أَعَدَى يُعَدِّي فهو مُعَدٍّ ومعنى أَعَدَى جاوزَ
الجرب الذي به إلى غيره . (٢)

لهذه المعاني والاشتقاقات تدلُّ على أن هذا الفعل متصرفٌ كلَّ
التصرفِ ، إلا أنه في أسلوب الاستثناء يبقى في حالة الماضي لا
يتجاوزُهُ إلى زمنٍ آخرٍ أو إلى صيغةٍ أخرى ويكون فاعله في هذه
الحالة مستتراً كقول الشاعر :

تَمَلُّ النَّدَامَى مَا عَدَانِي فَيَأْتِنِي * بَكْلٌ الَّذِي يَهْوِي نَدِيمِي مُوَلِّعٌ

فـ (عدا) هنا ملازمةٌ لزمن الماضي لا تتجاوزُهُ إلى زمنٍ
المضارع أو إلى صيغةٍ أخرى كاسم الفاعل مثلاً :

(١) الآية الأولى من سورة الطلاق .

(٢) القصيدة الثانية والثلاثون . تحقيق المرحوم الدكتور محمد
حسين وأول البيت في الديوان : ما تعادى عنه

(٣) كل هذه المعاني والاشتقاقات نقلناه من لسان العرب مادة
عدا ١٩٦ ص ٢٥٧ ومن القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٤) من شواهد الأشموني على الألوية رقم ٤٦٣ .

ولكن ما العلاقة بين ما تدل عليه (عدا) في أسلوب الاستثناء وما تدل عليه من المعاني التي أوردناها منذ قليل ؟ الجواب بيسر واضح ، فهذه المعاني كلها إنما تدل على البعد أو المجاوزة والاستثناء باستعمال (عدا) يدل على هذا المعنى بعينه . فإذا قلت : قام القوم ما عدا زيدا ، فكانك قلت : قام القوم مجاوزين زيدا ، أو بعيدين عن زيد . وقد فطن النحاة إلى ذلك عندما أولوا (ما) مع الفعل بعدها (عدا) فقالوا : " إن موضع الموصول مع صلته نصب : إما على الظرفية على حذف مضاف ، أو على الحالبة على التأويل باسم الفاعل فمعنى قاموا ما عدا زيدا : قاموا وقت مجاوزتهم زيدا ، أو مجاوزين زيدا " ^(١) .

وما قلناه في (عدا) نقوله في (خلا) من حيث إنه غير متصرف في أسلوب الاستثناء ليس غير ، وإن معانيه المختلفة لها اتصال بمعنى الاستثناء . فقد جاء في اللسان ^(٢) : " خلا المكان خلوا وخلأ ، وأخلى إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه . وخلأ لك الشيء وأخلى بمعنى فرغ . وفي المثل : وَيَلُّ لِلْخَلَى مِنَ الشَّجَى . فالخلى الذي لا هم له ، الفارغ ، وتخلَّى عن الأمر : تركه ، وامسرة خلَى ، أي لا زوج لها . وخلأ الشيء خلوا أي مضى ، ومنه قولُــه تعالى : " وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " ^(٣) أي مضى ، والآخرون الخالية أي الماهية " .

(١) من كلام الشيخ محمد محيي الدين عند تعليقه على شرح الأشموني ج ٢ هامش ص ٤٦٤ .

(٢) مادة خلا ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) آية ٢٤ من سورة فاطر .

وهذه المعاني كلها تدلُّ على النفي والسلب والمضي والفساد والتترك. وكلُّها تتفق مع الاستثناء ، ففي قولنا : جاءوني خلا زيدا ، أي جاءوني خلا بعضهم زيدا ، أي فرغ بعضهم من زيد ، أو جاءوني تاركين زيدا . وقد قدر ابن هشام مثل ذلك حيث قال : " فمعنى (قاموا ما خلا زيدا) على الأول ^(١) : قاموا خاليين عن زيد ، وعلى الثاني : قاموا وقت خلوهم عن زيد ^(٢) و ^(٣) فلا فرق إذن بين معانيها تلك وبين معناها في الاستثناء إلا أنها في الاستثناء باقية في حالة المضي .

وهاتان الكلمتان (عدا و خلا) تسبقهما (ما) فتثبتان على الفعلية وقد تبيان دونهما فتكونان فعلين أو حرفين " ذلك لأن (ما) مصدرية ، فدخولها يُعَيِّنُ الفعلية ^(٤) ؛ لأنها لا تدخل إلا على الأفعال " ^(٥) .

ومن استعمال (خلا) كحرف جر قول الشاعر :

خلا الله لا أرجو سواك وإنما + + أعد عيالي شعبة من عيالي ^(٦)

-
- (١) وهو أن يكون موقع ما خلا نصباً على الحال .
 - (٢) وهو أن يكون موقع ما خلا نصباً على الظرف لأن ما وصلتها خلا تنويان من الوقت .
 - (٣) المغنى ص ١٧٩ .
 - (٤) من تعليق الشيخ محمد محيي الدين على شرح الأشموني على الألفية ج ٢ ص ٤٦٣ .
 - (٥) السابق ص ١٧٩ .
 - (٦) من شواهد الأشموني ج ٢ رقم ٤٦١ ولم أقاله على قائل معين .

وتول الآخر :

أَبَحْنَا حَيْهَمُ قَتْلًا وَأَسْرًا * عَدَا الشَّعْطَاءُ وَالطُّفْلُ الْمَغِيرُ

على أَنَّ من النحاة من يرى أن (عدا) تكونُ حرفَ جُزْءٍ وإنْ سُبِقَتْ بِـ (ما) كما سبق في قول الشاعر :

تَمَلَّ النَّدَامَى مَا عَدَانِي فَيَأْتِنِي * بَكَلٍّ الَّذِي يَهْوَى نَدِيمَهُ مُوَلَعٌ

وواضح أن (عدا) هنا فعلٌ بدليل اتصاله بنون الوقاية التي تدخل على الفعل لِتَقْيَهُ الْجَرَ إذا اتصل بياء المتكلم ، ولسبقها بما المصدرية .

إِلَّا أَنْ هَؤُلَاءِ النُّحَاةَ يَرَوْنَ أَنَّ (ما) في هذا البيت وما جاء نحوه زائدةٌ ، ودخول النون لا يتعين معه أن تكون الكلمة فعلاً ؛ لأنها تلحق ببعض الحروف ، نحو مَنَى وَعَنَى ^(١) .

وقد ردَّ ابنُ هشامٍ على رأيهم هذا بقوله : " فإنَّ قالوا ذلك بالقياس فإسناد ، لأن (ما) لا تزددان قبل الجاء بل بعده نحو " عمَّا قليلٍ " ^(٢) و " فبما رحمةٍ " ^(٣) ، وإنَّ قالوا بالسماع فهو من الشذوذ بحيث لا يُقاس عليه " ^(٤) . هذا إلى أن " إَجْرَاءَ

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٥ للمرحوم الشيخ محمد محيي الدين .

(٢) المؤمنون آية ٤٠ .

(٣) آل عمران آية ١٥٩ .

(٤) المغنى ص ١٧٦ .

الكلام على المختلف فيه مع إمكان الجادة لا يجوز^(١) .

وإذا كان الفعلان (عدا) و (خلا) يُسبقان أحيانا ب (ما) وأحيانا أخرى يجيبان متجريدين منها ، فإن استعمال (حاشا) جاء دون سبقها ب (ما) ، لذلك عدّها سيبويه حرفاً عندما قال : "وأما (حاشا) فليس باسم^(٢) ، ولكنه حرف يجر ما بعده ، كما تجر حتى ما بعدها ، وفيه معنى الاستثناء ، وبعض العرب يقول : ما أتاني القوم خلا عبد الله ، فجعلوا خلا بمنزلة حاشا (يقصد بمنزلتها في الجر) ... ألا ترى أنك لو قلت : أتوني ما حاشا زيدا لم يكن كلاما ... " ^(٣) .

وربما كان قول سيبويه هذا تعبيرا عن الشائع الراجح في (ما حاشا) فهناك شاهد على استعمال ما حاشا وهو :

رأيت الناس ما حاشا قريشاً * فإننا نحن أفضلهم فعلا^(٤)

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٦ للمرحوم الشيخ محمد محيي الدين .

(٢) يقصد أنها لا تؤول مع (ما) قبلها باسم كما هو الحال مع (خلا) و (عدا) .

(٣) الكتاب ٣٧/١ .

(٤) هذا البيت هو الشاهد رقم ١٧٨ في ابن عقيل ورقم ٤٦٦ في الأشموني و ١٩٩ في المغنى (حرف الحاء) ، وينسب إلى الأختل ، إلا أنني بحثت في ديوانه "شعر الاختل" تعليق الأب انطوان صالحان اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩١ فوجدت ص ١٦٤ بيتين من الوافر ومن الروي نفسه والثقافية نفسها ولم أجدهما هذا البيت .

كما أن هناك شاهدين على استعمال (حاشا) فعلا ناصباً
لما بعده فالأول قول الشاعر :

(١)
حاشا قريشاً فإنَّ اللهَ فَضَّلَهُمْ * * * على البرية بالإسلام والدين

وأما الثاني قول الطماح الأسدي :

(٢)
حاشا أبا ثوبانٍ إنَّ أبا * * * ثوبانٍ ليس بَبَكْمَةٍ قَسِيْدِم

هذا بالإضافة إلى ما حكاه أبو عثمان المازني عن أبي زيد ،
قال : سمعت أعرابياً يقول : " اللهم اغفر لي ولعن سمع حاشا
الشيطانَ وأبا الأصم " (٣) .

وإذا نظرنا إلى (خلا) و (عدا) و (حاشا) وجدنا أن الفعل
(خلا) لا فرق بين كونه للاستثناء ، وكونه فعلاً متصرفاً ، وذلك من
حيثُ النطقُ أو الكتابةُ ، وكذلك الشأن في الفعل (عدا) .

ولكنَّ الأمرَ يختلفُ في (حاشا) فيوجد فرق بين كونه للاستثناء

(١) الشاهد رقم ٤٦٤ من شرح الأشموني ، ولد نسبه محققه الشيخ
محيي الدين إلى الفرزدق ولم أجده في ديوانه " قافية النون
من ص ٨٦٤ . تحقيق عبد الله الصاوي . التحاريرية الكبرى ١٩٣٦ .

(٢) المفضليات القصيدة ١٠٩ ص ٣٦٧ . تحقيق أحمد شاكر وهارون .
دار المعارف ١٩٦٤ وقد رواه ابن الأنباري في الإنصاف ؛
حاشي أبي ثوبان إنَّ به فَنّاً على الملحاة والشتيم
المسألة ٣٨ ص ١٧٩ .

(٣) شرح الأشموني ج ٢ ص ٤٦٩ وشرح المفصل ج ٢ ص ٨٥ لابن يعيش وقد
أورد (ابن الأصم) بدلا من (أبا الأصم) .

وكونه فعلاً متصرفاً ، فهو في الحالة الثانية يكتب حاشى ومضارعـه
يحاشى ، وشاهده قول النابغة ؛

ولا أرى قاعلاً في الناس يشبهه * * ولا أحاشى من الاقوام من أحد

وعدم التطابق هذا هو الذي أوجد - في رأيى - شيخين :

الأول : كثرة اللغات في (حاشا) ففي الآية الكريمة " حاشا
لله" ^(١) " يُقْرَأُ بِالْفَيْنِ وَهُوَ الْأَمْلُ ، وَيُقْرَأُ بِغَيْرِ الْوَاوِ وَهُمَا قِرَاءَتَانِ
سَبْعِيَّتَانِ " ^(٢) . وقراءت فرقة (حشى الله) على وزن رمى ، وقـرأ
الحسن (حاشى) بسكون الشين وصلا ووقفا ^(٣) وذكر ابن عقيـل
أن (حاشا) يقال فيها حاش وحشا . ولا يتأتى ذلك لى (عدا)
و (خلا) فلم يرد فيهما إلا هذان اللفظان .

الثاني : الاختلاف في كونها فعلاً بالنظر إلى الأصل
المشتقة منه أو المأخوذة عنه ^(٤) ، أو حرفاً يجـر
ما بعدهما - كما قال سيبويه - بالنظر إلى أن (حاشا)
الاستثنائية كلمة ، وحاشى الفعل المتصرف الذي مضارعـه يحاشى

(١) شرح الأشموني الشاهد رقم ٤٦٧ وفي الديوان ص ٢٨ . تحقيق

عبدالرحمن سلام . ط المصباح بيروت ١٩٢٩ .

(٢) يوسف آية ٥١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٤٥٠/٢ وبهامشه ، اعراب القـرآن

للعكبري ٤١٢/٣ .

(٤) البحر المحيى لابى حيان ج ٥ ص ٣٠١ - ٣٠٣ بتصرف مطبعة السعادة

بمصر سنة ١٣٢٨ .

(٥) الفصل حاشى يحاشى مأخوذ من الحاشية وهى الجانب ، وحاشيتـها

الثوب جانباه اللذان لا هذب فيهما تقول تحاشيت أي اتخذت

جانباً وبعدت ، و(حاشيت من الغوم فلانا) أي جنبته أو جعلته

جانب ، أي استثنيت (اللسان ج ١٦ ص ١٩٦) .

كلمة أخرى لا علاقة لها بالاولى ^(١) . وربما كان هذا سبب التباين في رواية الشواهد التي ذكرناها عند قليل ، فهناك من يرويها بنصب ما بعد حاشا وهناك من يرويها بجر ما بعدها . ولا يتأتى هذا الاختلاف في (خلا) و (عدا) ، أو قل إنه غير مشهور ، فسيبويه مثلا قد ذكر النصب ليس غير في الاسم الذي بعده (عدا) ، أما (خلا) فقد ذكر النصب أيضا ، وذكر أن الجر بهما في بعض اللغات ، وشرح ذلك في سطر واحد أو في جزء من السطر حيث يقول " وبعض العسرب يقول ما أتاني خلا عبد الله ، فجعلوا (خلا) بمنزلة (حاشا) فإذا قلت (ما خلا) فليس فيه إلا النصب " ^(٢) .

(١) هذا هو في رأيي سبب الخلاف ، وهناك كثير من الدلائل التي أوردها نحاة البصرة والكوفة في هذا الموضوع (انظر المسألة

٣٨ ص ١٧٨) .

(٢) الكتاب ١/ ٣٥٩ .

(٣) الكتاب ١/ ٣٧٧ .

العمل العاشر الأخير

العمل متفرقة

الفعال متفرقة

في هذا الفصل نحاول أن نجمع من كتب اللغة والأدب الأفعال غير المتصرفية التي لم يجمعها باب واحد من أبواب النحو ، وهذه هي السمة المميزة لأفعال هذا الفصل ، ومن ثمّ جمعناها معاً ، فهي ليست من النواسخ مثلاً حتى نجدّها مجتمعةً في باب واحد شأن عسى وليس وكاد وكرب ... أو من الاستثناء كخلا وعسدا وحاشيا أو من أفعال الدم والمدح كنعم وبش وحيدا وساء . على أن بعض النحاة قد أتى ببعض هذه الأفعال مجتمعةً عندما تحدث عن تقسيم الفعل إلى متصرف و (جامد) أي غير متصرف ، فالسيوطي مثلاً قبل أن يتحدث عن نعم وبش وحيدا ولا حيدا ، ألمّ ببعض هذه الأفعال غير المتصرفية فقال " الفعل متصرف وهو ما اختلفت أبنيته لاختلاف زمانه ، وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو معدود ، ومنه غير ما مرّ في النواسخ والاستثناء : قلّ للنفس المحض فترفع الفاعل متلوّاً بصفة ومنه تبارك من البركة وهذّك من رجل وسقط في يده ... وكذب في الإغراء ويهيّط أي يصيح ... " (١)

ولقد ذكر السيوطي أيضاً بعض هذه الأفعال في المزهـر نقلاً عن التسهيل لابن مالك ، قال : ابن مالك : " مُنِعَتِ التَّصَرُّفُ أفعالٌ منها المثبتةُ في نواسخ الابتداء وباب الاستثناء والتعجب وما يليه ، ومنها (قلّ) الشافية ، و (تبارك) و (سقط في يده) و (هذّك من رجل) و (عمرتك الله) و (كذب) في الإغراء ، و (ينبغي)

(١) الجمع ج ٢ ص ٨٢ ، ومكان النقط شرح لبعض أحكام هذه الأفعال وستعرض لها بالتفصيل بعد قليل .

(٢) المزهـر ج ٢ ص ٤٥ .

و (يهبط) و (أهبط) و (أهبط) بمعنى أخذ و (أعطى) و (هبط) و (هبط) التيميمية و (هبط) و (هبط) بمعنى أخذ و (يم صاحا) و (تعلم) بمعنى أعلم، وفي زجر الخيل أقدم وأقدم وهب وأرحب وهجد ، وليست أصواتا ولا أسماء أفعال لرفعها الفمائر البارزة ، واستغنى غالبا بترك عن (وَدَرَ) و (وَدَعَ) وبالتَّركِ عن الوَدَرِ والوَدَعِ ، وربما قيل وَدَعَ وَوَدَعَ وَوَدَرَ^(١) .

ونحن في بحثنا هذا نحاولُ درسَ هذه الأفعال مبينين استعمالاتها وشواهدَها وآراءَ النحويين في كلِّ منها . والتتبع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أمرٌ بالغُ المعوِّبة ، " ذلك أن العقل ينسى خطوات التطور المعنوي التي مرَّت بها ، ونقول ينساها إذا افترضنا أنه عَرَفَهَا في يوم من الأيام ، تلكلمات دائماً قيمة حاضرة actuelle ، بمعنى أنها محدودة بال لحظة التي تستعمل فيها ، ومفردة بمعنى أنها خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل خلاله^(٢) " .

ومع ذلك فسنحاول قدرَ جهدنا القاءَ الضوء على التتبع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أو بعضها .

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦ و ٢٤٧ تحقيق

محمد كامل بركات دار الكتاب بمصر سنة ١٩٦٧م .

(٢) اللغة : فندريس ص ٢٢٦ بتصرف .

وذر - ودع

من هذه الأفعال الفعلان وَدَعَ وَذَرَ فالتستعمل منهما الأمرُ دَعَّ وَذَرَ والمضارع يَدَعُ وَيَذَرُ . أما وَدَعَ وَذَرَ الماضيان فللمستعمل ، ونستطيع أن نقول إنَّ هذين الفعلين شبيهٌ متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير ؛ إذ إنَّ القياس لا يَأْبَى مجيء الماضي أيضاً ، كما هو الحالُ في وَزَنَ يَزِنُ زَنًا وَرَنًا . يُوهِد ذلك ما قاله ابنُ درستويه " واستعمالُ ما أهملوا من هذا جائزٌ موافقٌ ، وهو الأصلُ بل هو في القياس الوجهُ ، وهو في الشعر أحسنُ منه في الكلام لقلَّةِ اعتياده ، لأنَّ الشعرَ أيضاً أقلُّ استعمالاً من الكلام " (١) .

ويرى بعضُ اللغويين أنَّ استعمالَ وَذَرَ وَودَعَ ثقيلٌ لا ابتدأتهما بالواو ، وهو حرفٌ مستثقل فاستغنىَ عنهما بما خلا منه وهو تَرَكَ (٢) .

وربما كان في هذا تعليلٌ لاستعمال وزن مع أن أولَّهما واو ؛ إذ لا نجد بديلاً لها كما وجدنا بديلاً للفعلين وذر وودع وهو ترك .

وقد عوّل الشيخُ خالد الأزهري على أن الفعلين وذر وودع بديلاً وهو ترك - عوّل على ذلك في تعليله لعدم تصرفهما . قال ... والثاني يكون بمجرد الاستغناء عن تصرفه بتصرف غيره

(١) المزهر ج٢ ص ٤٦ .

(٢) المزهر ج٢ ص ٤٦ .

وإنَّ كَانَ بَاقِيًا عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدَثِ وَالزَّمَانِ، كَيُذَرِّ وَيَسَحُ
حَيْثُ اسْتُغْنِيَ عَنْ مَافِيهِمَا بِمَا فِي تَرْكِ " (شرح التصريح ٩٢/٢) .

وهذا خطأ لأن الفعلين متصرفان كما بيننا ، إلاَّ أنَّ الاستعمالَ
هو الذي هجر الماصيَّ منهما ، وبقي المضارعُ والأمرُ . وفي ذلك
يقولُ ابنُ جنِّي " فإنَّ كَانَ الشَّيْءُ شَادًّا فِي السَّمَاعِ مَطْرَدًّا فِي الْقِيَاسِ
تَحَامَيْتَ مَا تَحَامَتِ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَجَوَّيْتُ فِي نَظِيرِهِ عَلَى الْوَاجِبِ
فِي أَمْثَالِهِ . مِنْ ذَلِكَ امْتِنَاعُكَ مِنْ وَذَرِ وَوَدَعَ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوهُمَا
وَلَا غَرَوُكَ عَلَيْكَ أَنَّ تَسْتَعْمَلُ نَظِيرَهُمَا نَحْوَ وَزَنَ وَوَعَدَ لَوْ لَمْ تَسْمَعْهُمَا .
فَأَمَّا قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَدِ :

لَكَيْتَ شَعْرِي مِنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي * * * غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ ^(١)

فشاذٌّ ، وكذلك قراءةُ بعضهم (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)
بتخفيف الدالِ فأما قولهم : ودَعَ الشَّيْءُ يَدْعُ - إِذَا سَكَنَ - فَاتَدَعُ
مسموعٌ متبعٌ ، وعليه أنشدَ بَيْتُ الْفَرَزْدَقِ :

وَعَفَى زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ * * * مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَسَحَتْ أَوْ مَجَلَفٌ ^(٢)

فمعنى لَمْ يَدْعُ - بَكَسَرَ الدالَ ، أَي لَمْ يَتَدَعُ وَلَمْ يَتَبَسَّطْ ^(٣)
وَالِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ نَصٌّ عَلَيْهِ سَبْوِيهِ فِي مَوَاضِعَ مِمَّنْ

(١) سنحلقُ هذا البيتَ بعد قليل .

(٢) شرح ديوان الفرزدق . عبد الله إبراهيم الماوي ص ٥٥٦ التجارية
بمصر سنة ١٩٣٦ م .

(٣) الخصائص ج ١ ص ٩٩ .

كتاب فيقول " فقد يستغنون عن الشيء بالشيء ، وقد يستعملون فيه
(١)
جميع ما يكون في بابيه " .

ويقول " هذا باب يستغنى فيه عن (ما أفعله) ب (ما
أفعل فعله) وعن (أفعل منه) بقولهم (هو أفعل منه فعلا) ، كما
(٢)
استغنى بتركت عن ودعت " .

ويقول " كما أن يَدْعُ عَلَى وَدَعْتُ ، وَيَذَرُ عَلَى وَذَرْتُ وَإِنْ
(٣)
لم يستعملا ، اسْتَغْنَى عَنْهُمَا بِتَرَكْتُ " .

على أن بيت أبي الأسود :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي * * * غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَعْتُهُ (٤)

(١) الكتاب ج٢ ص ١٩١ .

(٢) الكتاب ج٢ ص ٢٥١ .

(٣) الكتاب ج٢ ص ٢٣٨ .

(٤) هذا البيت أنشده ابنُ يحيى في خصائصه ج١ ص ٩٩ كما سبق ، ولم
يحققه الأستاذ النجار محققُ الخصائص في هذا الموضع ، غير أنه
عاد وذكر في ص ٢٦٦ من الجزء نفسه أن نسبة هذا البيت لأبي
الأسود خطأ ، وإنما قائله هو أنس بن زعيم الليثي في عبيد
الله بن زياد بن أبيه ، وكذلك عدل في روايته بأن جعله :
سَلَّ أَمِيرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهُ * * * عَنْ وَصَالِي الْيَوْمِ حَتَّى وَدَعْتُهُ
وقد بحث في الكتب التي ترجمت لأبي الأسود على أجْدُ الحقيقة في
هذا البيت ، لأنني سأبني عليه حكما ، فبحث في الأغاني
للأصفهاني ج١ ص ١٢٠ ، دار الثقافة ببيروت ١٩٧٤ ، وأُسدُ الغابة في
معرفة الصحابة لابن الأثير ، نسخة قديمة دون ذكر للناسخ أو
تاريخ النشر ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري :
تحقيق إبراهيم السامرائي ص ١ ، دار المعارف ببغداد ١٩٥٩ ،

له دلالة "كبيرة" من حيث التتبع التاريخي لاستعمال الفعل (ودع) ،
ذلك أننا إذا أضفنا إلى هذا البيت قراءة الآية الكريمة " مَا
وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى " ^(١) بتخفيف الدال وهى قراءة عروة بن الزبير
وابن هشام وابن ابى عبله ^(٢) وأضفنا أيضا ما ورد

ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوي ص ٦ نهضة مصر ١٩٥٥ ، فلم
أجد ذكراً لهذا البيت فى كل هذه المراجع التى ترجمت لحياة
أبى الاسود . ثم بحثت فى بُغية الوعاة فى طبقات اللغويين
والنحاة للسيوطي ص ٢٣ تحقيق محمد إبراهيم طبعة عيسى
الحلبي ١٩٦٤ ، فلم أجد هذا البيت فيه ، إلا أننى وجدت
بيتين آخرين من نفس البحر (الرمل) والقافية :

لَا يَكُنْ بَرْقًا بَرْقًا خَلَبًا * * * * * إِنَّ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
لَا تَهْنَى بَعْدَ إِكْرَامِكَ لى * * * * * فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَرَعَمَةٌ
وقد ورد هذا البيت فى اللسان إلا أن فيه رواية أخرى ونائلاً
آخر فبَرَّ أَبَى الْاسود . يقول صاحب اللسان " وهذا البيت ، روى
الازهري عن ابن اخى الأصمعى أن عمه أنشده لأنس بن زبيد
الليثي :

لَيْتَ شَعْرِي عَنْ أَمِيرِي مَا الَّذِي * * * * * غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَعَمَهُ
لَا يَكُنْ بَرْقًا بَرْقًا خَلَبًا * * * * * أَنْ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
وإذا عرفنا أن أنساً هذا قد قال البيت فى عبيد الله بن زياد
بن أبيه الملقب بابن مرجانة ، وعرفنا أيضا أن عبيد الله
تولى سنة ٦٧ هـ ، وأن أبا الاسود تولى سنة ٦٩ هـ - إذا عرفنا
كل ذلك فلا يهمننا من قائل البيت بقدر ما يهمننا الفترة التى
قيل فيها وهى الستينات من القرن الاول .

(١) الآية الثالثة من سورة الضحى .

(٢) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٣ .

في اللسان وفي حديث ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 " لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدَعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيُخْتَمَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ " أي
 من تركهم إياها ^(١) " استنتجنا أن هذا الفعل (ودع) بصيغته الماضية
 وكذلك المصدر (ودعاً) لم يكونا مهجورين في فترة نزول القرآن الكريم
 وعلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمر استعمالهما حتى
 السنين الأولى من النصف الثاني من القرن الأول ، وبعد ذلك هُجِرَ
 استعمالهما ولم يبق مستعملاً إلا المضارع والأمر .

(١) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٣ .

- ١٥٦ -

كَذَّبَ عَلَيْكَ

أما الفعلُ (كَذَّبَ) فَمِنْهُ عَنِ الْقَوْلِ أَنَّهُ مَتَصَرَفٌ : كَذَّبَ يَكْذِبُ
كَذَبًا وَكَذَابًا وَكَذَابًا فَهُوَ كَاذِبٌ وَكَذَابٌ وَكَذُوبٌ^(١) .

وأما (عليك) فهو جار ومجرور ، هذه - هي النظرة الأولى لهذا
الأسلوب ولكنهم يعدونه من أساليب الإغراء ، وقد جاء على هذا
النمط أو هذه الصورة دون تغيير ، وتكون الكلمة (كذب) في هذه
الحالة فعلاً غير متصرف ، لزم صورة واحدة وهي الماضي ، و (عليك)
يشبهونها بتلك التي تستعمل في الإغراء ، كما في قوله تعالى :
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ " ^(٢) فعليك هنا اسمٌ فاعِلٌ
منقولٌ عن الجار والمجرور بمعنى الزم أو احفظ .

وربما استعمل الفعلُ (كذب) غير متعدي بالحرف ، بل يجيء بعده
المفعول به مباشرة فيقال : (كذبك) وذلك كقول عمر بن الخطاب حين
جاءه رجل يشكو النقرس " كَذَّبَتْكَ الظَّهَائِرُ " أي بالمشي فيها ،
والظواهر جمع ظهيرة وهي شدة الحر ^(٣) .

أما شواهد (كَذَّبَ عَلَيْكَ) فقول عمر أيضاً حين شكاه إليه عمرُ
ابن معد يكره المعص (التواء عصب القدم) فقال له : كَذَّبَ عَلَيْكَ
العَصْلُ . يريد العسلان وهي مشى الذئب ، أي عليك بسرعة المشي ، وقوله
أيضاً : " كَذَّبَ عَلَيْكَ الْعَمْرَةُ " كذب عليكم الحج ، ثلاثة أسفار

(١) اللسان مادة ك ذ ب .

(٢) المائدة آية ١٠٥ .

(٣) اللسان مادة ك ذ ب ج ٢ ص ٢٠٤ .

كذب عليكم قال ابن السكيت : بمعنى عليكم به ، كلمة نادرة جاءت على غير القياس . وقال " الأخطش الحج مرفوع به ومعناه نصب ، لأنه يريد الأمر به كقولهم أمكنك الصيد ، يريد أمره " (١) ، أي أن المفرد به كان حقَّه النصّب ، ولكنه جاء بالرفع شاذاً على غير قياس . يقول الأمامي في ذلك " معنى (كذب عليكم) معنى الأئراء أي : عليكم به ، وكان الأمل في هذا أن يكون نصبا ، ولكنّه جاء عنهم بالرفع شاذاً على غير قياس . (٢)

ونستطيع القول بأن هذا الأسلوب قد هجر الآن ، ولم يُعتمد مستعملاً التّبة ، وجميع شواهد - كما سيتضح بعد قليل - لم يتعدّ زمنها زمن الرسول عليه الملة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده ، يدلّ على ذلك أن سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ قد أورد في كتابه كلمة (كَذَبَ) - من حيث تعلقها بأحكام نحوية أو لغوية - مرتين : الأولى ، عندما أنشد بيت الأخطل :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطَ  غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيْالًا (٣)

(١) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجتري المعروف بابن الأثير ج٤ ص ١٣ المطبعة الخيرية بمصر دون تاريخ .

(٢) الجمع ج٢ ص ٨٣ .

(٣) اللسان مادة كذب ج٢ ص ٢٠٥ .

(٤) عرفت ذلك من فهرس كتاب سيبويه الذي صنعه عبدالسلام هارون ج٥ ص ١٦٩ . الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

(٥) الكتاب ج١ ص ٤٨٤ .

ولقد استشهد بهذا البيت على إتيان الشاعر بأم منقطعة بعد
(١)
الخبير .

والثانية : عندما أنشد بيت خز بن لودان أو عنتره :

(٢)
كَذَّبَ الْعَتِيقُ وَمَا شَنَّ بَارِدٌ * * * إِنْ كُنْتَ سَأَلْتَنِي عُيُوقًا فَاذْهَبْ

ولم يعلق سيبويه على البيت إلا بقوله يريد (فأذهبي) ، وكان ذلك في (باب وجوه القوافي في الإنشاد) ، ولم يذكر سيبويه أن (كذب) في أول البيت قد أتت بمعنى الإغراء ، وربما يكون سبب ذلك ندرة هذا الأسلوب على عهد سيبويه ، بل انعدامه . صحيح أن سيبويه قد أورد البيت في مقام غير مقام استعمال (كذب) للإغراء ، ولكننا لا ننسى أن سيبويه من طبعه الاستطراد ، والدخول في موضوع جديد طارئ ، ثم الرجوع إلى الموضوع الذي كان يبحثه

على أن الشنتمري ذكر ذلك حيث قال :

" ومعنى (كذب العتيق) عليك به ، وهي كلمة نادرة تغرى بها العرب لترفع ما بعدها وتنصب " (٣) .

ومهما يكن من أمر فإن هذا التعبير نادر الاستعمال في عصره ، مهجور الآن تمام الهجر ، إلا أن السؤال الذي يطرح للباحث : ما علاقة الفعل (كذب) سواء أكان متصرفاً أم غير متصرف بالاعتراف أو بالوجوب ، فنقول : كذب عليكم الحج ، بمعنى وجب ؟

(١) الكتاب ج١ أسفل هامش ٤٨٤ (الشنتمري) .

(٢) الكتاب ج٢ ص ٢٠٢ .

(٣) الكتاب ج٢ أسفل ص ٣٠٢ .

ظلتُ أنكرُ في هذا السؤالِ على أحظى بإجابةٍ مقنعةٍ، وقد رأيتُ أن العلاقةَ بين الكذب والإغراء علاقةً "غريبةً"، والأسلوب نفسه نادر غير مألوف، وقد قال ابن فارس كلاماً قيماً في هذا الصدد:

" ذهب علمائنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقلُّ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعرٌ كثيرٌ وكلامٌ كثيرٌ وأحرى بهذا القول أن يكون صحيحاً، لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب، فلا يكاد واحدٌ منهم يُخبر عن حقيقته ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان، ألا ترى أننا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء: كَذَبَكَ كذا، ومما جاء في الحديث من قوله: كَذَبَ عَلَيْكَ الْحَجُّ، كذب العسل، ومن قول القائل:

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْعِدُونِي وَعَلَّلُوا * يَتَى الْأَرْضَ وَالْأَتِوَامَ قِرْدَانٍ مُوْطَبِ

ومن قول الآخر:

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَسَارِدِ * إِنَّ كُنْتَ سَائِلَتِي غَبُوقًا لَأَذْهَبِي

ونحن نعلم أن قول (كَذَبَ) يبعد ظاهره عن باب الإغراء، وكذلك قولهم ٤٠٠٠ ثم يذكر بعد ذلك أمثلة أخرى في يعلقية اللغة وغريبها، لا يهمننا منها إلا أسلوب (كذب عليك)، ثم يعلق

(١) المزهر ج١ ص ٦٦ و ٦٧، والمصاحبي في لغة وسنن العرب لأحمد بن فارس ص ٦٧ و ٦٨ تحقيق مصطفى الشويهي - بيروت ١٩٦٤ - والبيت الأول - في اللسان - لخداش بن زهير - والبيت الثاني هو الذي أنشده سيبويه ج٢ ص ٣٠٢.

على كل ذلك قائلا " وقد كَانَ لِذَلِكَ كَلَّةٌ نَاسٌ يَعْرِفُونَهُ ، وَكَذَلِكَ يَعْلَمُونَ مَعْنَى مَا نَمْتَغِرُهُ الْيَوْمَ ... " (١) .

فهذا الأسلوب إذا كان له تفسيره عند قائله في الماضي بالرقم
من استغرابنا إياه اليوم . ونحن هنا نجتهده ، فنقدم مفسر
استحياء تفسيراً له . لقد اشتهر القول بين العامة في عصرنا الحاضر
" عليك الحرام تفعل كذا ... " يقول العامي ذلك مخاطباً غيره أو
قل مفرطاً غيره ، وربما قال مغريباً نفسه أو مقيماً " على الحرام
أفعل كذا ... " ليس هذا مشابهاً للأسلوب (كذب عليك) ؟ بل هو
مشابه . فالأسلوب العامي يعني أن الحرام يحلُّ بي إن لم أفعل كذا ،
والأسلوب الثاني يعني أن الكذب يكون على - أي أنى أكون كاذباً - إن
لم أفعل كذا ، والعلاقة بين الكذب والحرام علاقة وثيقة .

(١) المزهر ج١ ص ٧٠ و ٧١ والصاحبي ص ٧١ و ٧٢ .

تَبَارَكَ

يَرْجِعُ هذا الفعلُ إلى المادة ب ر ك ، ومن هذه المادة : الْبَرَكَهُ
أي النماءُ والزيادةُ ، والتَّيْبَرِيكُ أي الدعاءُ لِلإنسان ، فيقال بَرَكُستُ
عليك تَبَرِيكا ، أي قلت : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ . وفي التَّشْهَد " السَّلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " البركات أي السعادة ^(١) .

وَتَبَارَكَ على وزن تفاعل مثل تقاتل ، وكان القياسُ أنْ يَكُونَ
متصرفاً مثله ، ولكنه جاء "غيرَ متصرفٍ" فلا يأتي منه مضارعٌ
ولا أمرٌ ولا اسمٌ فاعِلٌ، وهو بمعنى تعظم وتمجّد وارتفع ^(٢) . وقد
ذكر السيوطي هذا الفعلَ مع الأفعال التي لا تتصرف . وكذلك ذكره
ابن مالك ^(٣) . وقد استعمل القرآن الكريم كثيراً من اشتقاقات هذه
المادة كقوله تعالى : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا " ^(٤) .
و " فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا " ^(٥) . و " اهْبِطْ
بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ " ^(٦) . و " وَهَذَا يُكْشَرُ
مَبَارَكُ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ " ^(٧)

(١) اللسان مادة ب ر ك ج ١٢ ص ٢٧٥ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) همع الهوامع ج ٢ ص ٨٣ .

(٤) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦ ، تحقيق محمد

بركات دار الكاتب العربي بمصر ١٩٦٧ م .

(٥) فعلت : ١٠ .

(٦) النمل : ٨ .

(٧) هود : ٤٨ .

(٨) الأنبياء : ٥٠ .

- ١٦٢ -

ولكنه لم يستعمل الفعل تَبَارَكَ إِلَّا مُسْتَدًا إِلَى اللَّهِ سبحانه
وتعالى في كل المواضع التي ذُكِرَ فيها وهي :

- ١ - تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(١) .
- ٢ - فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .
- ٣ - تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ^(٢) .
- ٤ - تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ^(٣) .
- ٥ - تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ^(٤) .
- ٦ - فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(٥) .
- ٧ - وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ^(٦) .
- ٨ - تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ^(٧) .
- ٩ - تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(٨) .

-
- (١) الأعراف : ٥٤ .
 - (٢) المؤمنون : ١٤ .
 - (٣) الفرقان : ١ .
 - (٤) الفرقان : ١٠ .
 - (٥) الفرقان : ٦١ .
 - (٦) غافر : ٦٤ .
 - (٧) الزخرف : ٨٥ .
 - (٨) الملك : ١ .

فهذا الفعلُ غيرُ المتصرفِ مقصورٌ استعمالُهُ على إسنادِهِ لله سبحانه وتعالى. وربما كان هذا هو سببُ عدمِ تصرُّفِهِ؛ لِإشعارِ بـأنَّ التمجيدَ والعظمةَ والرفعةَ لله سبحانه دونَ غيره ، ولِإشعارِ أيضًا بأنَّ هذا الفعلَ - وإن كان قد توقَّفَ عندَ صيغةِ الماضي - يدلُّ على الحالِ والاستقبالِ أيضًا ، مَثَلُهُ في ذلكَ مَثَلُ الفعلِ (كان) في مواضعٍ كثيرةٍ من القرآن الكريم كقوله تعالى : " وكان الله غفوراً رحيماً " ^(١) ، و " كان الله عليماً حكيماً " ^(٢) و " كان الله سميعاً بصيراً " ^(٣) .

-
- (١) النساء : ١٠ .
 - (٢) النساء : ١١١ .
 - (٣) النساء : ١٣٤ .

لـ

غُثِّيَّ عن القول أَنَّ الفعلَ (قَلَّ) فعلٌ متصرفٌ ، وقد كَتَبَ فيهِه
صاحبُ اللسان ما يزيد على ست صفحاتٍ مبيناً اشتقاقات هــ
المادة (قَلَّ) واستعمالاتها . فمن ذلك قوله تعالى : " والنساء
نصيبٌ مما تَرَكَ الوالدان والأقربون ممَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ " ^(١) و " مَتَّاعٌ
قليلٌ ثم ما واهم جهنَّم وبشَّرَ المهاد " ^(٢) و " إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقْسَلُ
منك مالاً وولداً " ^(٣) و " إِنْ هَؤُلَاءِ لَيُشْرِدِمَةٌ قَلِيلُونَ " ^(٤) .

غير أَنَّ بعضَ النحويين قد جعلوا الفعلَ (قَلَّ) غيرَ متصرفٍ ،
وذلك في استعمال خاص به لا يتعداه ، وذلك إذا كان بمعنى (ما)
التي هي للنفي المحض ، كقولهم " قَلَّ رجلٌ يفعل ذلك " ويساوي
في المعنى " ما رجلٌ يفعل ذلك " و (ما) هنا حرف ، ومادام الفعل
(قَلَّ) قد استعمل موضعها فهو غيرُ متصرفٍ لشبهه بالحرف .

يقول السيوطي في ذلك " ومنه - أي من الجامد - قَلَّ للنفي
المحض فترفعُ الفاعلَ متلوا بمفعلي مطابقةً له نحو (قَلَّ رجلٌ)
يقول ذلك) و (قَلَّ رجلانٌ يقولان ذلك بمعنى (ما رجل ...) ^(٥) .

وقد كرر هذا القول في المزهَر نقلاً عن ابن مالك فـ
التسهيل حيث قال " مُنعت التمرُّق أفعالٌ : منها المثبتةُ فـ

-
- (١) النساء / ٧ .
 - (٢) آل عمران / ١٩٧ .
 - (٣) الكهف / ٣٩ .
 - (٤) الشعراء / ٥٤ .
 - (٥) الهمع / ٨٣/٢ .
 - (٦) المزهَر / ٤٥/٢ .
 - (٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقامد ص ٢٤٦ .

نواسخ الابتداء، وباب الاستثناء، والتعجب وما يليه ، ومنها قُلَّ
النافية " .

ولم يذكر ابن مالك تفصيلاً لاستعمال هذا الفعل في هــذا
الموضع ، إلا أنه مَقَدَّ فصلاً قبله مباشرةً بيّن فيه الصلة بين (قُلَّ)
(وما) النافية ، قال فيه " قد يقوم مقام (ما يفعل أحد) (أَقَلَّ)
ملازمًا للابتداء ، والاضافة إلى نكرة موصوفة بصفة مُغْنِيَةٍ عن الخبر
لأنَّ كونها فعلاً أو ظرفاً ، وقد تُجعل خبراً ، ولا بدَّ من مطابقة فاعلها
للنكرة المضاف إليها ، ويساوي (أَقَلَّ) المذكور (قُلَّ) رافعاً مجزئاً
(أَقَلَّ) .

ولسنا مع ابن مالك أو السيوطي في ذلك لما يأتي :

- ١ - أنا - فيما اطلعنا عليه من المراجع النحوية - لم نجد
هذا الفعل إلا في المرجعين اللذين ذكرناهما ليس فير .
- ٢ - أَنَّ (قُلَّ) رجلٌ يفعل ذلك مثال لا يُعتدُّ به ، ولم نجد شاهداً
على نمط هذا المثال يؤيد قولهما .
- ٣ - أَنَّ القول بأن (قُلَّ) تساوي (ما) ، ومن ثمَّ فإنَّ (قُلَّ) فيـر
متصرفٍ لشبهه بالحرف - هذا القول يحتاج إلى دليل ، وهو بعيد
عن واقع اللفظ لعلاقة المساواة هذه نجدها في المسائل
الرياضية ، وقرئ كثير في اللفظ بين استعمال الفعل واستعمال
الحرف .

وإذا دَخَلَتْ على (قُلَّ) (ما) الكافة ، أصبحت (قلما) ، وحينئذ
يجيء بعدها جملة فعلية ، بعكس (قُلَّ) مفردة . فإنها تتطلب بعدها
فاعلاً . وقد ذكر سيبويه أنه من قبح الكلام أن تجيء (قلما) وبعدها
اسمٌ يقول " ويحتملون قبح الكلام حتى يفعوه في غير موضعه ؛ لأنَّه

مستقيم ليس فيه تناقض ، فمن ذلك قولُ عمرَ بن أبي ربيعة :
 صَدَدَتْ فَاطَوَّلَتِ الْمُدُودَ وَقَلَّمَا * * * * * وصلَّ على طول المدود يبدومُ
 ولكنَّ الكلام : قلما يبدوم وصل (١) .

ذكر سيبويه ذلك ، ولكنه لم يذكر على هذا المقام أنَّ قَلَّ
 فعلٌ غيرُ متصرفٍ أو أنها تساوي (ما) ولم يذكر أيضا المثالَ (قَلَّ
 رجلٌ يفعل ذلك) ، مع أن من منهج سيبويه أنه قد يستطرد فيذكر
 موضوعا أو حكما متعلقا بالموضوع الذي يتكلم عنه ثم يرجع إلى
 هذا الموضوع مرة ثانية .

وذكر سيبويه (قلما) مرة أخرى في كتابه عند عرضه " للحروف
 التي لا يَلِيها بعدها إلاَّ الفعلُ ، ولا تغير الفعل من حاله التي كان
 عليها قبل أن يكون شيء منها " (٢) وذكر من هذه الحروف قَلَّ
 وسوف والسين وربما وقلما ، أي أنه عد (قلما) كلها حرفا (٣)
 يقول " ومن تلك الحروف ربما وقلما وأشباههما ، جعلوا رَبَّ مع
 ما بمنزلة كلمة واحدة وهيها ليذكر بعدها الفعلُ ، لأنَّه
 لم يكن لهم سبيل إلى (رَبَّ يقول) ولا إلى (قَلَّ يقول) " (٤) .

والمهم في ذلك كله أن سيبويه لم يستطرد فيذكرُ أشناء ذلك
 أن (قَلَّ) في استعمال بعينه فعلٌ غيرُ متصرفٍ أو أنه يساوي (ما)
 في المثال (قَلَّ رجلٌ يفعل ذلك) .

(١) الكتاب ج١ ص ١٢ .

(٢) الكتاب ج١ ص ٤٥٨ .

(٣) يرى النحاة أنَّ قَلَّمَا مكونة من الفعل الماضي (قَلَّ) وما الكافة
 عن عمل الرفع (انظر المغنى ص ٤٠٣) .

(٤) الكتاب ج١ ص ٤٥٩ .

" سَقَطَ فِي يَدِهِ "

رأى النحاة أَنَّ الفعل " قَلَّ " متصرفٌ إلَّا في استعمالٍ خاصٍ لا يتعداه يكون فيه غير متصرف ، وهو ما كان على مثال " قلَّ رجل يفعل ذلك " بمعنى " ما رجل يفعل ذلك " ، وقد اختلفنا مع النحاة في ذلك لعدم وجود شواهد تؤيد رأيهم ، وتدلل على أن (قلَّ) تستعمل للنفي المحض مكان (ما) .

أما بالنسبة للفعل (سَقَطَ) ، فالأمر يختلف كل الاختلاف ، إذ نجده غير متصرف في استعمال بعينه دالاً على الندم والحسرة ، ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى " ولما سَقَطَ في أيديهم ورأوا أَنَّهُمْ قَدْ قَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (١) .

فاستعمال هذا الفعل دالاً على الندم والحسرة مقصورٌ على صيغة الماضي الذي لم يُسم فاعله دون إسناد آية ضمائر له فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون

أما بَقِيَّةُ استعمالاته فيكون فيها متصرفاً ومن ذلك قوله تعالى " وهزِّي إليك بجدع النخلة تُسَاقِطُ عليك رَطَباً جَنِيًّا " (٢) و " أَوْ تُسَقِطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَيْفًا " (٣) و " إِنْ يَرَوْا كَيْفًا مِنْ

(١) الأعراف - ١٤٩ .

(٢) مريم - ٢٥ .

(٣) الاسراء - ٩٢ .

(٤) الشعراء - ١٨٧ .

السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ" (١).

ومن النحاة من يُجيزُ (أُسْقِطَ في يده) ، إلا أن الجمهور لا يُعتدُّ بها ويرى أن (سُقِطَ) التي استعملها القرآن هي الأجود والأحسن (٢).

وقد ذكر هذا الفعل السيوطي وابن مالك ضمن الأفعـال غير المتصرفة وأثبتا له هذا التركيب دون غيره (٣).

وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن (٤) ، ويبرهن أبو القاسم الزجاجي على ذلك قائلا "سُقِطَ في أيديهم نظم" لم يسمع قبل القرآن - لا عرفته العرب ، ولم يوجد ذلك في أشعارهم ، والذي يدل على ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم خفي عليهم وجه الاستعمال ، لأن عادتهم لم تجر به ، فقال أبو نواس :

(١) الطور - ٤٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص ١٩٥ . ومعاني القرآن للقرطبي ج١ ص ٣٩٢ . تحقيق الأستاذين محمد نجاتي ومحمد النجار الهيئـة المصرية العامة للكتاب ٩٨٠ .

(٣) المزهر ٤٥/٢ والهمع ٨٣/٢ والتسهيل ٢٤٦ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص ١٩٢ ، ومجمع الأمثال لأبـي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بابن الاثير ج١ ص ٣٤٤ . الناشر : عبدالرحمن محمد . ميدان الأزهر بمصر ١٣٥٢هـ .

وَنَشَوَّةٌ سَقَطَتْ مِنْهَا فِي يَدِي ^(١) .

وأبو نواس هو العالم النحير ، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ ، لأن (فَعَلْتُ) لا يُبْنَى إِلَّا مِنْ فِعْلٍ يَتَعَدَّى ، لا يُقَالُ رَغِبْتُ ولا يُقَالُ غَضِبْتُ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ رَغِبْتُ لِي ، وَغَضِبْتُ عَلَيَّ ^(٢) .

وقد اهتم كثير من النحاة واللفويين والمفسرين بتأصيل هذا التركيب ، وجميعهم أرجعوه إلى صورة مشخصة مملوءة . قال سليمان الجمل " ... وأصله سقطت أفواههم على أيديهم ، ف (نسي) بمعنى (على) وذلك من شدة الندم ، فإنَّ العادة أنَّ الإنسان إذا ندم على شيء غَضَّ بجمعه على أصابعه فسقطت الأفواه على الأيدي لازم للندم ، فأطلق اسمُ اللازم وأُرِيدَ الملزوم على سبيل الكناية " ^(٣) .

وقال أبو جعفر الطبري " وأصله الاستسار ، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرقه ، فَيَرْمِي به بين يديهم لِيَأْسِرَهُ ، فيكتفه فالْمَرْمِيُّ به مسقوطٌ في يدي الساقط به ، فليقل لكل عاجز عن شيء وصارع لعجزه فنندم على ما فاتته " ^(٤) .

وتد مقب المحققان على ذلك بقولهما " والذي قاله أبو جعفر تفصيل جيد وبيان عن أصل الحرف قلما يوجد في كتب اللغة " ^(٥) .

(١) أجهدت نفسي في البحث عن البيت بتمامه في ديوان أبي نواس ، فلم أجده ، وربما كنتُ غير موفق في ذلك ، فحسرتُ الروي يحتمل أن يكون الدالَّ وغيره ، ومع ذلك فقد بحثت في كل القصائد التي من بحر الرجز ، ثم من الكامل على سبيل الاحتياط ، ولا أدري كيف أتى به صاحبُ مجمع الأمثال .

(٢) مجمع الأمثال ج١ ص ٣٤٤ .

(٣) حاشية الجمل ج٢ ص ١٩٢ .

(٤) تفسير الطبري ج٣ ص ١١٨ و ١١٩ تحقيق محمود أحمد شاكر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ .

(٥) تفسير الطبري ج ١٧ ص ١١٩ .

وقال الزمخشري " لأنَّ من شأن من اشتدَّ ندمُهُ —
وحسرتُهُ أن يَغْفِي يدهَ غمًّا فتصيرُ يدهُ مسقوطةً فيها " (١) .

ونلاحظ أن القرآن الكريم قد استعمل هذه الجارحة — اليَسَدَ —
— في صورتين أخريين ليعبرَ بهما عن الندم والحسرة . ويقول
سبحانه وتعالى : " وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا " (٢) . ويقول سبحانه : " وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ
فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَّهُ عَلَى مَا انْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ " (٣) .

-
- (١) الكشف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
لجاء الله الزمخشري ج ٢ ص ١١٨ . بيروت دون تاريخ .
- (٢) الفرقان آية ٢٧ .
- (٣) الكهف آية ٤٢ .

ضم صباها

(١) ذكر السيوطي هذا الفعل مع ظرف الزمان في همع الهوامع
على أنه من الأفعال غير المتمرفة ، وكذلك ذكره في المزهـ^(٢)
نقلا عن ابن مالك في التسهيل^(٣) .

وهذه الجملة تحية عند العرب ، يقال عَمَّ صَبَاحاً ، وَعِمَّ مَسَاءً
وَعِمَّ ظِلَاماً^(٤) ، ولكن (عَمَّ صَبَاحاً) هي التي كَثُرَ ورودها في الشعر:

قال زهير بن أبي سليم :

قَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِمَا * * * آلا انْعَم صَبَاحاً أَبْهَا الرِّيحِ وَاسْلِمِ^(٥)

وقال عنثرة :

يَا دَارَ مَبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمْسِي * * * وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ مَبْلَةٍ وَاسْلِمِي^(٦)

وأنشد بيونس بن حبيب شطراً من الطويل وهو :

عَمَّا طَلَّقَ جُمْلَ مَلَى النَّأْيِ وَاسْلَمَ^(٧)

(١) الجمع ٨٢/٢ .

(٢) المزهري ٤٥/٢ .

(٣) التسهيل ٢٤٧ .

(٤) خزائن الأدب للبغدادي ج١ ص ٦٠ تحقيق عبدالسلام هارون . الهبشة
المصرية للكتاب ١٩٧٩ .

(٥) شرح القصائد السبع الطول لابن الأنباري ص ٢٤٣ تحقيق هارون .
دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .

(٦) الساق ص ٢٤٦ .

(٧) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٩٦ .

(٨) اللسان مادة وع م ج١٦ ص ١٢٨ .

أَمَّا عِمٌّ ظَلَمًا وَعَمُّ مَسَاءً فَقَدْ قُلَّ وَرَوْدُهُمَا . قَالَ شَمِيرُ بْنُ
الْحَارِثِ الصَّبِيِّ :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوُنُ قَالُوا * * * سُرَاةُ الْجَنِّ قُلْتُ عِمُّوا ظَلَمًا^(١)

ويبدو أَنَّ السَّيُوطِيَّ وَابْنَ مَالِكٍ كِلَيْهِمَا قَدْ تَابَعَا الْفَرَّاءَ فِي عَدِّ
هَذَا الْفِعْلِ لَعَلَّ أَمْرَ ، لَا يَأْتِي مِنْهُ مَفَارِعٌ وَلَا مَاضٍ . يَقُولُ الْفَرَّاءُ
" قَدْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْأَفْعَالِ الْمُسْتَقْبَلَةِ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْمَاضِي مِنْهَا ، فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُمْ (عِمٌّ صَبَاحًا) وَلَا يَقُولُونَ (وَعَمٌّ) ، وَيَقُولُونَ (دَرَّ دَا)
(وَدَقَّ) وَلَا يَقُولُونَ (وَدَرَّتْ) وَلَا (وَدَعَّتْ) " ^(٢) . وَيَقُولُ الْأَصْمَعِيُّ
كَذَلِكَ : " هَكَذَا تَنْشُدُهُ عَامَّةُ الْعَرَبِ وَتَقْدِيرُ الْفِعْلِ الْمَاضِي مِنْهُ وَعَمٌّ ،
يَعِمُّ وَلَا يَنْطِقُ بِهِ " ^(٣) .

وِيرَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ رَأْيًا آخَرَ فِي (وَعَمٍّ صَبَاحًا) الَّتِي
جَاءَتْ فِي بَيْتٍ مُنْتَرَةِ ، يَقُولُ " عِمٌّ مِنْ قَوْلِهِمْ : عَمَّتِ السَّمَاءُ
تَعِمِّي ^(٤) وَيَقُولُ أَيْضًا : " هُوَ كَمَا يَعِمِّي الْمَطَرُ وَيَعِمِّي الْبَحْرُ
بَزِيدِهِ ، وَأَرَادَ كَثْرَةَ الدَّعَاءِ لَهَا بِالِاسْتِسْقَاءِ " ^(٥) وَقَدْ خَطَّأَ
ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ أَبُو عَمْرٍو فَقَالَ : " وَهَذَا عِنْدُنَا خَطَأٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ
كَذَلِكَ لَكَانَ (اعَمَّى) عَلَى مِثَالِ (وَاقَضَى) ، لِأَنَّ عَمَّتْ تَعِمِّي عَلَى مِثَالِ
قَضَتْ تَقْضِي ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَمْرُ الْمُؤَنَّثِ مِنْهُ (اعَمَّى) عَلَى مِثَالِ

(١) النُّوَادِرُ فِي الْلُغَةِ لِأَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ص ١٢٣ . دَارُ الْكِتَابِ
الْعَرَبِيِّ بَيْرُوتَ سَنَةِ ١٩٦٧ م .

(٢) شَرْحُ الْقِصَاصِ السَّبْعِ الطُّوْلِ لِأَبْنِ الْأَنْبَارِيِّ ص ٢٤٤ .

(٣) السَّابِقُ ص ٢٤٤ .

(٤) السَّابِقُ ص ٢٩٧ .

(٥) اللِّسَانُ ج ١ ص ١٢٨ وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ج ١ ص ٦٤ .

(اقصّ) . وكان أصحابنا ينكرون قول أبي عمرو ، ويحتجون بهذا الذي وضعناه ^(١) .

وكذلك خطأ الأزهري وردَّ عليه بمثل ما ردَّ ابنُ الأنباري ^(٢)
ومِن النحاة مَنْ لا يَعدُّ (وَعَمْ ، يَعمُ ، عَمْ) أصلاً مستقلاً بنفسه
بل إنَّ (يعم) عندهم محذوف من ينعم ، ولذلك أجازوا عَمَ صباحاً
بفتح العين وكسرهما ، كما يقال انعم وانعم ، وزعموا أنَّ بعضَ
العرب أنشد : ألا عَمَ صباحاً أيُّها الظل البالي .
^(٣)
بفتح العين .

ويقول الأزهريُّ معللاً لذلك : " كأنه لما كثر هذا الحرفُ في
كلامهم ، حذفوا بعضَ حروفه لمعرفة المخاطب به ، وهذا كقولهم
(لاهم) وتمام الكلام (اللهم) وكقولك (لِيَهْـنَكَ) والأصل (الله انك) ^(٤) " .

والرأي عندي أنَّ هذا الفعل (يَعَمْ) إنما هو الأمر من الماضِ
وعم ، والمضارع يَعمُ ، قد التبس الأمرُ على أبي عمرو بن العلاء
عندما ظنه من عَمَى يَعمى ، مثل قَصَى يَقْصِي على ما بينه ابنُ الأنباري

(١) شرح القوائد السبع الطوال ص ٢٩٧ .

(٢) اللسان ج٦ ص ١٢٨ .

(٣) الخزانة ج١ ص ٦٠ بتصرف .

(٤) اللسان ج٦ ص ١٢٨ . ويُلاحظ أنَّ بعضَ النحاة يَرَوْنَ في (لهنك)
إبدالاً وليس اختصاراً ، فالاصل لِأَنَّـك ثم أبدلت الهمزة هاء ،
وهذا متحققٌ عندهم في قول الشاعر :

لَهْـنَكَ مِنْ عَبَسِيَّةٍ لَوَسِيْمَةٍ * * * على هَنَوَاتٍ كاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا
أي لأنَّك . وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٢٩ ، وشرح
القوائد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

والأزهري ، كما أننا لا نميلُ إلى رأى من يرى أنَّ (يَعْمُ) اختصارٌ
لِـيَعْمُ . وقد التبس الأمرُ أيضا على الفراء والأصمعي ، ثم على
ابن مالك والسيوطي من بعدها عندما رأوا أنَّ الأمرَ هو المستعملُ
كما بيَّنا ، أما المضارعُ فَلَعَمْرَى كيف غاب عنهم قولُ امرئ
القيس :

أَلَا يَمُّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظِّلُّ الْبَالِي * * * وهل يَعْمَنُ من كان في العَصْرِ الْخَالِي
وهل يَعْمَنُ إِلَّا سَعِيدٌ مَخْلُودٌ * * * قليلُ الهموم ما يَبِيتُ بأَوْحَالِ
وهل يعمن من كان أحدثُ عهدِهِ * * * ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال^(١)

لقد استعمل المضارع (يعم) ثلاث مراتٍ ، لا مرةً واحدةً
ولم يجمعها جاء مقترنا بنون التوكيد الخفيفة لوقوعه بعد طلب
وهو الاستفهام ، كما أن شرح الأستاذين السقا والسندوبي على هذه
الآبيات يدل على أن الفعل (يعمن) مضارعٌ .

أما الماضي فلم نعثر على شواهد لاستعماله ، ولكننا لانستبعد
استعماله حيث إنَّ الأمرَ والمضارعَ مستعملان ، كما أنَّ الأزهري
ذكر عن يونس بن حبيب أنه قال : " وَعَمْتُ الدَّارَ ، أَعْمُ وَعَمًّا ؛
أَي قَلْتُ لَهَا أَنْعَمِي " ^(٢) .

(١) شرح ديوان امرئ القيس . الأستاذ حسن السندوبي ص ١٥٨ التجارية
الكبرى بمصر ١٩٥٣ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ جمع الأستاذ
مصطفى السقا الحلبي بمصر ١٩٤٨ .

(٢) اللسان مادة وعم ج٦ ص ١٢٨ .

يُنْبَغِي

ما كان لهذا الفعل أَنْ يَأْخُذَ مَكَانَهُ فِي بَحْثِي هَذَا ، فهو فعل متصرف ، لولا ما ذكره السيوطي في الهمع ^(١) وكذلك في المزهـر ^(٢) نقلا عن ابن مالك في التسهيل ^(٣) . وفي كل هذه المواضع نَصَّ على أنه فعلٌ غيرُ متصرف لا يأتي منه ، إِلَّا المضارعُ ليس غير ، وقيل سُمِعَ الماضي .

أما عن استعمال المضارع ، فهذا ما لا شبهة فيه ، بدليل الآيات " وما يَنْبَغِي للرحمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا " ^(٤) ، و " ما كان يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ " ^(٥) و " وما يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ " ^(٦) و " لا الشمسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ " ^(٧) و " وما عَلَّمْنَاهُ الشَّعَرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ " ^(٨) و " قال رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ " ^(٩) .

أما الماضي فقد نَصَّ صاحبُ اللسان وصاحبُ القاموس وصاحبُ الصحاح على استعماله :

-
- (١) الهمع ٨٣/٢ .
 - (٢) المزهـر ٤٥/٢ .
 - (٣) التسهيل ص ٢٩٦ .
 - (٤) مريم : ٩٢ .
 - (٥) الفرقان : ١٨ .
 - (٦) الشعراء : ٢١١ .
 - (٧) يس : ٤٠ .
 - (٨) يس : ٦٩ .
 - (٩) ص : ٣٥ .

يقول ابن منظور : " ... هو من أفعال المطاوعة ، تقول
بَغَيْتُهُ لِمَنْبَغِي ، كما تقول كسرتُه فَاكْسِرَ ويقال : اَنْبَغَسِ
لِفُلَانٍ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا ، أي صلح له أَنْ يَفْعَلَ كَذَا ، وكانـــــــــــــــــه
قال : طَلَبَ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَاتَّطَلَّبَ لَهُ أَي طَاوَعَهُ ، ولكنهم اجتتزوا
بقولهم : اَنْبَغِيَ الشَّيْءُ : تيسر وتسهل " (١)

ويقول الغبرور آبادي " اَنْبَغِيَ الشَّيْءُ : تيسر وتسهل
وما اَنْبَغِيَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ وما اِبْتَغَى وما يَنْبَغِي وما يَبْتَغِي " (٢)

ويقول الجوهري : " وقولهم يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا ، هو
من أفعال المطاوعة ، يقال : بَغَيْتُهُ لِمَنْبَغِي كما تقول كسرتُـــــــــــــــــه
فَاكْسِرَ " (٣)

صحيح أنني لم أعثر على شاهد لاستعمال (اَنْبَغِيَ) ، ولكن
عندما ينص أصحابُ ثلاثة من المعاجم الذين يُوثقُ بهم على أن الماضي
مستعملٌ ، فربما يكون في هذا شئٌ من الاطمئنان الذي يبعثـــــــــــــــــه
الشاهد في النفس .

يُضاف إلى ذلك ما أورده أبو زيد الأنصاري في نوادره " ما
يُنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وكذا ، وما يُنْبَغِي بِفَمِ الْبَاءِ ، وقـــــــــــــــــد
اَنْبَغِيَ لَهُ " (٤)

(١) اللسان ج ١ ص ٨٠ .

(٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ .

(٣) تاج اللغة وصاح العربية ٢٢٨٢/٦ تحقيق أحمد عبد الغفور عطا
دار الكتاب بعصر .

(٤) النوادر ص ٢٣٩ .

فإذا سلمنا بأن المضارع والماضي كليهما مستعمل ، فماذا
 عن الأمر ؟ نقول إن القياس لا يمنع من وجود فعل الأمر (انبغ)
 كما أن فعل الأمر من (ابتغى) موجود وهو (ابتغ)^(١) ، وكل من
 الفعلين مزيد بحرفين الالف والنون ، ثم الالف والفاء إلا أن الفعل
 (انبغ) غير مستعمل ، لأن معناه في الأمر بعيد عن أية مناسبة
 تستدعي استعماله ، وما كان لإنسان أن يخاطب آخر أو يأمره
 بقوله (انبغ) ، وهذا يماثل تماما فعل الأمر (انكسر) .

(١) قال تعالى : " وَلَا تَجْهَرْ بِعَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا " الإسراء - ١١٠ .

أهلم وهـا

لقد جُمعتُ بين هذين الفعلين لأنهما مشتركان في نـدرة الاستعمال ، بل نستطيع أن نقولَ في عدم الاستعمال ، لا سيما في العصر الحديث ، هذه واحدة ، وأخرى أنهما مشتركان في وجود حرف الهاء الذي هو بمثابة تنبيه وإعلام لما سيأتي بعده ، ولا بد أن نتحفظَ فنقولَ إنَّ (ها) اسم فعل بمعنى خذ ، إلّا أنَّ لها أشكالاَ أخرى تُعد فيها فعلا ، وسأتي إلى تفصيل ذلك .

فأما الفعل الأول (أَهْلُمُّ) فهو جواب من قيل له (هَلُمُّ) ، إذ يرد قائلا (أَهْلُمُّ) أو (لا أَهْلُمُّ) ، تماما كمن يؤمر بفعل الأمر: أَقْبِلْ ، فيرد قائلا (أَقْبِلْ) أو (لا أَقْبِلْ) . جاء في اللسان ، إذا قال هَلُمَّ إِلَيَّ ، قلت : إَلَامَ أَهْلُمُّ ، وإذا قال لك : هَلُمَّ كذا وكذا ، قلت : لا أَهْلُمُّ^(١) وَمِنْ ثَمَّ فَيَا (أَهْلُمُّ) لا يتصرف ، بل هو بـاق في زمن المضارع ، ليس ذلك فحسب ، بل المضارع المنسوب إلى المتكلم ، والهمزة في أوله دليل على ذلك ، فلا يقال يَهْلُمُّ أو نَهْلُمُّ كما هو الشأن في يقبل ، ونص السيوطي على أنه لم يَستعملْ منه الماضي ولا الأمر في أكثر اللغات كما نص أيضا على أنه يجيء بعد الحركتين (لا) و(لم)^(٢) كما ورد في (أَهْلُمُّ) عدّة لغات هي :

أَهْلِمُّ أَهْلُمُّ أَهْلُمُّ أَهْلُمُّ^(٣)

(١) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ والمصاحح أيضا ج ٥ ص ٢٠٦٠ وشرح المفصل ج ٤ ص ٤١ .

(٢) الهمع ٨٣/٢ .

(٣) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ : الأولى بضم الهمزة وفتح الهاء وكسر اللام وضم العيم مع التشديد . والثانية مثلها إلا أن اللام مضمومة . الثالثة بضم الهمزة وفتح الهاء واللام وضم الميم مع التشديد . والرابعة بفتح الهمزة والهاء وضم اللام ، وضم الميم مع التشديد

غير أننى لم أعثر على شواهد لاستعمال هذا الفعل مما يجعل هذه الأحكام غير متيقنة ، هذا إلى أن القياس والصنعلة لا يبايان مجيء الماضي ؛ فيقال هَلَمَمْتُ كَمَعَرَرْتُ ، وَشَمَلْتُ على وزن فَعَلْتُ^(١) .

وقد بينا أن (أَهْلَمَ) إنما هي جوابٌ مَنْ قيل له (هَلَمْ) ، فلا بأس إذاً من أن نبيين أصلها بشيء من الإيجار . فاما الكوفيون فيرون أن الأصل فيها . هل أم^(٢) . وزاد الرضى تفضيلاً فقال " قال الكوفيون : أصله هَلَا أُمَ ، (هَلَا) كلمة استعجالٍ كما مر ، فغُيِّرَ إلى (هَلْ) لتخفيف التركيب ، ونُقِلَ ضمة الهمزة إلى اللام ، وحُذِفَت كما هو في القياس نحو (قد افلح) " ^(٣) ويؤيدُ نسبة هذا الرأي إلى الكوفيين أنَّ الفراء قد أوردَه في (معاني القرآن) حيث يقول " ونرى أن قول العرب (هَلَمْ إلينا) مثلها - يقصد مثل اللهم - إنما كانت (هَلْ) فضم إليها (أُم) ، فتركت على نصبها^(٤) " واما البصريون فيرون أن " أصلها (ها المُمَم) فاجتمع ساكنان : الألف من (ها) ، واللام من (المم) ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، ونقلت ضمة الميم الأولى إلى اللام ، وأُدْغِمَتْ إحدى الميمين فمى الأخرى فصارت (هلم) ^(٥) وهذا الرأي نقله ابنُ يعقوب عن الخليل^(٦) وكذلك رواه سيبويه حيث قال " كأنها (لَمْ) بضم اللام

(١) الخصائص ج١ ص ٣٧٨ .

(٢) الإنصاف ج١ ص ٢١١ .

(٣) شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترابادي ج٢ ص ٧٣ ببيروت ط ٣ سنة ١٩٨٢ م والآية هي الأولى في سورة المؤمنين .

(٤) معاني القرآن للقرافي ج١ ص ٢٠٣ تحقيق أحمد يوسف نجاشي محمد على النجار الميثة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠ .

(٥) الإنصاف ج١ ص ٢١٤ .

(٦) شرح المفصل ج٤ ص ٤١ .

وفتح الميم وتشديدها ، ثم أدخلت عليها الهاء كما أدخلت على
(١) . (١٥)

وإذا كانت شواهد (أَهْلُم) معدومة فإن شواهد (هلم) كثيرة

يبقى بعد ذلك (هَلُم) في لغة بني تميم التي عدها بعض النحاة فعلا غير متصرف يقول السيوطي : " وهلم التميمية لسم يستعمل منها ، إلا الأمر ، أما الجازية فهي اسم فعل لا تلحقه الضائر " (٢) فبنو تميم يجرونها مجرى الفعل في اتصال ضمائر الرفع بها فيقولون هَلُمَا ، هَلُمُوا ، هَلُمِي هَلُمْنِ ، إلا أنَّها وردت في القرآن الكريم على لغة الجازيين ، قال تعالى : هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ " (٣) ولم يقل هلموا ، ولهذا السبب - فيما نظن - نصح الرضوي على أنَّ لغة بني تميم ليست بالفصحى ونحن نأخذ فسى هذا المجال برأي ابن جنى أنَّ اللغات تختلف ، ولكنَّ كلَّها حجة وليس لك أن تَرُدَّ إحدى اللغتين بصاحبتهما ، لأنها ليست أحقَّ بذلك من رسلتهما ، وشرب مثالا على ذلك (ما) التي أعملها الجازيون وبها جاء القرآن ولم يعملها بنو تميم ، ورأى أن الاثنين يقبلهم القياس . (٤) غير أننا لا نستطيع أن نقول مع السيوطي أنَّ هَلُمَّ التميمية فعل (جامد) بل هي باقية على أنها اسم للفعل ويدل ابن

(١) الكتاب ج٢ ص ٦٧ .

(٢) الهمع ج٢ ص ٨٢ .

(٣) شرح الكافية ج٢ ص ٧٣ .

(٤) سورة الانعام اية ١٤٠ .

(٥) شرح الكافية ج٢ ص ٧٢ .

(٦) السابق ج٢ ص ٧٣ .

(٧) الخصائص ج٢ ص ١٠ بتمصرف .

يعيش على ذلك قاشلا ؛ " واعلم أن بنى تميم وان كانوا يجرونها
مجرى الفعل في اتصال الضمائر بها لشدة شبهها بالفعل وإفادتها
إفادة الفعل ، فهي عندهم أيضا اسم للفعل ، وليست مبقاة على
أصلها من الفعلية قبل التركيب والضم ، والذي يدل على ذلك أن بنى
تميم يختلفون في آخر الأمر من المضاعف فمنهم من يُتبع ، فيقول
(رُدُّ بالضم و(رُ) بالكسر ، و(عَضَّ) بالفتح ، ومنهم من يكسر على
كل حال ، فيقول رُدُّ وفَرَّوعَضَّ بكسر الأواخر ، ومنهم من يفتح على
كل حال ، ثم رأيناهم كلهم مجتمعين على فتح الميم من هَلَمْ ليس
أحد يكسرها ولا يغمها ، فدل ذلك على أنها خَرَجَتْ من طريق الفعلية
وَأُخْلِصَتْ اسما للفعل نحو دُونِكَ ورويدك وعندك " (١) .

وأما (هَأَ) " فهو اسمٌ لخذ، وفيه ثمانى لغات " (٢) أوردها
الرفى ، نتخذ منها ثلاث لغات " تكون فيها أفعالا غير متصرفية
لا ماضى لها ولا مضارع وليست بأسماء أفعال " (٣) .

فأما الأولى فهو أن تستبدل بالالف همزة ساكنة فتصبح هَأَ
وتتصرف تصرف ذر ودع فيقال هَأَ وهَى وهَا وَهَوُوا وَهَانَ .

وأما الثانية فهي كالأولى إلا أنها تتصرف تصرف خف فيقال:
هَأَ هَائِي ، هَاءِ ، هَأُو ، هَانِ .

وأما الثالثة فهي كالأولى أيضا إلا أنها تتصرف تصرف نداد

(١) شرح المفصل ج٤ ص ٤٢ و ٤٣ .

(٢) شرح الكافية ج٢ ص ٦٩ .

(٣) السابق ج٢ ص ٧٠ .

فيقال هاءٍ وهاءٍ وهاءٍ وهاءٍ وهاءٍ وهاءٍ^(١) ومن هذه اللفظة قولُ
الشاعر :

وَمُرِيحٌ قَالَ لِي : هَاءٍ ! فَقُلْتُ لَهُ : * * * حَيَّاكَ رَبِّي لَقَدْ أَحْسَنْتَ بِي هَاءِي^(٢)

فالمُؤرَّةُ واحدةٌ إِذَا وَلَكِنَّ الاختلافَ في طريقةِ التصريفِ. ومن
اللفويين من يرى أن هاءً بكسر الهمزة تعني هاتٍ ، وبفتحةا (هاءٌ)
بمعنى خُذَّ^(٣) .

وكما أَنَّ (أَهْلُمُ) ردٌّ وجوابٌ عن (هَلُمُ) ، كذلك (هَاءُ) لها
جوابٌ وهو (أَهَاءُ) وهو فعلٌ غيرٌ متصرفٍ لم يأت فيه إِلَّا المضارعُ
المنسوبُ إلى المتكلم. قال الرضُّ ، " وإذا قيل لك (هَاءُ) بالفتح
قلت ما أَهَاءُ أي ما أَخَذُ وما أَهَاءُ على ما لَمْ يسمَّ فاعله أي ما
أَعْطَى " ^(٤) . وقد أورد السيوطي هذا الفعلَ رِأًى أَنَّهُ حذفَ الهمزة التي
في آخره قال " و(أها) مبنى للفاعل بمعنى آخذ ، وللمفعول بمعنى
أَعْطَى ، لَمْ يُسْتَعْمَلْ منه غيرُ المضارعِ " ^(٥) .

ويجدُرُ بنا أَنْ نقولَ إِنَّ كُلَّ هذه الصورِ من الفعلين أَهْلَسَمَ
وها قد هجرت الآن، ولم يبقَ من هذه المادةِ إِلَّا (هَلُمُ) التي قيسل
إِنَّ جوابَها أَهْلُمُ .

(١) السابق ج٢ ص ٦٩ و ٧٠ بتصريف وشرح المفصل ج٤ ص ٤٣ و ٤٤ .

(٢) اللسان مادة ها ج ١٥ ص ٤٨٢ .

(٣) الصحاح ج١ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) شرح الكافية ج٢ ص ٧٠ .

(٥) معجم الهوامع ج٢ ص ٨٣ .

هَاتِ وتَعَالَى

وقد جمعنا هذين الفعلين معاً ، لأنهما من أشهر الأفعال غير المتصرفة وأكثرها استعمالاً ، ولأنهما اتحدتا في صيغة الأمر .

ولعلّ هناك شيئاً من التجاور في جعلنا الفعل (هَاتِ) فعلاً غير متصرف ، إلا أنّ هذا التجاور ربما كان له ما يبرره ، فقد ذكر صاحب اللسان أن (هَاتِ) فعلٌ أمرٌ من هَاتِيْ هَاتِيْ مُهَاتَاً بِوَزْنِ مُفَاعَلَةٍ مِثْلَ عَاطَى يُعَاطِي (١) ، وتحقيقاً لهذه المشابهة ، فقد وضعه صاحب اللسان في باب الوار والياء فصل الهاء : هَتْا مثـل عطا ، ولم يَعدّ الأصل فيه هيت ، وكذلك فعل صاحب القاموس المحيط (٢) .

وذكر المرحوم الشيخ محمد محيي الدين أن (هَاتِي) (هَاتِي) بفتح الهاء على مثال قَامِي يُقَامِي (٣) .

وذكر السيوطي هذا الفعل (هَاتِي) مع الأفعال غير المتصرفة ، إلا أنه قال " وربما قيل هَاتِيْ هَاتِيْ " (٤) .

ونصّ ابن الأنباري على أن المضارع من هذا الفعل كان مستعملاً " فإذا قال رجل لرجل : هَاتِ يارجل ، فأراد أن يقول له : لا أفعل . قال : لا أَهَاتِي " (٥) .

(١) اللسان مادة هَتْا ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٢) القاموس المحيط مادة هَتْا ج ٤ ص ٤٠٥ .

(٣) شرح شذور الذهب هامش ص ٢٩ .

(٤) همع الهوامع ج ١ ص ٨٣ .

(٥) شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٦ .

وهناك شطر من الرجز أنشده ابن منظور وابن يعيش ولم
أقف على قائله وفيه المضارع : لله ما يعطى وما يهاتى^(١) .

من الواضح إذن أن هذا الفعل متصرف ، ولكن المبرّر الذي من
أجله وضعه السيوطي في باب الأفعال غير المتصرفية^(٢) أن كلّ هذه
التصرفات قد أميتت، ولم يبق إلّا الأمر فقط فكانه بذلك
قد نزل منزلة الفعل غير المتصرفي . وقد نصّ على ذلك ابن منظور
حيث يقول " ولكن العرب قد أماتت كلّ شيء من فعلها غير الأمر"^(٣) ،
فيقال : هات ، وهاتيا ، وهاتوا وهاتى وهاتيا وهاتين^(٤) .

قال امرؤ القيس :

إذا قلت هاتى تؤليني تمايلت * * * على هفيم الكشح ريت المخلخل^(٥)

وربما اتعلت به هات المفعول به ، فيقال :

هاتيه ، هاتياه ، وهاتوه ، وهاتيه ، وهاتينه^(٦) .

ولم يأت هذا الفعل في القرآن الكريم إلّا في صيغة الأمر
المسند إلى واو الجماعة (هاتوا) كقوله تعالى : " قل هاتوا^(٧)
برهانكم إن كنتم صادقين " .

(١) اللسان مادة هتا ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل ج ٤ ص ٣٠ .

(٢) جمع الهوامع ج ٢ ص ٨٢ .

(٣) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٤) شرح القوائد للسبع الطوال ص ٥٦ .

(٥) السابق ص ٥٦ . (٦) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٧) البقرة آية ١١١ ، وقد جاء أيضا في الأنبياء - ٢٤ والنمل

- ٦٤ والقصص - ٧٥ .

وينفرد الزمخشري من باقي النحاة بأنه يبعد هذه الكلمة (هات) اسم فعل وليست فعلاً ، وقد ذكرها في أول مبحث أسماء الأفعال والأصوات وتابعه في ذلك شارح مغلله دون اعتراض عليه . قال الزمخشري " أسماء الأفعال والأصوات ، وهي على ضربين وهات الشيء أي أعطينه " ^(١) . وقال ابن يعيش شارحاً قول الزمخشري : " ومن ذلك هات الشيء أي أعطينه ، وهو اسم لا عطني وناولني ونحوهما ، وهو مبتدئ لوقوعه موقع الأمر ، وكُسِرَ ^(٢) لالتقاء الساكنين الألف والتاء وكأنه من لفظ (هَيْت) ومعناه " .

وواضح أن ابن يعيش جعل أصل المادة (هَيْت) من حيث اللفظ والمعنى لكي يستقيم رأيُه أن (هات) اسم فعل ، بعكس ما فعل صاحب اللسان والقاموس المحيط اللذان جعلاً أصل المادة (هتا) كما سبق .

وقد ردَّ ابن هشام وكذلك الشيخ محمد محيي الدين على قول الزمخشري بأن (هات) فعل بدليل اتصال ضمائر الرفع البارزة بها ، ثم أنشد ابن هشام بيت امرئ القيس إذا قلت هاتي دليلاً على فعلية (هات) لاتصال ياء المخاطبة به ، أما اسم الفعل فهو كالمثل لا يتغير فتقول صه للواحد والاثنين والجماعة ^(٣) .

وربما كانت (الهاء) التي في أول (هات) هي التي أوهمت

(١) شرح المغلغل ج٤ ص ٢٥ .

(٢) السابق ج٤ ص ٣٠ .

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٨ و ٢٩ وانظر هامشيهما .

الزمخشري أن الكلمة (هات) اسمُ فعلٍ ، لأنَّ هناك كثيراً من أسماء
الافعال والأصوات تبدأ بحرف (الهاء) نحو : هَا وهَيْتَ ، وهَبَّهَاتِ
وَهَلَا وَهَيَّ ... (١) .

وقد رأى بعض النحاة - ربما من أجل رفع هذا الوهم - أنَّ
(الهَاءَ) هي (هات) إنما هي مبدلةٌ من الهمزة ، فالأصل آتِيــــ
يُؤَاتِي (٢) ، ولا يُستبعدُ مثلُ هذا الرأي ، فهناك كثيرٌ من حالات
هذا الإبدال كقول رجلٍ من نُمَيْرٍ شيرٍ معروفٍ :

أَلَا بِأَسْنَا بَرِّقَ عَلَى قُلُلِ الْحَمَى * * كِهَنَّكَ مِنْ بَرِّقٍ عَلَى كَرِيمٍ^(٣)
أي لأنك :

وكبيت الشعر الذي لم يُعرف قائله :

وَأَتَى مَوَاجِبُهَا فُكِّلَنْ : هَذَا الَّذِي * * * مِنْحَ الْمَوَدَّةِ غَيْرِنَا وَجَلَّانَا^(٤)

أي أذا والهمزة للاستفهام .

(١) انظر مبحث أسماء الأفعال والأصوات في شرح المفصل ج٤ ص ٢٥
والكافية ج٢ ص ٦٥ وشرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ١٩٦
وغيرها من المراجع .

(٢) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل ج٤ ص ٣٠ .

(٣) مفنى اللبيب ص ٣٠٤ .

(٤) السابق ص ٤٥٥ .

وكتول الشاعر :

لَهَنَكَ مِنْ عَبِيَّةٍ لَوْ سِيَمَةٌ * عَلَى هَفَوَاتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا^(١)

ويقال : آرَقْتُ الْمَاءَ وهناك من يبدل من الهمزة هاء فيقول
هَرَقْتُ الْمَاءَ^(٢) .

ولا يُستبعد مع هذه الحالات أن يكون آتِي يُؤَاتِي هي الأصل
في هَاتِي يُهَاتِي ، وبذلك ندفع وهم من رأى أن هات اسم فعل .

كان هذا من فعل الأمر (هات) لماذا عن (تعال) ؟ إِنَّ التَّاءَ
في (تعال) رائدةٌ كقولك في الأمر تَعَلَّمْ وَتَمَرَّسْ وَتَفَقَّلْ . وقد ذكر
ابنُ منظور هذا الفعل - تعال - في مادة علا، وذكر من اشتقاقاتها
علا ويعلو وحرف الجر على واستعلى والأعلى ، وَعَالِيَتُهُ على الحمار
وَعَالِيَتُهُ عَلِيَّةٌ وَنَاقَةٌ عَلِيَّةٌ وَعَلِيَّانُ أي مرتفعة السير ، وَالْعَلِيُّونَ^(٣)
الذين ينزلون أعالي البلاد .. " .

فكل اشتقاقات هذه المادة تدل على العلو والارتفاع ، ومن
ثَمَّ كان فعلُ الأمر (تعال) بمعنى ارتفع واسمٌ ، وهو من تَعَالَى
يَتَعَالَى كَثَرَامَى يَتَرَامَى^(٤) ، فهذا هو الأمر ثم الماضي ثم المضارع
فكيف يكون الفعلُ غيَر متصرفٍ، إنَّ عدمَ التصرف هنا مقتضى باستعمال
معين لا يتعداه ، وذلك إذا استعملت (تعال) في النداء بمعنى (أقبل)

(١) الإنصاف ج١ ص ١٢٩ .

(٢) شرح القامد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

(٣) اللسان مادة علا ج١ ص ٣٢٤ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٨٢ .

ففى هذه الحالة يقتصر الاستعمال على الأمر دون غيره ، " فلا تقول تعاليت ولا ينهى عنه " ^(١) .

وأصل الفعل (تعال) كما يتبين من معناه " طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاولا بذلك وإذناً للمدعو لآته من العلو والرفعة ، ثم توسع فيه فاستعمل فى مجرد طلب مجيء ، حتى يقال ذلك لمن تريد إهانته كقولك للمدو : تعال ، ولمن لا يعقل كالبهاشم ونحوها ، وقيل هو الدعاء لمكان مرتفع ، ثم توسع فيه حتى استعمل فى طلب الإقبال الى كل مكان حتى المنخفض " ^(٢) . ولا يُبالون أين يكون المدعو ففى مكان أعلى من مكان الواعى أو مكان دونه " ^(٣) .

أما إذا استعمل فى غير النداء فهو متصرف كأن تقول تعالى فلان من المفاخر " أى بعد وارتفع ، وكان يتعالى عليه " أى ينأى بجانبه ويتكبر . وكما قلنا فى (هات) نقول فى (تعال) " إنَّها فعلٌ أمرٌ صريح وليس باسم فعل لاتصال الضمائر المرفوعة البارزة به " : تعالياً وتعالوا وتعالَى وتعالَيْنَ ، وجاء هذا الفعل مسنداً إلى واو الجماعة فى القرآن الكريم سبع مرات ^(٤) كما جاء مسنداً إلى نون النسوة مرة واحدة ^(٥) .

ونظن أن هذين الفعلين فى صيغة الأمر : هات وتعال كثر استعمالهما الآن ، لا سيما على ألسنة العوام .

(١) اللسان ج ١٩ ص ٣٢٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣) اللسان مادة علا ج ١٩ ص ٣٢٤ .

(٤) آل عمران : ٦١ و ٦٤ و ١٦٧ والنساء : ٦١ والمائدة : ١٠٤ ،

الانعام : ١٥١ والمنافقون : ٥ .

(٥) الأحزاب : ٢٨ .

يَهِيْطُ وَيَسْوِي

هذان الفعلان غير مستعملين . فأما الأول فقد أميت ، وقد ذكره السيوطي في الهمع حيث قال : " ويهيط : يصبح ويضج ، لم يستعمل إلا مضارعاً . يقال : ما زال منذ اليوم يهبط هبطاً .^(١) وقد ذكره ابن مالك أيضاً في التسهيل .^(٢)

وقد اقترن لفظ (الهيْط) بلفظ (النمِط) ، فيقال هيْطٌ وميْطٌ^(٣) أي سياح وجلبة أو دنو وتباعد . والهاياط الذهاب ، والهاط الجأش ،

والذي أظنه أن هذين اللفظين وأشباههما كانا من نطق عوام العرب في عصر قديمة ، يدلُّ على ذلك اختلاف عين الكلمة فيهما وفي أشباههما فيقال " مهايطة ممايطة ومعايطة ومسايطة " ثمَّ إنَّ النحاة - من بعدُ - قد وضعوا اسمي الفاعل (هايط ومهايط) ، والفعل المضارع (يَهِيْطُ) ، فقالوا " ما زال منذ اليوم يهيط أي يضيح " .^(٤)

ولم أجد فيما اطلعت عليه من مراجع نحوية ولغوية - عدا همع الهوامع وتسهيل الغواشد واللسان - شواهد لاستعمال هـ في الفعل أو اسمي الفاعل ، بل لم أجد ذكرًا للفعل نفسه أو لاسم الفاعل . وقد نصَّ ابن منظور على أنَّ هذا الفعل قد أميت .^(٥)

(١) همع الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) التسهيل ٢٤٧ .

(٣) اللسان مادة هيط ج ٩ ص ٣٠٢ .

(٤) السابق ٣٠٢/٩ .

(٥) السابق ٣٠٢/٩ .

ولكنَّ الشيءَ اللافتَ للنظر هنا أنَّ ابنَ منظورٍ قد جمعَ بينَ (مُهايطةَ ومُسايطَ ومُعايطَ ومُعايطَ) ، فقال " يقال بينهما مهايطــــة ومسايطَ ومعايطَ ومعايطَ ، أي بينهما كلامٌ مختلفٌ " فهل هناك علاقة بين هذه الكلمات ؟ أو قل هل هناك علاقة بين مادة هيط التي نحن بمدها وبين المواد الميظ وعيظ وسيظ ؟

لقد رأينا أنَّ الفعلَ (يَهِيظُ) بمعنى يصيح ، وهو غيــــر متصرف ، فلا يستعمل الماضي هاط ولا الأمر هظ . غير أنَّ اقترانَ (هيظ) بـ (ميظ) في قولهم : " مازال في هيظ وميظ " وفي قول الفراء " تهايط القوم تهايطا " إذا اجتمعوا وأملحوا أمرهم ، وتمايطوا إذا تباعدوا ^(١) يشير في النفس الظنَّ أنَّ (هاظ) كان متصرفاً ومستعملاً ، لأنَّ ماظ الذي اقترن به متصرفٌ مستعملٌ . قال الأعشى مستعملاً المضارع والأمر :

فَمِيْطِي تَمِيْطِي يُمَلِّبُ الْفُؤَادِ * * * وَوَصَّالِ حَبْلٍ وَكَنَادِهِ ^(٢)

وقال المثقب العبدى :

وَلَكِنَّهَا يَمَّا تَمِيْطُ مَوَدَّةً * * * بِشَاشَةِ أَدْنَى خَلِيٍّ تَسْتَفِيدُهَا ^(٣)

وماظ وأماظ بمعنى بُعد وتنحى ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق ^(٤) ، وحديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم " .. فإذا وقعت لقمةٌ أحدكم فليأخذها ، وليُمِظْ ما كان بها من أدنى وليأكلها ...

وأما مادة عيط فلها كثير من الاشتقاقات ، فمنها عَاطَتِ النَّاقَةُ عَيْاطًا وَتَعَيْطَتَ ، واعتاطت أي لم تحمل سنين من غير عقر ، والأعيطُ العالي ، قال سويدُ بن كاهل العيشكري :

مُنْعِيَا يَرْدِي صَفَاءً لَمْ تَرِمَ * * * فِي ذُرَى أَعْيَطَ وَقَرِ الْمَظْلَعِ ^(٥)

-
- (١) اللسان مادة هيظ ج ٣٠٢ ومادة ميظ ج ٢٨٦ .
 (٢) في ديوانه القصيدة الثامنة ، البيت الثالث ومجزه : ومول حَسَّالٍ وَكَنَادَهَا .
 (٣) المغضليات ص ١٤٩ . (٤) اللسان ج ٢٨٦ .
 (٥) صحيح مسلم ج ٦ ص ١١٤ كتاب الأشربة . ط صبيح دون تاريخ .
 (٦) المغضليات ص ١٩٩ .

وقال حارث بن حلزة :

قَبْلَ مَا الْيَوْمُ بَيَّضَتْ بَعْيُونَ الـ * * * نَاسٍ فِيهَا تَعْيِطُ وَإِنْ سَا
(١)
أي ارتفاع وامتناع .

وأما سَا ، فَالْسَّوْطُ خُلَطُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ بَعْضٌ ، وَسَاطُ الشَّيْءِ
سَوَاطٍ وَسَوَاطٌ (٢) خَاضَهُ وَخَالَطَهُ . قَالَ كَعْبٌ :

لَكُنَّهَا خَلَّةٌ قَدْ سَيَّطَ مِنْ كَرَمِهَا * * * فَجَجَّ وَوَلَعَ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ (٣)
وُسَمَّى السَّوْطُ سَوَاطٍ ، لِأَنَّهُ إِذَا سَيَّطَ بِهِ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ خُلَطَ السُّدُمُ
بِاللَّحْمِ (٤) . قَالَ الشَّمَاخُ :

فَمَوْبَتُهُ كَأَنَّهُ مَوْبٌ غَيْبِي * * * عَلَى الْأَمْعَرِ الْفَاحِي إِذَا سَيَّطَ أَحْمَرًا (٥)
وقد أوردتُ كلَّ هذه النصوص لأثبت أن ما اقترن بالفعل
(ببهيط) متصرف مستعمل ، فليس هناك ما يمنع من الظن أن (ببهيط)
نحمة كان متصرفا ومستعملا ، ثم إنَّه تلاشى تدريجيا حتى انقرض
وَأُمِيتَ .

(١) شرح المعلقات ص ٤٥٨ .

(٢) اللسان ح ٩ ص ١٩٨ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٨ . تحقيق السكري . دار الكتب ،
١٩٥٠ .

(٤) اللسان ح ٩ ص ١٩٨ .

(٥) بحث في ديوانه ص ٢٦ (بتحقيق الشنقيطي . مطبعة السعادة
١٣٢٧هـ) ، فلم أجد هذا البيت ، ووجدت قصيدة كاملة من
البحر الطويل سئيه وحرف رويه الراء ونفس القافية ، ولكنني
لم أجد هذا البيت منها ، والظاهر أنه سقط ، أو أنه زائد
فيما اطلع عليه ابن منظور .

وأما الشان (يَسَوِي) فقد وضعه السيوطي أيضًا في عسداد
الأفعال غير المستعملة ، حيث لم يُستعمل إلا المضارع ولكنَّ ابسن
مالك لم يذكره في التسهيل ^(١) .

وهناك أكثر من نحوي ولغوي أنكروا وجودَ هذا الفعل ، أو
حكموا بندوته وبأن المستعمل هو سَاوَى يُساوَى . قال الفراء : هذا
الشيء لا يُساوي كذا . ولم يعرف يَسَوَى كذا ^(٢) وأيدَه في ذلك
الأزهري وقال : " وقول الفراء صحيح " . وقال الليث : " يَسَوَى
نادرة ولا يقال منه سَوَى ولا سَوَى " وقد روى من الشافعي : " وأما
لا يَسَوَى فليس بعربي صحيح " ^(٣) .

ونظن - بعد أن رأينا أن (يَسَوَى) غير مستعملة ويساوي
هي المستعملة - أن (يَسَوَى) معدولة عن يساوي إن صح هذا
التعبير ^(٤) وربما كان هذا (المعدل) لهجة من اللهجات أو هو
للتخفيف من المد الذي في (يساوي) وأنه كان نطقًا نادرًا من العرب ثم
انقرضَ هذا النطق بعد ذلك .

(١) همع الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) الصحاح ج١ ص ٢٤٨٥ .

(٣) اللسان ج٩ ص ٣٠٢ .

(٤) أخذنا هذا الاصطلاح من قول النحاة في باب الممنوع من
المصرف إنَّ عمرَ معدولٍ عن عامرٍ وزلَّ معدولٌ عن زاهرٍ .

نَكْرَ

ورد هذا الفعل في قول الله سبحانه وتعالى : فَلَمَّا رَأَى
أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ^(١) .

وورد أيضا في قول الأعشى :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتَ ^(٢) مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالْمَلَأَ

وفي قول أبي ذؤيب :

فَنَكَّرْتَهُ ، فَتَفَرَّنَ ، وَامْتَرَسَتْ بِهِ ^(٣) سَطَعًا هَادِيَةً وَهَادٍ جُرْشُوعٌ ^(٤)

وفي جميعها استعمل الفعل (نَكَّرَ) في زمن الماضي ولم يجس،
المضارع يَنْكُرُ بفتح الياء ، وأقول بالفتح لأن المضارع بشم الياء
جاء كثيرا وهو ماضى أَنْكَرَ .

وقد جاء في اللسان " أن نَكَّرَ لم تستعمل في غابر ولا أمر
ولا نهى " ^(٥) . وقد شككت في معنى غابر : هل هي بمعنى الماضي ؟
فرجعت إلى اللسان أيضا (مادة) غبر فوجدت أن الفعل غَبَرَ بمعنى
ذهب وبمعنى مكث وبقي ، والغابر الباقي والغابر الماضي وهو مسن

(١) هود - ٧٠ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير . القصيدة الثالثة عشرة . تخليق د. محمد
محمد حسين بيروت ط ٢ ١٩٦٨ .

(٣) شرح المفغليات ص ٨٦٧ .

(٤) اللسان ج ٧ ص ٩١ .

الأضداد . وقال الأزهرى " المعروف الكثير أن الغابر الباقي
قال : وقال غير واحد من الأئمة أن يكون بمعنى الماضي " (١)

وعلى ذلك فإن معنى غابر فى قول ابن منظور بمعنى باقى
أي مضارع .

وحقيقة الأمر أن نكر وأنكر لغتان، ولكن المضارع يُنكر
(بضم الياء) مستعمل للاثنتين ولم يجر المضارع من (نكر) . والذي
يدل على ذلك :

١ - أن الطبري فى تفسيره للآية الكريمة " نكروهم وأوجس
منهم خيفة " . قال : " نكرت الشيء وأنكرته وأنكرتُـه
وأُنكره بمعنى واحد " . فجاء بالمضارع يُنكر بضم الياء للماضى
الرباعى وجعله للثلاثى أيضاً ولم يجر له يُنكر بفتح الياء ، وأنه
عندما تعرض لبيت الأعرشى .

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والملعاع
قال : " فجمع بين اللغتين " أي أنكر ونكر . (٢)

٢ - كرر القرطبي ما قلناه الطبري وزاد عليه أن نكرت لما تراه
بعينك وأنكرت لما تراه بقلبك . (٣)

(١) اللسان ج٦ ص ٣٠٥ .

(٢) هود / ٧٠ .

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان ٠٠٠) ج٥ ص ٢٨٨ تحقيق
محمود شاكر دار المعارف ١٩٦٠ .

(٤) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج٩ ص ٦٦ دار الكتب
المصرية ٩٣٩ .

٣ - قال شارح ديوان الأعشى عندما علق على بيته السابستق
 " نِكْرَهْ وَأَنْكِرَهْ : جهله ولم يعرله ^(١) " فعطف الرباعي على
 الثلاثي مما يدل على أنهما بمعنى واحد .

فإذا عرفنا أنَّ (نِكر) و(أَنْكر) لغتان جارتان لنا أنَّ نقول إنَّ
 الثلاثيَّ هو الأصل ، وأنه كان لهجةً من اللهجات القديمة ، وكان له
 مضارعٌ (بفتح اليا ء) ثم تعدى الماضي بالهمزة فأصبح (أَنْكسر)
 ومضارعه يُنكر (بضم اليا ء) ، ثم أصبح هذا الفعل هو المضارع لكل
 من الثلاثي نكر والرباعي أنكر ، وذلك بعد أن هجر المضارعُ يَنْكسر
 (بفتح اليا ء) ، وصار الاستعمالُ مقصوراً على ماضيه فقط (نِكر) .

(١) شرح ديوان الأعشى القصيدة الثالثة عشرة .

هـ

(١) غنى عن القول أن (هَدَّ) فعل متصرف بمعنى هدم وكسر ،
ولكنه في استعمال خاص دال على المدح لم يجز هذا الفصل إلا
ماضي ، وذلك في مثل " مررت برجل هَدَّك من رجل " (٢) ، أي
أثقلك وصف محاسنه (٣) وواضح أن هناك علاقة معنوية بين
الفعل (هَدَّ) بمعناه الممام وبين معناه في المدح " أثقلك أو
أعجزك وصف محاسنه " وأنشد ابن الأعرابي شطرا من الطويل :
وليس صاحب في الدار هَدَّكَ صاحباً (٤) .

فـ (هَدَّكَ صاحباً) و (هَدَّكَ مِنْ صاحب) لا فرق بينهما
إلا في الحرف (من) وهو حرف جر زائد .

على أن هناك استعمالاً آخر لهذا الفعل ، وفيه يكون أيضاً
غير متصرف وذلك عند دخول لام التوكيد عليه ، فيقال : كَهَدَّ
الرجل (٥) . أي ما أجلده وما أشده ، تماماً كما يقال " لنعم
الرجل " ، ومنه قول أبي لهب " لهدَّ ما سَحَرَكُمُ صاحبُكم " (٦) ويكون
الاستعمال هنا للتعجب وليس للمدح .

وفى (هَدَّكَ مِنْ رَجُلٍ) لغتان فمنهم من يُجْزِيهِ مُجْزِي الممسود
فلا يؤنثه ولا يشنيه ولا يجمعه ، ومنهم من يؤنثه ويشنيه ويجمعه
فيقول : هَدَّكَ وهَدُّوك وهَدَّتْكَ وهَدَّتَاك وهَدَّتَنكَ (٧) .

-
- (١) القاموس المحيط ج١ ص ٣٦١ . (٤) السابق ج٤ ص ٤٤٤ .
(٢) الهمع ٨٢/٢ . (٥) القاموس ج١ ص ٣٦١ .
(٣) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ . (٦) النهاية في غريب الحديث ج٤
ص ٢٥٧ .
(٧) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ .

نتائج البحث

وبعد ...

فَلَعَلِّي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْأَفْعَالَ غَيْرَ الْمُتَمَرِفَةِ وَشِبَهَ الْمُتَمَرِفَةِ ،
وتناولها بالدرس والتحليل والتمحيص والتأصيل ، وَبَيَّنَّ
استعمالاتها الْمُخْتَلِفَةَ وَرَمَدَ التَّطَوُّرَ فِي هَذِهِ الْأَسْتِعْمَالَاتِ ، وَاجْتَهَدَ
فِي بَيَانِ أَسْبَابِ عَدَمِ تَصَرُّفِهَا ، وَهِيَ أَسْبَابُ تَمُتُّ بِمِلَّةٍ لِبَنِيَّةٍ بَعْضُ
هَذِهِ الْأَفْعَالِ أَوْ لِأَحْكَامِ اسْتِعْمَالِ بَعْضِهَا ، أَوْ لِأَنَّ بَعْضَهَا قَدْ أُثْمِنَتْ
وَحَلَّتْ مَحَلَّهَا أَفْعَالٌ أُخْرَى .

ولم أرتضِ فِي بَدَايَةِ الْبَحْثِ التَّسْمِيَةَ الشَّاعِلَةَ لِهَذِهِ الْأَفْعَالِ
وهي (الْجَامِدَةُ وَشِبَهَ الْجَامِدَةِ) وَرَأَيْتُ أَنَّ التَّسْمِيَةَ اللَّائِقَةَ بِهَـمَا
هِيَ الْأَفْعَالُ غَيْرُ الْمُتَمَرِفَةِ وَشِبَهُ الْمُتَمَرِفَةِ ، ذَلِكَ أَنَّ الْجَامِدَ هُوَ مَا لَمْ
يُؤْخَذْ مِنْ غَيْرِهِ ، وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ قَدْ أُخِذَتْ مِنْ غَيْرِهَا ، فَكَيْفَ تَكُونُ
جَامِدَةً ؟ ثُمَّ إِنَّ الْجَامِدَ عَكْسُ الْمُشْتَقِّ وَالْإِنْسَانُ قِسْمَانِ لِلْأَسْمِ ،
أَمَّا التَّصَرُّفُ وَعَدَمُ التَّصَرُّفِ فَهُمَا قِسْمَانِ لِلْفِعْلِ ، اصْطَلَحَ عَلَى ذَلِكَ
جُمْهُورُ النُّحَاةِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ عِنْدَمَا جَاءُوا إِلَى الْأَفْعَالِ مَوْضِعَ بَحْثِنَا
أَظْلَقُوا عَلَيْهَا الْأَفْعَالَ الْجَامِدَةَ وَهَذَا كَبَسٌ وَقَعُوا فِيهِ ، وَرَبَّمَا كَانُوا
يَقْصِدُونَ بِالْجَامِدِ عَكْسَ الْمُتَمَرِفِ ، وَلَيْسَ عَكْسُ الْمُشْتَقِّ .

هَذِهِ الْأَفْعَالُ إِذَا لَيْسَتْ جَامِدَةً ، بَلْ إِنَّهَا اشْتَقَّتْ أَوْ أُخِذَتْ مِنْ
غَيْرِهَا ، مِنْ أَجْلِ هَذَا بَحَّثْنَا فِي الْأَشْتِقَاقِ فَوَجَدْنَاهُ نَوْعَيْنِ :

(أ) الاشتقاق بمعناه العام Derivation ، كأن تشتقُّ من الكلمة اسمَ فاعلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو مفعلاً مشبهةً أو ... وهذا هو الاشتقاقُ المتعارفُ عليه مدرسياً ..

(ب) الاشتقاق التاريخي Etymology ، وهو تتبع التاريخي لمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة ، أو إرجاعُ معنى — من المعاني إلى اشتقاقه من كلمة ما لعلاقة دلالية قديمة تجمع بينهما ، وقد ذَكَرَ السيوطيُّ في مُزهره ، وياقوت في معجم البلدان ، وفندريس في كتابه (اللغة) أمثلةً كثيرةً لهذا النوع من الاشتقاق ، فـ (مِثْنٌ) مثلاً سُميت بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء ، والسُّنْدُ بلادٌ بين الهند وكرمان وسجستان ، قالوا السند والهند كانا أخوين مِنْ وَلَدٍ بوفيرَ بنِ يَقْظَنَ بنِ حَامِ بنِ نوحٍ ، يقالُ للواحد من أهلها سندي والجمع سَنَدٌ ، وماريشال إنما كان اشتقاقها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة ... إلى آخر ما جاء في هذه الكتب الثلاثة .

ولم يكنْ ذَكَرُ الاشتقاق التاريخي عبثاً أو إطالةً للبحث ، ذلك أننا اعتمدنا عليه في تأصيل أغلب الأفعال موضع بحثنا بالرجوع تاريخياً إلى أصل المادة التي اشتقَّ منها الفعلُ وبيانِ العلاقة الدلالية بين أصل المادة والفعل ، وربما استعنا في ذلك أيضاً بالمقارنة اللغوية .

فالفعل غير المتصرف (لَيْتَ) مثلاً نراه مكوناً من لا النافية والفعل آيس بمعنى يوجد أو يكون ، بدليل قولهم لَا يَعْرِفُ آيَسَ مِمنْ

كَيْسَ ، أي لا يعرفُ ما يكونَ معاً لا يكون . والخليلُ يرى الأصلَ فيها لا أيسَ ثم طرحت الهمزة والزقت اللام بالياء ، وهي في العبرية تتقارب في نطقها مع العربية بعد ابدال السين شيئا .

والفعل (نَعَمْ) يَرْجِعُ إلى مادته الثلاثية (ن ع م) التي تَدُلُّ على الشرف وسعة العيش وبحبوحته والرخاء . وكلُّها معانٍ تسدعو إلى المدح الذي يدل عليه الفعلُ غيرُ المتصرف (نعم) والذي وجد بعد وجود هذه المعاني .

وكذلك الحال في نقيضه (بئس) فستجدُ فكرةَ الاشتقاقِ التاريخي متحققةً أيضاً ، فالمادة الثلاثية تشير إلى الفنك والضييق والبؤس ، فيَرْجِعُ أنها في زمن ما قد استعملت في معنى متقارب لهذه المعاني وهي الذم ، ثم استمر هذا المعنى مستعملاً إلى الآن .

وحبذا مكنونة من حبٍّ واسم الإشارة ذا ، وواضحٌ أن معنى المدح قريبٌ من (حب) بل ملتصق بها ، فالإنسان لا يمدح إلا ما يجبُه

والفعل (لا يكون) انتزع من استعماله كلفعل ناقص ، ووضع في أساليب الاستثناء على حالته تلك دون أن يتعداها إلى صيغة أخرى (كالماضي مثلاً ...) ، ويدل على هذا (الانتزاع) أنه محدود الاستعمال ، إن لم يكن نادره ، في أسلوب الاستثناء ، وهذا لم يتم في فترة محدودة ، بل هو نتيجة للتطور في الاستعمال وهكذا نجد أن فكرة الاشتقاق التاريخي متحققة في معظم هذه الأفعال .

والأفعال غير المتصرفية وشبه المتصرفية من (كان وأخوتها) هي:

لا يكون وليس ودام وزال وفتى ، وبرح وانك .

فأما (لا يكون) فهو غير متصرف في حالة خاصة به ، وذلك عندما يكون فعلاً من أفعال الاستثناء ، ولا يوجد شاهد على ذلك ، وكذلك الحال بالنسبة للفعل (لبس) ، فلم أرَ شاهداً على استعماله كفعل من أفعال الاستثناء ، إلا قول رؤية :

عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْشِ * * * إِذَا فَهَبَ الْكِرَامُ لَيْسَ
وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ
لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذْبَ " وقوله : " لَيْسَ أَبَا الدَّرْدَاءِ " وقد
بحثت عن الحديث الأول في صحيح مسلم فلم أجده ، ووجدته في إحياء
علوم الدين بنمي آخر ، لم يستعمل فيه (ليس) ، والثاني قال عنه
محقق المغنى إنه لم يجده في كتب الصحاح ، وورد في معظم تراجم
سيبويه . وهذا يدل على أن هذين الفعلين قد وُضعا أصلاً للنسخ
وليس للاستثناء ، ويدل على ذلك أيضاً أن إعرابهما واحد في
الاستثناء والنسخ . وربما كان استعمالهما في أسلوب الاستثناء
راجعاً إلى أن معنييهما واحد ، وهو عدم الوقوع ونفي الكـ
المطلق ، وهو ما سَوَّغ للنحاة أن يقولوا بأنهما جاءا في بعض
الأماليب للاستثناء .

واختلاف النحاة في حرفية (ليس) أو فعليتها راجع إلى الأصل
الذي تتكون منه ، فهي مكونة - كما بينت - من الحرف لا والفعل
أي ، لذلك غلب بعض النحاة الحرفية عليها ، وغلب بعضهم الفعلية ،
وكان لكل فريق شواهد من الاستعمال يؤيد بها رأيه ، والحقيقة
أن الإنسان لا يستطيع أن يضع تعريفا جامعاً مانعاً لكل الفاظ اللغة ،
بحيث يرفع كل لفظ تحت عنوان محدد : اسم أو فعل أو حرف ،
ذلك أن الحدود اللغوية إنما وُضعت بوجه عام ، ولم تحسب ورود

كلمة مثل (ليس) فيها قَدْرٌ من خاصية الحروف وقَدْرٌ من خاصية
الافعال، ومن غير الممكن أن نضع تعريفاً جامعاً لها ولا مثالها،
مانعاً غيرها من الدخول في هذا التعريف. وذلك لأن (ليس) ليست
أصلاً في ذاتها .

والفعل (دام) متصرف، وله كثير من الاشتقاقات وذلك في
كل معانيه ، إلا حيث يكون فعلاً ناقصاً من أخوات (كان) ، فإنه
حينئذ لا يجيء إلا في زمن الماضي ، ولا يحاوره إلى المضارع أو الأمر
أو اسم الفاعل وما كان ذاك إلا لسبقه بـ (ما)
المصدرية الظرفية التي لا تدخل في الأغلب الأعم إلا على الفعل
الماضي ناقصاً كان أم تاماً ، وربما تدخل - في بعض الأحيان -
على المضارع ، شريطة أن يكون مسبقاً بـ (لم) ، وغير بعيد
عنا قول النحاة " لم حرف نفى وجزم وقلب " فالمضارع في تلك الحالة
إنما هو ماضٍ في زمانه .

على أن الصبان لم يفرق بين استعمال (دام) الناقصة في
الماضي وبينها في المضارع (يدوم) أو في المصدر (دوام) ولكنه لم
يأت بشاهد على ذلك .

يبقى بعد ذلك من أخوات كان : زال وانفك وفتى وبرح وهي
شبه متصرفية ؛ أي أن تصرفها غير كامل ، فلم يُستعمل منها الأمر
أو المصدر ، وجميعها تعطي معنى واحداً وهو الزوال والذهاب
والتلاشي والانقضاء ، فكاننا عندما ندخل عليها حرف النفي (ما)
تطبق القاعدة التي تقول : " نفي النفي إثبات " ، ومن ثم فهي تدل

٢٠٢

على الاستمرار . أما عن عدم مجيء الأمر أو المصدر من هذه الأفعال فأمر يرجع إلى طبيعة استعمالها ، إذ لا بد أن يكون قبلها نفى، ومعلوم أن (لا) النافية لا تدخل على فعل الأمر، إذ إنه حينئذ يصبح فعلا مضارعا مجزوما بـ (لا) التي أصبحت ناهية نحو : العبي ولا تعلبوا ، وكذلك الحال في تلك الأفعال ، فالأمر من زال : زال ، فإذا أدخلنا (لا) قبل الأمر صارت بعشابة نهى ، وصار الفعل بعدها مضارعا مجزوما بها كقول الشاعر :

صَاحَ تَمَرٌ وَلَا تَزَلْ دَاكِرُ النَّمْرِ * * * تَفَيْسَانُهُ ضَلَالٌ مُبِينٌ

أو بقيت نافية والفعل بعدها يكون مضارعا مرفوعا كقول الشاعر :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا * * * وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسَ لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

أي : لا أبرح .

هذا عن (لا) . أما (ما) النافية ، فهي لا تدخل على الأمر بوجه عام . ولما كان المضارع يشارع اسم الفاعل جاز استعمال اسم الفاعل من هذه الأفعال . هذا عن الأمر، أما عن المصدر فإن استعماله ناقصا ، أي عاملا عمل (كان) ، أمر لم يجر استعماله ، لأن التركيب حينئذ لا يسمح بذلك والمعنى لا يتأتى . ويتضح ذلك في قولنا " لا زوال لجرى محمد " إذا استبدلناها بـ " لا يزال محمد جاريا " أو " ما زال محمد جاريا " فاستعمال المصدر في الجملة الأولى بعد المعنى ، وجعله غريبا غير سائغ ، هذا بالإضافة إلى استعمال حرف الجر (اللام) في (لجرى) الذي نقض عمل (زال) ،

٢٠٣

وأصبحت الجملة مثالا على (لا)، النافية للجنس أكثر من كونها —
شاهداً على (زال) الناقصة .

ومن الأفعال موضوع بحثنا أفعال المقاربة : كاد وكسرب
وأوشك فهي شبه متصرفة . فأما (كاد) فيأتى منها الماضى
والمضارع ، والاشنان متقاربان فى الاستعمال ، أما اسم الفاعل
فلم نره مستعملاً إلا فى بيت كثير عزة :-

أَمُوتُ أَسَى يَوْمَ الرَّجَامِ، وَإِنِّي * * * يَفِينَا لَرَهْنٌ بِالَّذِي أَنَا كَادِدُ

ومع ذلك فإن هناك رواية أخرى لهذا البيت تنتهى بـ (كابد)

ولقد رأينا أن نلقى (كاد) نلقى ، وإثباتها إثبات بعكس
ما يرى بعض النحويين . وهناك لهجات فى (كاد) فقد ذكر سيبويه
(كيد) بكسر الكاف كما هى مكسورة فى (كيدت) ، وأورد ابن منظور
لغة لبنى عدى فهم يقولون : كُدت بضم الكاف .

وأما كَرَبَ فتأتى فى الماضى ليس غير ، وهى قليلة الاستعمال ،
أما الشائع فهما الفعلان كاد بكاد، ويوشك .

ومادة (كَرَبَ) فى الأصل تدل على الضيق والغم والحزن
فما العلاقة بينها وبين (كرب) بمعنى قَرَبَ ؟ ان العلاقة تكمن فى
اللفظ وليس فى المعنى فكلمة (كرب) هى نفسها كلمة (كرب) بعد
إبدال القاف كافاً ، ثم إِنَّ القاف والكاف - موقع الاختلاف - من

مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين على ما بيننا في البحث ،
وعلى ذلك فنظن أنّ الأمل هو (قَرَبَ) المتصرف، ثم إنّه لنطق معين
فردى أو لجماعة ، خَفَّفُوا القاف فصارت كافاً، ويدلُّ على ذلك أيضاً
أن صاحب المخصم ذكر تحت عنوان (القرب) الفعلين قرب وكرب ولم
يفرق بينهما .

والأفعال الشروع : شَرَعَ وَأَنشَأَ وَطَلَّقَ وَأَخَذَ وَعَلِقَ وَهَبَ وَجَعَلَ
وَهَلَّلَ . ومن النحاة من زاد عليها قام وقعد ، وجميعها غير
متصرفة ، فهي ملازمة لصورة الماضي وذلك إذا استعملناها للشروع ،
أما إذا استعملت لغير الشروع فهي متصرفة . ولما كان لهذه
الأفعال معاني متعددة عندما تستعمل لغير الشروع، فقد رأينا أنّها
استعملت للشروع نقلاً وليس ارتجالاً ، وقد بحث في نفس الاطمئنان
إلى هذا الرأي أنّ فكرة النقل والارتجال متحققة في ظاهرتين
لغويتين : العَلَمُ وأسماء الأفعال ، هذه واحدة، وأخرى أنّ شواهد
استعمال هذه الأفعال للشروع قليلة، بل نستطيع أن نقول إنّه
شاذٌّ ، وينعدم بالنسبة إلى بعضها في حين أنّ استعمالها لغير
الشروع له شواهد كثيرة بيننا في موضعها ، كلُّ هذا يقوي الظنّ
أنّ استعمالها للشروع كان نقلاً وليس أصلاً ، ثم إنّها عندما
استعملت للشروع لزمت صيغة واحدة لا تتعداها ، بعد أن كانت
متصرفة في الأفعال الأخرى . وقد بينّا كلّ ذلك بالشواهد ،
ورأينا أن الفعل (عَلِقَ) مثلاً قد شغل من لسان العرب ما يزيد على
أربع صفحات تشمل استعمالاته المختلفة وشواهد هذه الاستعمالات في

غير الشروع ، أما استعماله للشروع فلا شاهد له ، إلا البيت الذي أنشده
الأشمونى وهو غير معروف القائل :

أَرَاكَ عِلَقْتَ تَظْلِمُ مَنْ أَجَرْنَا * وظلم الجارِ إِذْ لالِ الْمُجِيرِ

وهذه الأفعال وإن كانت منقولة وليست مرتجلة ، فإن هناك
مبرراً لهذا النقل وهو أن من معانيها ما يُتلمس فيه البدايئة
أو الشروع ، وقد بينّا ذلك فى موضعه ، ويبدو أنّ الفعل (ظَلِمَ) (ظَلَمَ)
دوّنَ غيره من أفعال الشروع ، استعمل للشروع ارتجالاً وليس نقلاً ،
لأنّ المعنى الغالب عليه فى المعاجم هو معنى الفعل لزم الذى يعطى
معنى الشروع أيضا .

وعسى وحرى واخلولق أفعال للرجاء غير متصرفة . فأمّا
عسى فمعناها فى غير الرجاء كما فى اللسان : عَسَا الشَّيْخُ يَعْسُو ، أى
كَبُرَ ، وعسى النبات أى غُلُظٌ وَيَبَسَ وعسى الليل اشتدت ظلمته ، ولكى
نوثق العلاقة بين معنى الشروع وتلك المعاني رأينا لذلك
احتمالين :

الاول : أن نتلمس هذه العلاقة بشيء من التلطف وحسن
الصنعة ، وذلك أن عسا الشيخ بمعنى كبير ، أى بلغ النهاية أو قاربها
وعسى النبات أى غُلُظٌ وَيَبَسَ أى بلغ النهاية أيضا أو قاربها ،
وبالنسبة لليل ، أى اشتدت ظلمته أى بلغت الذروة بعد انتهاء النهار
فهل تعنى (عسا) أى (عسى) بذلك بلوغ الغاية أو قاربها ؟ ويكسب
فى ذلك شبهة بالرجاء ، فهو أيضا يدل على بلوغ الغاية أو مقاربة
بلوغها . لو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفة
الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبها التاريخي -
أقول لو أننا نملك ذلك - لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنا
إنّ هذه الاستعمالات تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من
حيث المعنى .

الثانى : أن تكون (عَسَا) أو (عَسَى) اختصاراً لكلمة أكبر
 كانت تُستعمل لتلك المعانى جميعاً ومنها الرجاء ، ثم اختزلت أو
 اختصرت حتى صارت على صورتها هذه ، يؤيد ذلك أبحاث بعض
 اللغويين الذين يرون أن التطور فى بنية الكلمة كان نحو الاختزال
 والاختصار لا نحو التكثير أو التضخم ، مثال ذلك أن (سوف)
 يقال فيها (سَف) و (سى) و (سو) ، ويقال فى (كيف) (كى) .
 يضاف إلى ذلك أن هناك ألفاظاً مشتقة من هذا الفعل تدل
 على الرجاء ، وذلك نحو (المَعْسَى) كمُحسنة ، وهى الناقة يشك أنها
 لينة أو لا و (المِعْسَاة) الجارية المراهقة التى يظن من رآها أنها
 توفات ، فالناقة يُرجى لبنها والفتاة يُرجى طهرها . والحجازيون
 يلزمون عسى الأفراد والتذكير ، أما بنو تميم فيطابقون بينها
 وبين الاسم قبلها : زيد عسى ... الفتاة عسى - الفتيان عسين ...
 ونظن أن لغة بنو تميم هى الأقدم ، فإسناد الفعل إلى ضمير
 يرجع إلى المسند إليه أمرٌ منطوق ويتمشى مع استعمال الأفعال
 الأخرى نحو الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إلا أن عدم تصرف هذا
 الفعل ولزومه صيغة واحدة وهى صيغة الماضي قد جعله عند
 تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الضمائر وكأنه قد
 ثبت على صورة واحدة - وهى عسى - لا يتعداها . وقد بيننا
 بعد ذلك الاستعمالات المختلفة لعسى من حيث كونها فعلاً أو حرفاً .

والفعل (اخلولق) نادر استعمال إن لم يكن غير مستعمل
 إطلاقاً ، وظننى أنه مصنوع ، فقد صاغه النحاة من (اخلق) على
 وزن افعلول ، كاعشب واعمشوب ، وهذه الطريقة ذكرها ابن

جنى وغيره كثيرا ، فقال : كيف تهنى من كذا على وزن كذا؟
ويَقْوَى ذلك أنَّ المِثَالَ الوحيدَ لهذا الفعل في كتب النحو اخْلُوْلَقْتَ
السَّمَاءُ (أن تُمِطَرَ) . ويبدو أن هذا المِثَالَ له علاقةٌ بالمِثَالَ الذي
ورد في لسان العرب (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبه
وصار خليقا بالمطر ، فربما كان هذا المِثَالَ مفسرا لاستعماله عند
النحاة - وليس عند عامة العرب - كفعل من أفعال الرجاء ؛ ذلك
أن (اخلولق السحاب) يدلُّ على أن المطرَ آتٍ ، والماء - كما هو
معلوم - مَعْقِدُ الرجاء عند العرب ومَبْعَثُ الأمل فيهم .

والفعل (حَرَى) غيرُ مستعمل أيضا ، وربما كان من الاسـم
حَرِيٍّ الذي يستعمل معه أيضا (أحرى) بمعنى (أخلق) ونظـرن
أن (حَرَى) استعمل في فترة لغوية محدودة ، وبقي على حالته تلك
لا يتصرف ثم أُمِيت ولم يرد ذكرُ (حري) و (اخلولق) في القرآن .

ومن الأفعال غيرِ المتصرفة (تعلم) بمعنى (اعلم) و (هَبْ)
بمعنى (ظنَّ) وهما من أفعال القلوب نسبةً إلى القلبِ موطنِ الفهمِ
والمعاني العقلية عند العرب .

فأما الفعل الأول وهو (تعلم) ، فإنه غيرُ متصرف ويبقى في
صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعلم) . والفرق بين تَعَلَّمَ وَعِلِمَ
أن الأول بمعنى تكلف العلم ، والفعلان يدخلان في دائرة الأمر
العقلية التي موطنها القلب عندهم . ويبدو أن بعض القبائل العربية
كانت تستعمل فعل الأمر تَعَلَّمَ مكانَ اعْلَمْ ، ولا يزال السعديون

٢٠٨

يقولون : (اعلمك) ، ولا يقيمون بها التعليم أو التدريس مثلاً ، بل يقيمون أمرك .

وأما الفعل الثانى (هَبَّ) فلا يتصرف إلا إذا كان بمعنى (ظن) ، أما إذا كان بمعنى أعطى أو أنعم فهو يتصرف ، كذلك يجىء الفعل (وهباً) مع أفعال التمييز : جعل واتخذ وترك .. ويبدو أن (هب) بمعنى (ظن) كان غير منصرف لتخصيصه بهذا المعنى دون غيره .

ومن الأفعال غير المتصرفية نعم وبئس وهما منقولان . كما بينا من نعم وبئس . وبسبب هذا النقل لزما صورة واحدة لا يتعديانها ، واكتسبا فى الوقت نفسه شيئاً من - ماضى الاسم التى تظهر فى دلائل الكوفيين ، وشيئاً من خصائص الفهم التى تظهر فى دلائل البصريين . وعبداً ولا عبداً يشبهان نعم وبئس فى المعنى ويأتیان على صورة الماضى ليس غير وقد تناولناهما من حيث التركيب والإعراب والاستعمال ورجحنا أنهما لاسم يستعملان حتى العصر الإسلامى وأنَّ كلاً من (نعم) و (بئس) أقدم فى الاستعمال منهما .

ومن الأفعال غير المتصرفية التى أحققها النحاة بنعم وبئس . فعلان الأول : الفعل الماضى على وزن (فعل) بضم العين ، فالفعل الماضى لا يجىء على هذه الصورة - ويكون متصرفاً - إلا إذا دلَّ على غريزة أو طبيعة أو أشبه ذلك . والصيغتان الأخريتان (فعمل) بكسر العين و(فعل) بفتحها ، إذا حولتا إلى صيغة (فعل) بضم

العين ، فإنَّ هذه الصيغة لا تتصرف دليلاً على أنها منقولة نحو
قَضُو الرجلُ وعُلِمَ (بضم الضاد واللام) بمعنى ما أَقْضَاهُ وما أَعْلَمَهُ .
وهذا المعنى يوضح لنا أن من النحاة من ألحقَ هذا الصيغة سميعة
التعجب (ما أفعله) ، ولم يرتضِ إلحاقها بالمدح والذم ، ولا لِسرق
عندي فهي تفيد المدح والتعجب منه ، أو الذم والتعجب منه —
الوقت نفسه .

الثاني : سَاءَ وهو فعلٌ يبقى في حالة الماضي إذا كان للذم ،
ويتصرف في غير ذلك ، ويُشبهُ في ذلك (لايكون) فهو لا يتصرف في
الاستثناء ، ويتصرف في غير ذلك وقد جاء الفعلُ (سَاءَ) غيـرُ
المتصرف في القرآن كثيرًا . وقد ساوى القرطبي بين (سَاءَ) (سَاءَ)
(بئس) في تفسيره للآية "فساء قرينا" ، وهذه الآية تدل على
أنَّ (سَاءَ) غيرُ متصرف ، وذلك لسبب بسيط وهو اقترانه بالفاء ،
فالفاء — كما هو معروف — تفتن — فمن ما تفتن — بجواب
الشرط إن كان ماضيًا غير متصرف .

وصيغتا التعجب القياسيتان في العربية (ما أفعله) و(أفعل)
(به) وهما فعلا غير متصرفين ، لأنَّ التعجب قد لزم هاتين الصيغتين
ولم يتعداها إلى صيغ قياسية أخرى . وهاتان الصيغتان من أقدم
صيغ العربية وتُعْملانِ اللَّيْنَةَ الأولى في بناء النحو بدلِ ورودها
في حوار أبي الأسود الدؤلي مع ابنته " ما أحسن السماء " وما
أشد الحر " حيث أخطأت الابنة ونطقت الجملتين برفع النون والذال

وآختلفت النحاة في (ما أفعله) : هل هي اسمٌ أو فعلٌ ،
وآختلفَهم غيرُ منجهي ، فقد جمعت خصائصَ من الاسم وخصائصَ
من الفعل ، وكان الدكتور تمام حسان على حقٍّ حينما عدَّها قسمًا

خاصاً من أقسام الكلام أسماء (الخالفة) . ولم نرتض تأصيل النحاة لمصيغة (أفعل به) ، لأنّه تأصيل لا أصل له في اللغة ولبس مطابقاً لواقع الاستعمال اللغوي . ولقد وضع النحاة شروطاً للفعل الذي يماغ على (ما أفعله) أو (أفعل به) وهو شروطٌ مبنيةٌ على استقرار ورود هاتين المصيغتين في كلام العرب ، وقد عللنا لوجود هذه الشروط تعليلاً لغوياً يمسّ واقع الاستعمال ، ويعدّ عن الفلسفة والمنطق ، وقد نقلنا في تعليلنا لهذه الشروط بعضَ أقوالهم في ذلك .

وببقى بعد ذلك بابُ الاستثناء ، وفيه أفعالٌ غيرٌ متصرفة وهي ليس ولا يكون - وقد تناولناها في أول هذا البحث في باب كان وأخواتها - وعدا وحاشا . وهذه الأفعال لها معانٍ كثيرةٌ ، وبعضُ المعاني له صلة بالاستثناء فهي تدلّ - فيما تدلّ - على المجاوزة أو البعد أو الترك ، وهو ما يتفق مع معنى الاستثناء ، وهي في ذلك غيرٌ متصرفة لخصوصيتها بمعنى واحد وهو الاستثناء .

على أن هناك أفعالاً أخرى غيرٌ متصرفية أو شبه متصرفية لا تندرج تحت باب من أبواب النحو :

من هذه الأفعال الفعلان وَدَرَ وَدَعَ ، فالمستعملُ منها الأمر والمضارع ، أما الماضي فلم يستعمل ، فهما شبه متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير ، إذ إنّ القياس لا يأبى مجيء الماضي أيضاً كما هو الحال في وَزَنَ يَزِنُ وَزَنًا ، إلّا أن الاستعمال هجر الماضي

منهما واستعاض عنه بـ (ترك) . وباستقراء النصوص التي ورد فيها الماضي (ودع) والمصدر (ودعا) تبين لنا أنهما لم يكونا مجهولين في فترة نزول القرآن ، وعلى حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) واستمر استعمالهما حتى السنين الأولى من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وبعد ذلك هجر استعمالهما ولم يبق مستعملاً إلا المضارع والأمر .

ومنها (كَذَبَ عَلَيْكَ) وهو أسلوب خاص في الإغراء يكون فيه الفعل (كَذَبَ) غير متصرف ، وقد هجر الآن ولم يعد مستعملاً وجميع شواهد لم يتعد زمانها زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده . وربما كان هذا الأسلوب (كَذَبَ عَلَيْكَ) مستقرباً اليوم، ولكنه لم يكن كذلك حين استعمل ، وربما كان مشابهاً للتعبير الذي يستعمله عوامنا اليوم (عليك الحرام أن تفعل كذا) أي يحل الحرام إن ... ، كما أن (كذب عليك) معناها : يحل بك الكذب . وواضح أن بين الكذب والحرام علاقة وثيقة .

ومنها الفعل (تبارك) ، ومادته بَرَكَ يَأْتِي منها معان كثيرة ولكن الفعل (تبارك) غير متصرف ، فلا يأتي منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل .. وقد جاء في القرآن الكريم مقصوراً إسناده إلى الله ليس غير ، وربما كان هذا هو سبب عدم تصرفه للإشعار بأن التمجيد والرفعة إنما هي لله دون غيره ، ولإشعار أيضا بأن هذا الفعل - وإن كان قد توقف عند صيغة الماضي - يدل على الحال والاستقبال أيضا ، مثله في ذلك مثل الفعل (كان) في القرآن الكريم

عندما يكون اسمه لفظ الجلالة مثل " وكان الله سميعا بصيرا " " وكان الله عليما حكيما " .

و(قُلْ) فعل متصرف، إلا أن من النحاة من جعله غير متصرف في أسلوب خاص به لا يتعداه وهو " قُلْ رَجُلٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ " بمعنى " ما رجلٌ يفعل ذلك " ولما كان الفعل (قُلْ) هنا يساوي (ما) الخرفية في المعنى، فقد مُنِعَ من التصرف لشبهه بالحرف . وَلَمْ نُؤَيِّدِ النُّحَاةَ في ذلك ، لأنهم لم يأتوا بشاهد، واعتمدوا على مثال من صنعم ، ولم يذكر سبويه هذه المسألة في كتابه ثم إن قولهم إنَّ (ما) تساوي (قل) فيه نظرٌ ، فعلاقة المساواة هذه تجدهما في المسائل الرياضية وهي بعيدةٌ عن اللغة أو قُلْ غريبة عليها .

والفعل (سقط) غير متصرف في استعمال بعينه، ويبدل حينئذ على الحسرة والندم ، وهذا الاستعمال هو (سُقِطَ في يده) ويكون الفعل (سقط) في هذا الاستعمال مقصوراً على الماضي الذي لم يُسَمَّ فاعله دون إسناد أية ضماير له ، فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون ... وهذا التركيب لم يعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن حيث جاء في الآية التاسعة والأربعين بعد المائة من سورة الأعراف " ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا ... " ولم يُعرف قبل ذلك .

ومن النحاة من يَعدُّ (يَعْمُ) في (يَم صباحاً) غير متصرف لا يأتى منه مضارع ولا ماضٍ ، أي أنهم لم ينطقوا ب(وَعَم) (يَعْمُ) . ومن النحاة من لا يعد (وَعَم يَعْم عم) أصلاً مستقلاً بنفسه، بل إن

(يَعْم) عندهم محذوف من (يَنْعِم) ، ولذلك أجازوا (عم صباحا)
بفتح العين وكسرها كما يقال انعم وانعم . ونحن لا نميل الى هذا
الرأي ، كما أنَّ القول بأنَّ المضارعَ غيرُ مستعملٍ مردودٌ بقول امرئ
القيس :

..... * * * وهل يَعمَنُ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الْخَالِي

ثم كرّر المضارع بعد ذلك مرتين .

أما الماضي فلم نعر على شواهد لاستعماله ، ولكننا
لا نستبعد استعماله فقد ذكر الأزهري عن يونس بن حبيب أنه قال
وَعَمْتُ أَدَّارَ ، أَعِمُّ وَعَمَّا أي قلت لها انعمي .

ومن النحاة من يرى الفعلَ (ينبغي) فعلاً غير متصرفٍ مقصوراً
على المضارع ليس غير ، ولا تَرَى رأيهم ، بل إنَّ ماضيه مستعملٌ
أيضاً بدليل ما جاء في نوادر أبي زيد الأنصاري وما نصَّ عليه
بعض أصحاب المعاجم ، أما الأمرُ منه فالقياس لا يباي محبته (انبغ)
ولكنه غير مستعملٍ لأنَّ معناه في الأمر بعيدٌ عن أية مناسبة
تستدعي استعماله ، وما كان لإنسان أن يخاطب آخر أو يأمـره
بقوله : انبغ . وهذا يماثل فعل الأمر (انكسر) .

ومن الأفعال غير المتصرفة التي تبقى في حالة المضارع
المنسوب إلى المتكلم الفعل (أَهْلُم) بمعنى أُقْبِلُ ، وهو جواب لمن
تيل له (هَلَمْ) وفيه عدة لغات . ولم أجد شواهد لاستعماله ، والمنعة
والقياس لا يبايان مجيء الماضي فيقال هَلَمْتُ كَصَرَرْتُ وَشَعَلْتُ على
وزن فَعَلْتُ . وهَلَمْ لم يزل مستعملاً حتى الآن ، ولكن جوابـه
أهلم هو الذي هُجِر ، ولم يعمد مستعملاً .

ومنها - في رأي بعض النحاة - (ها) بمعنى (خذ) وفيها
لغات ثلاث - بينها في موضعها - وهي فيها ملازمة لميغة الأمر
دون الماضي أو المضارع ، ولا تُعَدُّ في هذه اللغات أسماء أفعال .
وكما أنَّ (أَهْلَمْ) رَدٌّ وجوابٌ عن (هَلَمْ) فإنَّ (هَاءَ) لها جوابٌ وهو
(آهَاءُ) وهو فعل متصرفٌ لم يأت منه إلا المضارع المنسوب إلى
المتكلم . وهذا الفعل بلغاته الثلاث قد أُمييت ولم يبق منه
إلا العنصرُ الإشاري الذي نجده في أول أسماء الإشارة .

والفعل (هات) بقى هو وحده دون ماضيه هَاتِي ومضارعـه
يَهَاتِي اللذين أُمييتا ، وقد ذُكِرَا في أكثر من مرجع وعدّه الزمخشريُّ
وشارح مغلبيه ابن يعيش - دون النحاة - اسمَ فعلٍ ، وجَعَلَا (هَيْتَ)
أصلَ مادته ، وهذا خطأ ، فإنَّ أصله الثلاثي ؛ هتا مثل عطـا .
وربما كانت الهاءُ التي في أول (هات) هي التي أوهمت الزمخشريَّ
وابن يعيش أنه اسمُ فعلٍ ؛ لأنَّ كثيراً من أسماء الأفعال والأصوات
تبدأ بهذا الصوت (الهَاءُ) ، ومن أجل دفع هذا التوهم رأى بعضُ
النحاة أنَّ الهاءَ فيه مبدلةٌ من الهمزة فالأصل آتِي يُؤَاتِي ،
ولا نستبعد ذلك فهناك كثيرٌ من حالات هذا الإبدال مدعومة بالشواهد.

و(تَعَالَ) فعلٌ أمرٌ غير متصرفٍ بشرط قصره على أسلوب
النداء بمعنى : اقْبِلْ . أما إذا استعمل في غير النداء فهو
متصرف .

و(يَهْيِطُ) فعلٌ مضارعٌ غير متصرفٍ بمعنى يَمِيح وقد أُمييت
هذا الفعل ، بعد أن كان مستعملاً ، يدل على ذلك أن ما اقترن
بهذا الفعل من أفعال (وهي ما ط وساط وعاط) مستعملةٌ ولها
شواهد في كتب الأدب : ويبدو أن (يَهْيِطُ) كان من نطق عـوام
العرب ، بدليل اختلاف عين المصدر عندهم وهو أيضاً غير مستعمل :

مُهَايَظَةٌ وَمُعَايَظَةٌ وَمَعَايِظَةٌ وَمَسَايِظَةٌ .

كذلك الفعل (يَسْوِي) بمعنى (يساوي) وقد أنكر أكثرُ من نحوي ولغوي وجودَ هذا الفعلِ أو حكموا بندرتِهِ ، ونظنُّ أن يسوي معدولةٌ عن يساوي وهذا الاصطلاح - العدل - أخذناه من باب الممنوع من الصرف كأن تقول : عمرٌ معدولٌ عن عامرٍ وزفرٌ معدولٌ عن زفيرٍ ، وربما كان هذا (العدل) - إن صحَّ هذا التعبيرُ - لهجةً من لهجات العرب ، أو هو للتخفيف من المد الذي في يساوي ، أو أنه كان نطقٌ نادرٌ من العرب ثم انقرض هذا النطق بعد ذلك .

و(نَكِرَ) لم يستعمل إلا ماصياً . ونَكَرَ وَأَنكَرَ لغتان، وَلَكِنْ
المضارع (يَنَكِرُ) يستعمل للثنيين، ولم يَجِءَ المضارعُ من (نَكَرَ) الذي
هو الأمل في رأينا ، ثم تعدى بالهمزة وأصبح (أَنكَرَ) واستعمل
مضارعه للثنيين الثلاثي والرباعي بعد أن هُجِرَ (يَنَكِرُ) بفتح الياء .

و(هـ) فعل متصرف بمعنى هَدَمَ وَكَسَرَ ، ولكنّه في استعمال خاص دال على المدح لم يَجْزِ إِلَّا ماضيا ، وذلك في مثل " مَرَرْتُ بِرَجُلٍ هَدَكَ مِنْ رَجُلٍ " ، أي " أَثَقَلَكَ وَصَفُ مُحَاسِنِهِ " وواضح أَنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ بَيْنَ الْفِعْلِ (هَدَّ) بِمَعْنَاهِ الْعَامَ وَبَيْنَ مَعْنَاهِ فِي الْمَدْحِ " أَثَقَلَكَ أَوْ أَعْجَزَكَ وَصَفُ مُحَاسِنِهِ " ، عَلَى أَنَّي لَمْ أَجِدْ شَاهِدًا عَلَى هَذَا الْإِسْتِعْمَالِ ، بَلْ رَأَيْتُ شَاهِدًا عَلَى اسْتِعْمَالِهِ لِلتَّعْجِبِ كَقَوْلِ أَبِي لَهَبٍ " لَهْدًا مَا سَخَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ " .

هذا وبالله وحده التوفيق ،، }

فهرس بالمصادر والمراجع

- (١) الاشتقاق لابن دريد : تحقيق عبدالسلام هارون : ط المثنى بغداد ١٩٧٩ .
- (٢) الاشتقاق لعبد الله أمين : لجنة التأليف والترجمة والنشر . ١٩٥٦ .
- (٣) الأشباه والنظائر للسيوطي : حيدر آباد الهند ، ١٣٥٩ هـ .
- (٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .
- (٥) أقسام الكلام العربي : د. فاضل مصطفى الساقى ، الخانجسي مصر ، ١٩٧٧ .
- (٦) أمالي السيد المرتضى : ط السعادة بمصر ، ١٩٠٧ .
- (٧) أمالي الزجاجي : ط القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .
- (٨) أنباء الرواة على أنباء النخاة للوزير جمال الدين القفطسي تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم : دار الكتب ١٩٥٠ .
- (٩) الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنباري : ط صبيح ١٩٥٣ .
- (١٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام : تحقيق محمد محبى الدين . ط السعادة بمصر ، ١٩٤٩ .
- (١١) البحر المحيط لأبي حيان : مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨ هـ .

٢١٨

- (١٢) البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين الزركشي : تحقيق
محمد أبي الفضل ابراهيم إحياء الكتب العربية ،
• ١٩٥٩
- (١٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي : تحقيق
محمد أبي الفضل ابراهيم ط الحلي ، ١٩٦٤ •
- (١٤) تاج اللغة ومحاج العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد
الجوهري : تحقيق احمد عبدالغفور عطا دار الكتاب
بمصر •
- (١٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك : تحقيق كامل
بركات دار الكتاب بمصر ، ١٩٦٧ •
- (١٦) التطور النحوي لبرجشتراسر مطبعة السماح بمصر ١٩٢٩ •
- (١٧) الجامع لأحكام القرآن للطبري دار الكتب ، ١٩٤٠ •
- (١٨) جامع البيان في تأويل القرآن للقرطبي : تحقيق محمد
شاكر واحمد شاكر دار المعارف بمصر دون تاريخ •
- (١٩) حاشية الجمل على الجلالين وبهامشه اعراب القرآن للعكبري
المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٣ •
- (٢٠) حاشية الصبان على شرح الأشموني • المكتبة التجارية بمصر
دون تاريخ •
- (٢١) خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادلي : تحقيق
عبدالسلام هارون دار الكتب العربي ، ١٩٦٩ •
- (٢٢) الخصائص لابن جني • تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتب
• ١٩٥٥

- (٢٣) دراسات نحوية في خصائص ابن حنى للدكتور أحمد سليمان
دار النشر الجامعي ، ١٩٨٥ .
- (٢٤) ديوان الأعشى : تحقيق د. محمد محمد حسين. بيروت
١٩٦٨ .
- (٢٥) ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق محمد عبدالمنعم خلفا ،
ط ، صحيح ، ١٩٥٥ .
- (٢٦) ديوان كثير عزة شرح الدكتور إحسان عباس. دار الشارقة
بيروت .
- (٢٧) ديوان لبيد : شرح الدكتور احسان عباس ط. الكويت .
- (٢٨) شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملوي : ط الحلبي
بمصر ، ١٩٥٥ .
- (٢٩) شذور الذهب لابن هشام . التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٧
- (٣٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك التجارية الكبرى بمصر
١٩٦٤ .
- (٣١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك تحقيق محمد محيسن
الدين ط .
- (٣٢) شرح التصريح على التوضيح : خالد الأزهرى : التجارية
الكبرى بمصر دون تاريخ .
- (٣٣) شرح ديوان امرئ القيس للأستاذ حسن السندوبي. التجارية
الكبرى بمصر ، ١٩٥٣ .
- (٣٤) شرح ديوان جرير محمد اسماعيل الصاوي. التجارية الكبرى
دون تاريخ .

٢٢٠

- (٣٥) شرح ديوان الفرزدق : عبد الله ابراهيم الماوي التجارية الكبرى ١٩٣٦ .
- (٣٦) شرح ديوان المتنبي للعكبري . ط الحلبي ، ١٩٥٤ .
- (٣٧) شرح شواهد المغنى للسيوطي : المطبعة البهية بمصر ، دون تاريخ .
- (٣٨) شرح الكافية للرضي الاسترابادي : ط استنبول : دون تاريخ
- (٣٩) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري : تحقيق عبدالسلام هارون دار المعارف ، ١٩٦٨ .
- (٤٠) شرح المعلقات السبع للزوزني مكتبة القاهرة ١٩٦١ .
- (٤١) شرح المفصل (مفصل الزمخشري) لابن يعيش المنبرية بالقاهرة دون تاريخ .
- (٤٢) شعر الأخطل تعليق وشرح الأب أنطون صالحاني اليسوعسي : المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٨٩١ .
- (٤٣) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك . دار العروبة بمصر ١٩٥٧ .
- (٤٤) الصحابي في فلة اللغة وسنن العرب لابن فارس : تحقيق مصطفى الشويحي بيروت ، ١٩٦٤ .
- (٤٥) العقد الفريد لابن عبد ربه : دار الكتب العلمية بيروت ١٩٦٥
- (٤٦) علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي : مكتبة النهضة ١٩٤٤ .
- (٤٧) الفلسفة اللغوية والألغاط العربية : جورج زبيدان : ط الهلال سنة ١٩٥٨ .

٢٢١

- (٤٨) في علم اللغة التقابلي للدكتور أحمد سليمان : دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ .
- (٤٩) في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومسي : ط بيروت ، ١٩٦٤ .
- (٥٠) القاموس المحيط للفيروز آبادي .
- (٥١) الكتاب لسبيويه : ط المشني مصورة عن ط بولاق سنة ١٣١٦ هـ .
- (٥٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون التأويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري : بيروت دون تاريخ .
- (٥٣) لسان العرب لابن منظور .
- (٥٤) اللغة لفندريس ترجمة الأستاذين القصاص والدواخلي الأنجلو المصرية ١٩٥٠ .
- (٥٥) اللغة والنحو للدكتور حسن عون مطبعة رويال بالاسكندرية ١٩٥٤ .
- (٥٦) اللغة العربية : معناها ومبناها للدكتور تمام حسان . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ .
- (٥٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سزكين الخانجي ١٩٥٤ .
- (٥٨) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري المعروف بابن الأثير الناشر : عبد الرحمن محمد . الأزهر . مصر ١٩٥٢ .
- (٥٩) مختار الشعر الجاهلي : جمع الأستاذ مصطفى السقا . الحلبي مصر ، ١٩٤٨ .

٢٢٢

- (٦٠) المخصص لابن سيده المرسى بولاق ١٣١٩ .
- (٦١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللقوي . نهضة مصر ١٩٥٥ .
- (٦٢) المزهر للسيوطي تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ط الحلبي
دون تاريخ .
- (٦٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ط بيروت ١٩٥٥ .
- (٦٤) مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام تحقيق مسازن
المبارك وآخرين بيروت ، ١٩٧٩ .
- (٦٥) المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها . للأبراشي
وآخرين ط الأميرية بولاق .
- (٦٦) المفطليات للمفضل الضبي : تحقيق شاكرو وهارون دارالمعارف
١٩٦٣ .
- (٦٧) معانى القرآن لأبي زكريا الفراء : تحقيق محمد على النجار
الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر دون تاريخ
وهناك طبعة أخرى للهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (٦٨) النحو الوائى للمرحوم عباس حسن ط دار المعارف ١٩٦٣ .
- (٦٩) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنباري. تحقيق إبراهيم
السامرائى : دار المعارف بغداد سنة ١٩٥٩ .
- (٧٠) النهاية فى غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجوزي
المعروف بابن الأثير . ط الخيرية بمصر دون تاريخ .

٢٢٣

- (٧١) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري بيروت ١٩٦٧ .
- (٧٢) النواسخ الفعلية والحرفية . للدكتور أحمد سليمان . دار المعارف ١٩٨٤ .
- (٧٣) همع الهوامع شرح جمع الحوامع للسيوطي : ط بيروت
دون تاريخ .

الدوريات :

- مجلة مجمع اللغة العربية : الجزء الرابع ١٩٢٧ .
- الجزء الحادي عشر ١٩٥٩ .

مراجع أجنبية :

- 1 - A. Dictionary of Theoretical Linguistics. by M.El - Khouli,
Librairie Liban 1982.
- 2 - Fundamental Problems of Phonetics. by G.C. Catford
Indian University Press 1982.
- 3 - A. Grammar of the Arabic Language. Translated of the
German of Caspré by W. Wright - London 1875.
- 4 - A. Grammar of the Classical Arabic Language B.M.
Howell London. 1883

الفهرس

	إهداء
٧	مقدمة
١١	الفصل الاول
١٣	هذه الأفعال : هل هي جامدة أو غير متصرفة
٢٩	الفصل الثاني
٣١	كان وأخواتها
٤١	دام
٤٥	زال وانفك وفتى وبرج
٤٩	الفصل الثالث
	أفعال المقاربة
٥٩	الفصل الرابع
	أفعال الشروع
٧٣	الفصل الخامس
	أفعال الرجاء
٨٩	الفصل السادس
	أفعال القلوب
٩١	تعلم وهب
٩٥	الفصل السابع
	أفعال المدح والذم
٩٧	نعم وبئس
	حيذا ولا حيذا
١٠٤	فعل
١١٤	سأ

١١٩	الفصل الثامن
١٢١	صيغتنا التعجب
١٢٥	الفصل التاسع
١٣٢	أفعال الاستثناء
١٤٧	الفصل العاشر
١٤٩	أفعال متفرقة
١٥١	ودر - ودع
١٥٦	كذب عليك
١٦١	تبارك
١٦٤	قل
١٦٧	سقط في يده
١٧١	عم صباحا
١٧٥	ينبغي
١٧٨	أهلم وه
١٨٣	هات وتعال
١٨٩	يهيظ ويسوي
١٩٣	نكر
١٩٦	هد
١٩٧	نتائج البحث
٢١٧	فهرس بالمصادر والمرآج



